الـجمهوريـــة الجزائريـــة الديـمقراطيـــة الشعبيـــة

وزارة التعليم العالـــي والبحث العلـمـي

المركز الجامعي بلحاج بوشعيب – عين تموشنت–

معهد الآداب و اللّغات

قسم اللّغة و الأدب العربي

ماستر تخصّص:لسانيات الخطاب

مذكّرة تخرج لنيل شهادة ماستر موسومة بـ :

أَسْرَارُ البَيَانِ فِي أَبْلَغِ الكَلَامِ

– دِرَاسَةٌ لِسَانِيَّةٌ تَدَاوُلِيَّةٌ –

إعداد الطالب: بلعباس بن قرعة عبد الواحد

بإشراف : الأستاذة الزين فتيحة

لجنة المناقشة:

الأستاذة جريو خيرة	رئيسا
الأستاذة الزين فتيحة	مشرفا ومقررا
الأستاذة بلباد رفيقة	عضوا مناقشا

الموسم الجامعي: **1441هـ /1440هـ–2019 م/2020م**

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا
وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ ﴾

سورة الأعراف الآية 34

لَوْ كُنْتُ أَعْرِفُ فَوْقَ الشُّكْرِ مَنْزِلَةً ... أَوْفَى مِنَ الشُّكْرِ عِنْدَ اللهِ فِي الثَّمَنِ

أَخْلَصْتُهَا لَك مِنْ قَلْبِي مُهَذَّبة ... حَذْوًا عَلَى مِثْلِ مَا أَوْلَيْت مِنْ حَسَنِ.

مقدمة

الجمال محبّب إلى النفوس السوية، والكمالاتُ في جميع المجالات مطلب للأنفس الشريفة، وصاحب الهمة العالية والنفس الأَبِيَّة لا يرضى إلا بما لا شيء بعده من النفائس، سواء في عقله أو خلقه أو حاله أو دينه، وحتى في منطقه، ومما لاشك فيه وجود تفاوت في هذه الأمور كلها، وكلُّ فاضل منها إِلَّا وله ميزات تدل على فضله، وتُرشد إلى سَبْقِه.

ومما جاء فيه مثل هذا التفاضل: منطق الإنسان وكلامه، فمنه الطبقة السفلى، وهي التي لا دِلالة فيه بعدها، ومنه الطَّبقة العليا، وهي التي لا يمكن الإتيان بأجود منها، وهي معروفة عند العلماء بأسماء كثيرة أشهرها: أبلغ الكلام، الذي عُنِيَ العلماء بجمعه، والتصنيف فيه وتمييزه عن غيره، وما ذلك إلا لمكانة هذا النوع من الكلام عندهم، وأهميَّتِه التي ينطوي عليها، والتي منها تقويم اللسان، وحسن المنطق، وبيان بلاغة المتكلم به والناقل له، والمختار له عن غيره، وكذا بيان عمق علم الحاكم له بالبلاغة، وسعة اطلاعه، إذ اجتباه من العشرات من أمثاله ،واصطفاه، وفضَّله عليها.

وكان جمع أبلغ الكلام والتصنيف فيه معروفا عند العلماء، خاصَّة المتقدمين منهم مثل أبي منصور الثعالبي في كتبه الثلاثة: خاص الخاص، وأحسن ما سمعت، والإعجاز والإيجاز، أو ابن دريد في كتابه المجتنى، وغيرهم ممن عقد فصولا في كتبهم في جمع أبلغ الكلام، إلا أننا لم نقف على دراسة تأصيلية مفردة في هذا الموضوع، قامت بإحصاء سمات البلاغة التي يتميز بها أبلغ الكلام عن غيره، أو القواعد التي يُعتمد عليها في هذا، إِلَّا نُتَفًا من كلام العلماء مبثوثة من بطون الكتب، مما حدا بنا إلى التساؤل: ما هو مفهوم أبلغ الكلام؟ وما هي القواعد التي يمكن إعمالها لتمييزه عن غيره؟وما هي السِّمات البيانية والأسرار البلاغية التي تضمنها هذا النوع من الكلام؟

وبغرض الإجابة عن هذه الإشكاليات قمنا بهذا البحث الذي اشتمل على مقدمة موجزة في التعريف بهذا العمل، يليها ثلاثة فصول، كان الفصل الأول في التعريف بالفصاحة والبلاغة،وأقسام كلٍّ منهما، والفرق بينهما، وشروطهما، والعيوب التي تُخِلُّ بكمالهما، كما حوى هذا الفصل الكلام عن أبلغ الكلام، وذلك بالتعريف به، وذكر من تكلم عنه من العلماء، وعن أنواع هذا الكلام، وأشكاله وأصنافه، كما عقدنا فيه مبحثا في القواعد التي يمكن بها تمييز أبلغ الكلام عن غيره، ثم ختمنا هذا الفصل بعرض لمجموعة من الكتب التي عُنِيَت بجمع أبلغ

الكلام، والتي ذكرت نصوصا من أقوال العلماء في الحكم على كلام ما أنَّه الأبلغ، وذلك للحاجة إليها في الفصل الثاني بالإحالة إليها.

وعقدنا الفصل الثاني في تطبيق القواعد الخمس المميزة لأبلغ الكلام على نماذج من كلام العرب، واخترنا أربعين عبارة بليغة، وبَيَّنَّا أنها أبلغ ما قيل في بابها، ووجه هذا الاختيار، أما الفصل الثالث فكان فصلا تطبيقيا قمنا فيه بتحليل نماذج من تلك العبارات المختارة في الفصل الثاني تحليلا لسانيا وفق المستويات اللِّسانية وحاولنا فيه الوقوف على الأسرار البيانية التي تميز عبارات أبلغ الكلام عن غيرها، ثم ختمنا هذا البحث بخاتمة شملت أهم النتائج المتوصل إليها، وقد استعنا في هذا البحث بالمنهج الاستقرائي والمنهج الوصفي التحليلي، الأول في جمع عبارات أبلغ الكلام وجمع أقوال العلماء فيها، والثاني في تحليلها من أجل الوقوف على أسرارها البيانية.

ودَفَعَنَا إلى اختيار هذا الموضوعِ والاهتمام به دون ما سواه طلب الجِدَّةِ في موضوع البحث، والاطلاع على هذا النوع المميَّز من الكلام، ومحاولة كشف شيء من أسراره، وكذلك الوقوف على عظمة هذه اللغة الخالدة اللغة العربية، ومعرفة فضل العرب وعلمائهم، وتسليط شيء من الضوء على تراثنا الزاخر بالكنوز العلمية والأدبية التي طالتها أيادي الإهمال والنسيان.

ولا يخفى ما في مثل هذه المواضيع من صعوبات، فقد تعاملنا مع موضوع غير مطروق، ومادَّتُه متفرقة في بطون الكتب القديمة، إضافة اختلاف تعابير العلماء عن مفهوم أبلغ الكلام، مما يُصَعِّبُ العثور على نماذج أو كلام حول أبلغ الكلام، كما أَنَّ مقارنة الكلام الأبلغ بالبليغ، في محاولة معرفة أسرار تميُّزِ أبلغ الكلام وتفوقه، شيءٌ ليس بالهين، إذ المقارنة هنا بين كلام أبلغ البلغاء، وأفصح الفصحاء،مما يُصَعِّب التفضيل بينها لجودتها وبلاغتها، ولمكانة القائلين لها.

ولتنوع مباحث هذا العمل وفصوله، تنوعت المصادر التي اعتمدنا عليها فيه، فاعتمدنا على كتاب البلاغة العربية لعبد الرحمن الميداني، وكذا كتابا أبي منصور الثعالبي خاص الخاص، والإعجاز والإيجاز، كما لا ننسى الكتاب الذي أَخذنا منه فكرة البحث، أَلَا وهو كتاب (المتنبي) لمحمود محمد شاكر –رحمه الله– فقد كان النواة

الأولى لهذا البحث، كما استفدنا منه في تحليله لعبارة سيبويه في حد الفعل، إذ كان هو أول من وقف على معناها الذي اختصت وانفردت به.

ومن باب قوله عليه الصلاة والسلام :" لا يشكر الله من لا يشكر الناس"، ثم قول الشاعر:" والكفر مخبثة لنفس المنعم"، نتقدم بالشكر الجزيل والثناء الجليل لكل من ساعد في هذا البحث من قريب أو بعيد، وبشكل مباشر أو غير مباشر، وإلى كل من ساندنا، أو أعاننا بما علمناه وبما لم نعلمه، وأخصُّ بالذكر الأستاذة المشرفة الزين فتيحة،والتي أحاطتنا بهالة من الاهتمام والنصائح والتوجيهات فجزاها الله عنا خيرا.

عبد الواحد بلعباس

حاسي الغلة – عين تموشنت

24 شوال 1441هـ- الموافق لـ: 16 جوان 2020م.

الفصل الأول

1/المبحث الأول:

1-تعريف الفصاحة:

أ- لغة:

الفاء والصاد إذا كانتا في أول الكلمة أفادتا معنى الانفصال والتمييز ويبقى الحرف الثالث الذي يضم إليهما لإفادة نوع هذا الانفصال، قال ابن جني :" فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ونهج متلئب ، عند عار فيه مأموم ، وذلك أنهم كثيرا ما تجعلون أصوات الحروف على سبب الأحداث المعبر بها عنها "[1] ، وذلك مثل قضم و هضم كلاهما تفيدان الأكل والقطع ولكن الهضم للشيء اللين والقضم للشيء الصلب.

وفي مثالنا نجد أن ما ورد من الألفاظ مصدرا بالفاء ، آت لمعنى الفصل والتمييز ، مثل فصل وفصح ، وفصم وفصي وفص ، ويبقى الحرف الثالث للدلالة على نوع هذا الانفصال ، فالفصم مثلا " يدل على انصداع الشيء من غير بينونة من ذلك الفصم ، وهو أن ينصدع الشيء من غير أن يبين "[2] ، والفصي :" يدل على تنحي الشيء عن الشيء ، يقال تفصى اللحم عن العظم ، وتفصى الإنسان عن البلية أي تخلص "[3] وهكذا فيما كان مثلها من الكلمات.

وأما فصح في اللغة فهي لا تخرج عن نظيراتها الدالة على التمييز والانفصال ، فالفاء والصاد والحاء تدل على معنى الانفصال المشترك ، مع اختصاصها بالنقاء والصفاء في الشيء ، فقال ابن فارس :" (فصح) الفاء والصاد والحاء أصل يدل على خلوص الشيء ونقاء من الشوب"[4] أي من الاختلاط والامتزاج بغيره.

---

[1]- ابن جني، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط4، د.س ، ج2 ، ص 136.

[2]- ابن فارس، مقاييس اللغة، دار الفكر، دمشق، سوريا، د.ط ، 1399 هـ ، ج4 ، ص 506.

[3]- المرجع نفسه ، ج4 ، ص 506.

[4]- المرجع السابق، ج4، ص 506.

وعلى هذا النحو، سار أصحاب المعاجم في تفسيرهم لهذه الكلمة ، قال الجوهري :" (فصح) رجل فصيح وكلام فصيح ، أي بليغ ، ولسان فصيح ، أي طلق... و أفصحت الشاة إذا خلص لبنها ... و كل واضح مفصح ، وأفصح الرجل من كذا ، إذا خرج منه"[1] ، فمعنى هذه الكلمة في اللغة يدل على الانفصال مع صفاء ونقاء وجودة وجمال في الشيء المنفصل ، وهذا المعنى هو المراعى في التعريف الاصطلاحي ، الذي يدور على جودة اللفظ وصفائه ونقائه مما يشينه.

ب–اصطلاحا :

يلاحظ في التعاريف الاصطلاحية للفصاحة أن المعرفون لها من العلماء قد عرفوها بعد تقسيمها إلى فصاحة المفرد و فصاحة الكلام و فصاحة المتكلم ، " مع أن الشأن أن يؤتى للمعرف بتعريف شامل لأقسامه ثم بعد ذلك إلى هذه الأقسام ... و تجاب عنه بأنه لم يتأت أن يؤتى للفصاحة بتعريف شامل لأقسامها الثلاثة... فلهذا اضطروا إلى تقسيمها أولا ، ثم تعريف كل قسم من أقسامها ثانيا "[2] وهذا هو السبيل الأمثل في مثل هذه الكلمات التي لا يمكن إيجاد تعريف كلي لها قبل ذكر أقسامها.

يعرفها الجرجاني سالكا نهج التقسيم قائلا :" الفصاحة في اللغة عبارة عن الإبانة والظهور ، وهي في المفرد خلوصه من تنافر الحروف و الغرابة و مخالفة القياس ، وفي الكلام خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات مع فصاحتها ... وفي المتكلم ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح "[3] فكل قسم منها وله شروط لفصاحته غير شروط القسم الآخر ، لذا لزم التعرض لتعريف كل قسم على حدة.

[1]– إسماعيل بن حماد الجوهري ، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط4 ، 1407 هـ ، ج1 ، ص 391.

[2]– حامد عوني ، المنهاج الواضح للبلاغة ، المكتبة الازهرية للتراث ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، د.س ، ج3 ، ص 20.

[3]– علي بن محمد الشريف الجرجاني ، التعريفات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1403 هـ ، ص 167.

1-فصاحة الكلمة :

الكلمة الفصيحة هي الكلمة السالمة من ثلاثة عيوب هي: تنافر الحروف ، ومخالفة الوضع ، والغرابة ، ووجه حصر فصاحة الكلمة في السلامة من هذه الثلاثة أن لكل كلمة مادة تكونها هي الحروف ، و صورة نهائية هي لفظها المشكل من تلك الحروف و دلالة على المعنى فالعيب في المادة هو التنافر و في الصيغة هي مخالفة الوضع ، وفي الدلالة هي الغرابة ، فبسلامتها من هذه العيوب تسلم مادتها و صيغتها و معناها. [1]

ولابد من التعرض لكل عيب على حدة لأهمية فصاحة الكلمة ، فكل ما هو آت بفصاحة الكلام و المتكلم و البلاغة – ينبني عليها و مشروط فيها.

أ- تنافر الحروف :

وهو أن تكون الكلمة ثقيلة على اللسان يتعسر النطق بها و ذلك بسبب علل تكون فيها ، وهو نوعان شديد وقريب من الشديد ، فالشديد ما اشتد فيه ثقل الكلمة مثل وأما القريب من الشديد فما لم تكن فيه الكلمة شديدة الثقل مثل النقاخ وهو الماء العذب ، (ملع) بمعنى أسرع.[2]

وذكر العلماء أسبابا متعددة تجعل الكلمة متنافرة الحروف غير فصيحة ، منها قرب مخارج الحروف أو تباعدها تباعدا كبيرا ، فكلمة (الهعخع) حروفها متقاربة المخارج كثيرا ، فحروفها الثلاثة (الهاء و العين و الخاء) مخرجها الحلق ، و كلمة (ملع) غير فصيحة أيضا لتباعد مخارج حروفها جدا ، فالميم مخارجها الشفتين ، و العين مخرجها الحلق [3].

[1]- ينظر: حامد عوني ، المنهاج الواضح للبلاغة ، ج3 ، ص 21.

[2]- ينظر: المرجع نفسه ، ج3 ، ص 21.

[3]- ينظر : أحمد بن مصطفى المراغي ، علوم البلاغة البيان و المعاني – البديع ،

و من العلماء من قال أن السبب وجود التنافر في الكلمات هو تجاوز الحروف متضاربة الصفات ، كالرخوة و الشديدة ، أو المهموسة و المجهورة ، أو المستعلية و المستقلة أو المطبقة و المنفتحة ، مع العلم أن الحرف الواحد قد يحوي أكثر من صفة ، فكلمة (مستشزرات) يقع فيها حرف الشين بين التاء و الزاي ، وحرف الشين حرف رخو مهموس ، و التاء حرف شديد ، و الزاي حرف مجهور[1].

و لكن هذه الشروط على إطلاقها غير مسلم بها لوجود كلمات فصيحة متداولة واردة في القرآن الكريم و اللغة العربية الفصيحة تنطبق عليها الشروط السابقة ، و القرآن لا يقع فيه غير الفصيح ، فلفظة (مستشرف) كلمة عربية فصيحة و ينطبق عليها ما قيل في (مستشزرات) ، و كلمة (أعهد) وهي كلمة فصيحة واردة في القرآن الكريم ينطبق عليها ما قيل في كلمة (هعهخ) من تقارب المخارج ، وكلمة (علم) ينطبق عليها ما قيل في كلمة (ملع) من تباعد المخارج ، فلا يعول على هذه الشروط لعدم اطرادها في كل الكلمات.[2]

فإذا لم تقف هذه الشروط بكشف التنافر في الكلمات فالحكم إذا على فصاحة الكلمة لا يكون إلا بالتذوق لها تذوقا سليما و الشعور بها اللذان ينشان عن مزاولة أساليب البلغاء و ممارسة اللغة العربية الفصيحة " فما عدة الذوق ثقيلا متعسر النطق فهو متنافر ، و مالا ، فلا ، سواء أكان متقارب الحروف أو متباعدها "[3] أو مختلف صفات الحروف المتجاورة أم لا.

ب–مخالفة الوضع :

يعتبر كثير من العلماء و الباحثين في هذا الموضوع بقولهم (مخالفة القياس) و لعلها العبارة الأشهر و الأكثر انتشارا ، والقياس هو" حمل غير المنقول على المنقول في الحكم لعلة جامعة" [4] ، ومعنى

[1]– ينظر: حامد عوني ، المنهاج الواضح للبلاغة ، ج3 ، ص 24.

[2]– ينظر : المرجع نفسه ، ج3 ، ص 22 – 24.

[3]– حامد عوني ، المنهاج الواضح للبلاغة ، ج3 ، ص 24.

[4]– أحمد بن حسن الخباز ، توجيه اللمع ، دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع و الترجمة ، جمهورية مصر العربية ، ط2 ، 1428 هـ ، ص 40.

قولهم مخالفة القياس أي مخالفة القواعد النحوية و الصرفية التي وضعها العلماء لضبط اللغة العربية ، فلو وجدنا كلمة لا تجري مجرى اللغة العربية نحوا أو صرفا فهي مخالفة للقياس وغير فصيحة.

ومثال هذا النوع من الكلمات كلمة (الأجلل) كما في قول ابني النجم العجلي :

الحَمْدُ لله العَلِيِّ الأَجْلَلِ أَنْتَ مَلِيكُ النَّاسِ رَبًّا فَاقْبَلِ.

فإنَّ قياس (الأجلّ) بالإدغام لا بفك الإدغام كما فعل الراجز[1] ، ومثل قول تعنب:

مَهْلًا أَعَاذِلَ قَدْ جَرَّبْتِ مِنْ خُلُقِي إِنِّي لَأَجُودُ لِأَقْوَامٍ وَإِنْ ظَنِنُوا.

والقياس في (ظنُّوا) الإدغام أيضا، فلا يقال (ظَنِنُوا) ، ومنه أيضا صرف الممنوع من الصرف أو العكس كقول البحتري :

هَجِرَ الصَّهِيلُ كَأَنَّ فِي نَغَمَاتِهِ نَبَرَاتُ مَعْبَدَ فِي الثَّقِيلِ الأَوَّلِ.

فالقياس أن يقول (مَعْبَدٍ) بالتنوين ، ولا يستقيم الوزن بهذا ، ومنه أيضا الجمع على غير القياس المعروف مثل قول الطرماح:

وَأَكْرَهُ أَنْ يَعِيبَ عَلَيَّ قَوْمِي هِجًا فِي الأَرْذَلِينَ ذَوِي الحِنَاتِ .

" فجمع إِحْنَةً على غير الجمع الصحيح ، لأنها إِحْنَةٌ و إِحَنٌ، ولا يقال حِنَاتٌ."[2] وأمثال هذا كثير في الشعر والنثر .

ولكن المدار في الحقيقة ليس على مخالفة القياس ، بل مخالفة الوضع العربي ، وهو " تعيين اللفظ للدلالة على معنى بنفسه،" [3] أي ما نُقل من كلام العرب الفصحاء، سواء وافق القياس أم خالفه

[1]– ينظر : جلال الدين السيوطي ، المزهر في علوم اللغة و أنواعها ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1418 هـ ، ج1 ، ص 148.

[2]– ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1402 هـ ، ص 83.

[3]– عبد المتعال الصعيدي ، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، ط 17 ، 1426 ، ج3 ، ص 457.

" فمدار المخالفة على ما ثبت عند الواضع بغض النظر عن القياس المذكور ... ومثال ما خالف الثابت عن الواضع، ووافق القياس قولك (يأبي) بكسر الباء ، مضارع (يأبى) فهو غير فصيح لأنه مخالف لما ثبت عن الواضع، إذ الثابت عنه (يأبي) بفتح الياء لا بكسرها ، في حين أنه موافق للقياس الصرفي "[1] ومع هذه الموافقة فإنها لا تعد فصيحة.

ومما يؤيد هذا أيضا ورود كلمات في القرآن الكريم جاءت على غير القياس المعروف مثل كلمة (استحوذ) في قوله تعالى (استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله) ،فالقياس أن يقال (استحاذ) ، بقلب الواو ألفا لتحركها وتحرك ما قبلها ، لأنَّ أصل الكلمة: (حَوَذَ) ،ومنها قولهم(عورت عين فلان) ، والقياس أن يقال (عارت)، لتحركها وفتح ما قبلها ، فتقلب الواو ألفا ، فإثبات الواو في هذه الحالة مخالف للقياس ، ولكنه فصيح لموافقة الوضع.[2]

ومما ينبغى النتبيه عليه أنه عند كلام العلماء على الفصاحة، وأنها تكون في المفرد وفي الكلام وفي المتكلم ، ثم يأتون إلى المفرد ويذكرون فصاحة الكلمة، لزم من ذلك عدم دخول المركَّب الناقص في كلامهم ،وأنه لا يوصف بالفصاحة ، والمركب الناقص هو ما ليس بكلمة مفردة، ولا بجملة تامة الإفادة ، مثل جملة الشرط أو الاسم الموصول دون ذكر صلته ،ونحوها من الكلام غير التام الإفادة مثل قول الشاعر:

إِذَا مَا الغَانِيَاتُ بَرَزْنَ يَوْمًا وَزَجَّجْنَ الحَوَاجِبَ وَالعُيُونَا

فهو كما ترى كلام ،ولكنه غير تامِّ الإفادة.

والجواب السليم على هذا الإشكال أن يُعَمَّمَ في المفرد بأن يراد به ما ليس مركبا تاما ، ودليل هذا التوجيه " أنَّه لم يُعهد إطلاق الكلام على المركب الشامل للتام والناقص ... أما إطلاق المفرد على ما ليس كلاما فحقيقة عُرفيه...والقرينة على أن المراد بالمفرد هنا ما ليس كلاما مقابلته به." وبهذا يدخل

[1]- حامد عوني ، المنهاج الواضح للبلاغة ، ج3 ، ص 24 – 25.
[2]- ينظر : المرجع نفسه ، ج3 ، ص 26.

في فصاحة الكلمة المركب الناقص كما، أنه يدخل أيضا في قواعد فصاحة الكلام تام المعنى من جانب آخر[1].

ج- الغَرَابَةُ :

والغرابة أن تكون الكلمة غير واضحة الدلالة للمعنى الذي وضعت له ، أو هي " أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها، فيحتاج في معرفتها إلى أن يُنَقَّر عنها في كتب اللغة المبسوطة"[2] ، وتارة لا يُعثر عليها حتى في دواوين اللغة ، فالغرابة إذ عيب في دلالة اللفظ على معناها، وإن كانت سالمة من التنافر ،ومخالفة الوضع.

وسبب وجود هذا العيب في الكلمات أمران ، الأول منهما " عدم تداول الكلمة في لغة العرب الخلص ، فيحتاج في معرفتها إلى البحث والتنقيب في معاجم اللغة إذ لا يذكرها من اللغويين إلا القليل ،"[3] وهذا مثل قول عيسى بن عمر النحوي لما سقط عن حماره و اجتمع عليه الناس :" مالكم تَكَأْكَأْتُم عليَّ تَكَأْكُؤُكُم على ذي جنة ؟ افْرَنْقِعُوا عني" أي مالكم اجتمعتم علي اجتماعكم على مجنون ؟ تفرقوا عني ، فلفظتي (تكأكأتم) و (افرنقعوا) غير واضحتا الدلالة على المراد منهما [4].

والأمر الثاني هو " عدم استعمال الكلمة عند العرب الخلَّص بالمعنى الذي أريد منها فيحتاج في معرفتها إلى تخريج على وجه بعيد"[5] أي أن لفظ الكلمة متداول في اللسان العربي ، ولكن لمعنى غير المعنى الذي وظفها له القائل ، ومثال ذلك لفظة (مسرجا) في قول رؤبة بن العجاج :

---

[1]- ينظر : حامد عوني ، المنهاج الواضح للبلاغة ، ج3 ، ص 19 – 20 .

[2]- جلال الدين السيوطي ، المزهر في علوم اللغة و أنواعها ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1418 ، ج1 ، ص 147.

[3]- حامد عوني ، المنهاج الواضح للبلاغة ، ج3 ، ص 30.

[4]- ينظر : أحمد بن علي القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط1 ، 1987 م ، ج2 ، ص 256.

[5]- حامد عوني ، المنهاج الواضح للبلاغة ، ج 3 ، ص 30.

وَمُقْلَةً وَحَاجِبًا مُزَجَّجًا وَفَاحِمًا وَمَرْسَنًا مُسَرَّجَا

" فإنه لم يعرف ما أراده بقوله مُسَرَّجَا ، حتى اختلف في تخريجه "[1] وذلك لأنه أراد بها معنى غير معناها المتداول عند العرب.

ويلاحظ أن عدم ظهور دلالة اللفظ،إمَّا باعتبار جوهره، فيحتاج إلى البحث العميق في المعاجم وكتب اللغة ، وإمَّا باعتبار دلالته على المعنى فيحتاج إلى تخريج على وجه بعيد ، وكلاهما " منظور فيه إلى الخلَّص من الأعراب سكان البادية...أما المولَّدين فغير منظور إليهم في ذلك ، وإلَّا لخرج كثير من قصائد العرب ، بل جُلها عن الفصاحة لغلبة الجهل باللغة على غير أربابها " [2] ، فلا عبرة بعدم معرفة المتأخرين لكلمات عربية أو لمعانيها فإنَّ هذا لا يقدح في فصاحتها.

وزاد بعض العلماء عيبا رابعا من عيوب فصاحة الكلمة ، وهو كراهة السمع لها ،" أي كونها مَمْجُوجَةٌ في الأسماع تَأْنَفُهَا الطِّباع ، خشنة وحشية "[3] مثل قول المتنبي بمدح سيف الدولة:

مُبَارَكُ الاسْمِ أَغَرُّ اللَّقَبْ كَرِيمُ الجَرَشَّى شَرِيفُ النَّسَبْ

فكلمة (الجَرَشَّى) كلمة ثقيلة على السمع مكروهة فيه ، ومثل قول امرئ القيس الكِنْدِي صاحب المعلقة حين حضره الموت :" رُبَّ جَفْنَةٍ مُتْعَنْجِرَةْ ، وَطَعْنَةٍ مُسْحَنْفِرَةْ، تَبْقَى غَدًا بِأَنْقُرَةْ. " فكلمتا (مُتْعَنْجِرَة) و (مُسْحَنْفِرَة) كلمتان ثقيلتان في السمع [4].

ولكن عند التأمل نجد بأنَّ هذا العيب ناتج عن العيوب الثلاثة السابقة، وذلك لأنَّ " استكراه السمع اللفظ ، إنما جاء من ناحية وحشيته لغرابيته ، أو من ناحية تنافر حروفه ... وحينئذ ففي ذكر

[1]- جلال الدين السيوطي ، المزهر في علوم اللغة و أنواعها ، ج1 ، ص 148.

[2]- حامد عوني ، المنهاج الواضح للبلاغة ، ج3 ، ص 30.

[3]- عبد الرحمن بن حسن الميداني ، البلاغة العربية ، دار القلم ، دمشق ، سوريا ، ط1 ،1416 هـ ، ج1 ، ص 115.

[4]- ينظر : إميل بديع يعقوب ، المعجم المفصل في شواهد العربية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1417 هـ ، 1996 ، ج10 ، ص 93.

الغرابة أو التنافر غنية عن ذكر هذا العيب."[1] فهو ناجم عنها، ونتيجة حتمية لهما، خاصة العيب الأول (تنافر الحروف).

مما يلحظ بعد ذكر فصاحة الكلمة أن مدار هذه الفصاحة على كثرة استعمال العرب لها " ولا شك في أن ذلك هو مدار الفصاحة"[2] ولما تأخر الزمان، واختلط اللسان العربي ، وبَعُدَ الناس عنه، صعبت معرفة المتداول من كلام العرب من غيره، فقام العلماء بتحرير ضابطٍ " يُعْرَفُ به ما أكثرت العرب من استعماله من غيره، فقالوا الفصاحة في المفرد خَلُوصُه من تنافر الحروف ومن الغرابة ومن مخالفة القياس اللغوي، " [3] وذلك تبسيطا للمتعلمين، وتسهيلا لمعرفة الفصيحة من غيرها.

2-فصاحة الكلام :

يُعَرِّف النحاةُ الكلام بأنه " اللفظ المركب المفيد بالوضع."[4] وفصاحته شيء زائد على إفادته ، فالإفادة مشروطة فيه، ولا يُسَمَّى كلاما إذا لم يكن مفيدا ، أما الفصاحة فيه فهي " أن يكون خاليا من أربعة عيوب مع شرط فصاحة مفرداته،وهي :

العيب الأول : تنافر الكلمات عند اجتماعها ، ولو كانت فصيحة .

العيب الثاني : ضعف التأليف

العيب الثالث : التعقيد اللفظي

العيب الرابع: التعقيد المعنوي، "[5] وهذه العيوب إما عيوب لفظية أو عيوب معنوية

[1]- حامد عوني ، المنهاج الواضح للبلاغة ، ج3 ، ص 31.
[2]- جلال الدين السيوطي ، المزهر في علوم اللغة و أنواعها ، ج1 ، ص 147.
[3]- المرجع نفسه ، ج1 ، ص 147.
[4]- ابن آجروم ، متن الآجرومية ، دار الصميعي ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، د.ط ، 1419 هـ ، 1998 م ، ص 5.
[5]- عبد الرحمن بن حسن الميداني ، البلاغة العربية ، ج1 ، ص 117.

وإنما كانت فصاحة الكلام محصورة في هذه العيوب الأربعة لأن " الكلام له (مادة)وهي أجزاؤه ،أي الكلمات التي تتركب منها، وله (صورة)، وهي هيئة تأليفه من هذه الكلمات ، وله دلالة على معناه فعيبه إمَّا في مادته وهو التنافر، أو في صورته وهو ضعف التأليف، أو في دلالته على المعنى وهو التعقيد."[1] وهذا مع اشتراط فصاحة كلماته بالشروط التي مرت في فصاحة الكلمة.

ولابد من التعرض لهذه العيوب واحدا واحدا،لأهميتها في البلاغة التي تعتمد على فصاحة الكلام.

أ- تنافر الكلمات عند اجتماعها:

وهو أن تكون الكلمات عند اجتماعها ذات ثقل على اللسان عسيرة النطق،ولو كانت الكلمات مفردة فصيحة خالية من العيوب، " فالمراد هنا بالتنافر تنافر الكلمات ، أن يقع التنافر بين الكلمات يعني اثنين فأكثر، أو اثنتين فأكثر ، أي منافرة كل واحدة للأخرى، لا منافرة أجزاء الكلمة بعضها ببعض ، لأنه لو تثبت المنافرة بين أجزاء الحروف نَعُدُّ اللفظ والكلمة غير فصيحة. "[2] ففصاحة الكلمة مشروطة في فصاحة الكلام أولا، ثم ينظر بعدها إلى الكلمات مجتمعة.

وقسمه العلماء إلى نوعين : تنافر شديد و تنافر خفيف ، فأما الشديد مثل البيت الذي ذكره الجاحظ: [3]

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانِ قَفْرٍ وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ.

ومنه قول الشاعر:

أَزَجُّ زَلُوجٌ هَزْرَفِيٌّ زَفَازِفُ هَزَفٌّ يَبِرُ النَّاجِيَاتِ الصَّوَافِيَا.

[1]- حامد عوني ، المنهاج الواضح للبلاغة ، ج3 ، ص 32.

[2]- أحمد بن عمر الحازمي ، شرح مائة المعاني و البيان ، الدرس الثاني ، المكتبة الشاملة 3 .

[3]- ينظر: عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان و التبيين ، دار صعب ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1968 ، ص 49.

فيلاحظ الثقل الشديد عند قراءة هذين البيتين، وعسرا في النطق بهما ،مع أن كلماتهما لا يَعْسُر النطق بها مفردة.

وأمَّا النوع الثاني، وهو التنافر الخفيف فمثل قول الحريري صاحب المقامات :

" وَازْوَرَّ مَنْ كَانَ لَهُ زَائِرًا وَعَافَ عَافِي العُرْفِ عِرْفَانُهُ. "[1]

ومثل "قول أبي تمام :

كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحْهُ أَمْدَحْهُ وَالوَرَى مَعِي وَإِذَا مَا لُمْتُه لُمْتُهُ وَحْدِي.

والشاهد فيه (أمدحه أمدحه)، فإن في اجتماع هاتين الكلمتين ثقلا في النطق بهما، يَشعر به صاحب الذوق السليم "[2] مع أن كلمة (أمدحه) مفردة فصيحة لا عيب فيها .

ب–ضعف التأليف :

والمراد بالتأليف تأليف الكلام على قواعد النحو المشهورة، فكلما خالف المتكلم قوانين النحو المشهورة ،كلما قلَّت فصاحة كلامه ، فمدار ضعف التأليف على مخالفة قواعد النحو ، وعَرَّفَهُ حامد عوني بقوله :" هو أن يكون الكلام في تركيبه مخالفا للمشهور من قوانين النحو التي اعتمدها جمهور النحاة."[3] فكلما كبرت المخالفة كلما بعد الكلام عن الفصاحة.

ومثَّلَ البلاغيون لذلك بالإضمار قبل ذكر المرجع لفظا أو معنى أو حكما ، فالأول ظاهر ، وأما ذكره معنى فلوجود ما يقتضي تقديمه ، وأما حكما فكتقدُّم الفاعل على المفعول به في الترتيب ، إلا لنكتة بلاغية ، فقد يقدم ما حقه التأخير ، ومثاله قول سلط بن سعد:

جَزَى بَنُوهَ أَبَا الغَيْلَانِ عَنْ كِبَرٍ وَحُسْنِ فِعْلٍ كَمَا يُجْزَى سِنِمَّارُ.

[1]– القاسم بن علي الحريري ، مقامات الحريري ، مطبعة المعارف ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، 1873 م ، ص 352.
[2]– حامد عوني ، المنهاج الواضح للبلاغة ، ج1 ، ص 19.
[3]– المرجع نفسه ، ج3 ، ص 19.

فالضمير في (بنوه) يعود على (أبا الغيلان) ، وهو متأخر لفظا ومعنى وحكما ، وكما في قول الشاعر:

جَزَى رَبُّهُ عَنْهُ عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ جَزَاءَ الكِلَابِ العَاوِيَاتِ وَقَدْ فَعَلْ.

فالضمير في (ربه) يعود على (عدي بن حاتم) ، وهو متأخر أيضا في اللفظ والمعنى والحكم.

ويلحظ أن المراد بمخلفة قواعد النحو ، مخالفة المشهور من أقوال النحاة لا مخالفة قواعد النحو مخالفة صريحة ، لأنَّ هذا يعد خطأً لا ضعف تأليف، فلو نصب قائل المرفوع، ورفع المنصوب، أو حذف ما لا يجوز حذفه ،كان كلامه خاطئا مخالفا للوضع العربي لا ضعف التأليف.

ومن ضعف التأليف أيضا حذف حرف النصب (أن)، مع بقاء عملها في الجملة، مثل قول طرفة بن العبد :

أَلَا أَيُّهَا الزَّاجِرِي أَحْضُرَ الوَغَى وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي.

والشاهد في قوله (أحضرَ) بالنصب على حذف الأداة الناصبة (أَنْ) ، ومنه أيضا وقوع ضمير الوصل بعد إلا كما فعل أبو فراس الحمداني فقد خَرَجَ عن المشهور من أقوال النحاة في قوله :

وَكُلُّ مُنْتَظَرٍ إِلَّاكَ مُحْتَقَرٌ وَكُلُّ شَيْءٍ سِوَى لُقْيَاكَ مَمْلُولُ.

وقول الشريف الرضي:

لَمَّا غَدَا السِّرْبُ يَعْطُو بَيْنَ أَرْحُلِنَا مَا كَانَ فِيهِ غَرِيمُ القَلْبِ إِلَّاكِ .

والشاهد من البيتين في (إلاك)، و الأصل أن يقال إلَّا إياك. [1]

ج–التعقيد اللفظي :

[1]– ينظر : عبد المتعال الصعيدي ، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح ، ج1 ، ص 17.

وهو ما يسميه بعض البلاغيين المعَاضَلَةُ ، وهو أن يكون المعنى خفيا يسبب خلل في نظم الكلام وتركيبهِ " بحيث تكون الألفاظ غير مرتبة على وفق ترتيب المعاني،"[1]وذلك كالتقديم والتأخير، أو الحذف أو الفصل بأجنبي بين الكلمات واجبة التجاور، مما يترتب عليه صعوبة في فهم المراد من الكلام، بحيث لا يُهْتَدَى إلى معناه إلا بعد جهد ومعاناة، وإعمال الفكر فيه.

وينقسم هذا النوع من التعقيد إلى قسمين : شديد وخفيف ، فأما الشديد فمثل قول الفرزدق يمدح إبراهيم بن المخزومي خال الخليفة هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي:. .

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمَلَّكًا أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُه.

" يريد أن يقول ليس مثل الممدوح في الناس حتى يقاربه في الفضائل إلا مَلِكًا أُمُّ ذلك الملك أبو الممدوح ، أي لا يحاكيه أحد إلا ابن أخته الخليفة هشام بن عبد الملك ،ولا يخفى ما في كلام الفرزدق من التعقيد الناجم عن الإخلال في ترتيب ألفاظه ،والفصل بين أجزائه [2].

وأما القسم الثاني، وهو التعقيد الخفيف، فهو ما كان أقل تعقيدا بحيث يُفهم بعد تفكير خفيف، وجهد غير مضني مثل قول الفرزدق يصف ذئبا : :

تَعَالَ فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لَا تَخُونُنِي نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذِئْبُ يَصْطَحِبَانِ.

والأصل أن يقال :" نكن يا ذئب مثل من يصطحبان ." وقريب منه قول النابغة:

يُئِرْنَ الثَّرَى حَتَّى يُبَاشِرْنَ بَرْدَه إِذَا الشَّمْسُ مَجَّتْ بَقَّايَاهَا بِالكَلَاكِلِ .

والأصل أن يقال :" يُئرن الثَّرى حتى يباشرن برده بالكلاكل ، ففصل بين ما يجب ألا يفصل، وإلَّا انغلق المعنى وأُبهم [3].

[1]– أحمد بن إبراهيم الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع ، ص 33

[2]– ينظر : حامد عوني ، المنهاج الواضح في البلاغة ، ج3 ، ص 38 – 39.

[3]– أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، 1419 هـ ، ص 164.

د- التعقيد المعنوي :

وهو أن يكون للكلام خفيَّ الدلالة على المعنى المراد منه، لخلل في انتقال الذهن من المعنى الأول الظاهر من اللفظ، إلى المعنى المقصود ، بحيث يكون إدراك المعنى الثاني من الأول بعيدا، [1] مما يعتقد عملية الفهم والاستنباط ،" ويكون باستخدام لوازم فكرية بعيدة أو خفية العلاقة أو استخدام كنايات من العسير إدراك المراد منه،"[2] مما يؤدي إلى خفاء الدلالة من الكلام إلَّا بعد فكر عميق واستنباط بعيد.

ومن أمثلة هذا النوع من التعقيد قول العباس بن الأحنف :

سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرَبُوا وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لِتَجْمُدَا.

ومعناه أنه سوف يختار فراق الأحبة عمدا، لكي تكون العاقبة الوصل الدائم الذي لا فراق معه، " فأبعد في هذه الكناية لكثرة لوازمها الذهنية، التي لا تدرك إلا باجتهاد ذهني، "[3] مع أن التركيب سليم لا تعقيد لفظي فيه.

وجَوَّزَ البلاغيون في هذا النوع ما كان في مقام يراد به الإخفاء لعلة ما، " فيجوز من اللَّبس والكناية ما هو خفيف، والأحسن أن يكون المعنى المطلوب أظهر من الآخر"[4]، ومَثَّلوا له بقول المتنبي يهجو كافور الإخشيدي في صورة مدحه فقال:

وَمَا طَرَبِي لَمَّا رَأَيْتُكَ بِدْعَةً لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَرَاكَ فَأَطْرَبَا.

وزاد بعض البلاغيين عيوبا أخرى يجب اجتنابها في الكلام الفصيح ، وهي كثرة التكرار وتتابع الإضافات ، ومثلوا بقول ابن يابك :

حَمَامَةَ جَرْعَا حَوْمَةَ الجَنْدَلِ اسْجَعِي فَأَنْتِ بِمَرْأَى مِنْ سُعَادٍ وَمَسْمَعِ.

---

[1]- ينظر : حامد عوني ، المنهاج الواضح في البلاغة ، ج3 ، ص 41.

[2]- عبد الرحمن بن حسن الميداني ، البلاغة العربية ، ج1 ، ص 125.

[3]- المرجع نفسه ،ج1 ، ص 126.

[4]- محمد الطاهر بن عاشور ، أصول الإنشاء و الخطابة ، مكتبة دار المنهاج للنشر و التوزيع ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط1 ، 1433 هـ ، ص 66.

فأضاف الجندل إلى حومة، وأضافها إلى جرعا، التي أضافها إلى حمامة ، والسبب في عدهما عيبا أنهما يفضيان إلى ثقل في اللسان.[1]

ولا يُسَلَّمُ لهم بهذا على إطلاقه ، وذلك لورود التكرار، وتتابع الإضافات في الكلام الفصيح البليغ ، بل في الأفصح والأبلغ ألَا وهو القرآن الكريم، و السنة النبوية ،كما في سورة الرحمن حيث تكرر قوله تعالى:" فبأي ألاء ربكما تكذبان " [2] ، و في قوله عليه الصلاة و السلام :" وَإِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ أَتَّخِذَ مِنْكُمْ خَلِيلًا ، وَلَو أَنِّي اتَّخَذْتُ مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ، إِنَّ الله اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا"[3]، وهذا من الكلام الفصيح قطعا، مع تكرار لفظة (خليلا) خمس مرات.

وفي تتابع الإضافات نجد قوله تعالى:﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾)[4] والقرآن أبلغ الكلام بلا خلاف ، وقوله تعالى:﴿مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ۝٣١﴾[5] ،ومن الحديث النبوي نجد قوله عليه الصلاة و السلام :" الكَرِيمُ بْنُ الكَرِيمِ بْنُ الكَرِيمِ بْنُ الكَرِيمِ ، يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنُ إِسْحَاقَ بْنُ إِبْرَاهِيمَ. "[6] فيلحظ فيه كثرة الإضافات مع فصاحته.

ولكن إذا أدى التكرار، أو تتابع الإضافات إلى ثقل في النطق ،وعُسْرٍ في اللسان ، فهو معدود من عيوب الفصاحة ، ومَرَدُّه إلى العيب الأول : تنافر الكلمات ، وذِكْرُ هذا العيب يُغني عن عَدِّ التكرار وتتابع الإضافات عيوبا مستقلة،" فالتنافر حاصل من التكرار... لأن الكلمات المتماثلة متنافرة ... والتنافر حاصل من الإضافات،"[7] فيعد عيبا ما دام فيه ثقل وتنافر، وأمَّا إذا أحسن المتكلم استعمالهما بحيث لا يكون فيه ثقل، كان من الفصاحة والجودة.

[1]- ينظر : أحمد بن إبراهيم الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع ، ص 32.

[2]- سورة الرحمن ، الآية ، و تكررت هذه الآية الكريمة في هذه السورة إحدى و ثلاثين مرة.

[3]- محمد بن حيان ، صحيح ابن حيان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1414 هـ ، 1993 ، ج14 ، ص 334 ، رقم 6425.

[4]- سورة مريم ، الآية 2.

[5]- سورة غافر ، الآية 31.

[6]- محمد بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ،

[7]- بهاء الدين السبكي ، عروس الأفراح في تلخيص المفتاح ، المكتبة العصرية للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1423 هـ ، 2003 م ، ج1،ص85.

3-فصاحة المتكلم

وهي القسم الثالث من أقسام الفصاحة، وهي " مَلَكَةٌ أو صفة قائمة بنفس المتكلم راسخة فيه يستطيع بها أن يعبر تعبيرا صحيحا فصيحا عما يجول بخاطره، و يجيش بصدره من الأغراض المقاصد."[1] ، فهي غريزة في المتكلم يستعملها متى شاء، وفي أيِّ فن من فنون الكلام شاء ، فيكون فصيحا ولو لم ينطق ،كما أن الإنسان السَّوي مُتكلم ولو لم ينطق ، ولا تطلق الفصاحة على الفصيح الجُزئي الذي يكون فصيحا في فن دون فن .

وهذه الملكة لا تتكون إلا بعد ممارسة طويلة لأساليب العرب الفصحاء، ومعرفة قواعد النحو والصرف والبلاغة، مع حفظ كثير من فصيح المنظوم و المنثور [2] ، وأَجَلُّ ما تحصل به هذه الملكة، وما يقدم فيها: حفظ كتاب الله عز و جل، إذ هو أبلغ الكلام ، وكذلك حفظ أحاديث النبي صلى الله عليه و سلم الصحاح، إذ هو أفصح الكلام بعد القرآن الكريم.

2/- المبحث الثاني :البلاغة

1- تعريف البلاغة :

أ- لغة :

أصول هذه الكلمة الباء و العين و اللام في أي كلمة وجدت أفادت معنى الوصول والانتهاء إلى غاية ، ومن هذه الأصول أربعة أفعال مستعملة هي غلب وبلغ وبغل ، ولغب ، فالغلب فيه معنى الوصول إلى المراد، وهو الانتصاف من المغالب ، ولغب هي شدة الإعياء، وفيها معنى الوصول أي بلغ منه الإعياء منتهاه[3]، وهكذا في باقي الأفعال عند التأمل ، وهذا ما سماه ابن جني بالاشتقاق الأكبر[4].

---

[1]- حامد عوني ، المنهاج الواضح للبلاغة ، ج3 ، ص 49.

[2]- حامد عوني ، المنهاج الواضح للبلاغة ، ج3 ، ص 49 .

[3]- ينظر : الخليل بن أحمد الفراهيدي ، معجم العين ، دار و مكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.س ، ج4 ، ص 420 – 421.

[4]- ينظر : ابن جني ، الخصائص ، ج2 ، ص 136.

ويدور معنى البلاغة في اللغة على معنى الوصول إلى الشَّيء أيضا والانتهاء إليه ، قال ابن فارس :" (بلغ) الباء واللام والغين أصل واحد هو الوصول إلى الشيء ، تقول بلغت المكان إذا وصلت إليه ، وقد تسمى المشارفة بلوغا بحق المقاربة" [1] أي لقرب الوصول ،كما يقول المقيم للصلاة : (قد قامت الصلاة) أي قد قرب وقت إقامة الصلاة.

كما أن من معانيها اللغوية : الكفاية من الشيء ، وحسنه وجودته ، قال الخليل بن أحمد الفراهيدي :" وفي كذا بلاغ وتبليغ أي كفاية ، وشيء بالغ أي جيد ، والمبالغة أن تبلغ من العمل جهدك "[2] ومثله ما ذكره الجوهري قائلا :" والبلاغ أيضا الكفاية "[3] أي الاكتفاء من الشيء، ونيل الحاجة منه.

ب–اصطلاحا:

كثرت تعريفات البلاغيين والأدباء للبلاغة ، وكثيرٌ من تعريفات المتقدمين هي أوصاف للبلاغة وكلّ تعريف لها يتناول جانبا من جوانبها، أو مقصدا من مقاصدها ،أو هو وصفًا من أوصافها ، لذا فينبغي في تعريفها سلوك مسلك تعريف الفصاحة ، وذلك بتعريفها بأجزائها ، وأجزاؤها – أو ما يوصف بالبلاغة – شيئان هما الكلام والمتكلم، ولا توصف الكلمة بالبلاغة لعدم ورود السماع بذلك [4]

ولابد من التركيز على جوانب رئيسية في تعريف البلاغة اصطلاحا وهي :" وظيفتها في تحقيق العصمة من الخطأ في مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ومعرفة أنواع الدلالة، ومراتبها من حيث البيان ، ثم هي مبنية على التذوق، "[5] وهذا ما يجعلها متفاوتة بحسب تحقيق هذه الجوانب فيها، وظهورها عليها.

1–بلاغة الكلام :

[1]– ابن فارس ، مقاييس اللغة ، ج1 ، ص 301 ، مادة (بلغ) .

[2]– الخليل بن أحمد الفراهيدي ، معجم العين ، ج4 ، ص 421.

[3]– إسماعيل بن حماد الجوهري ، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية ، ج4 ، ص 316 ، مادة (بلغ).

[4]– ينظر : حامد عوني ، المنهاج الواضح للبلاغة ، ج1 ، ص 28 .

[5]– نعمان بوقرة ، النظرية اللسانية عن ابن حزم الأندلسي ، اتحاد الكتاب العربي ، دمشق ، سوريا ، 2004 م ، ص 63.

من أوجز التعريفات لبلاغة الكلام تعريف أبي البقاء الكفوي لها بقوله :" وأما بلاغة الكلام فمطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته. "[1] وقال في موطن آخر " البلاغة هي التعبير عن المعنى الصحيح لما طابقه من اللفظ الرائق من غير مزيد على المقصد ، ولا انتقاص عنه في البيان "[2] ، فهي تعبير عن المعنى بلفظ فصيح، مع توخي الدِّقة في إصابة المراد من الكلام.

وعَرَّفَها محمد الطاهر بن عاشور بأنها :" العلم بالقواعد التي بها يعرف أداء جميع التراكيب حقها وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها، وإيداع المحسنات بلا كلفة مع فصاحة الكلام" [3] فأكَّد على حسن وضع الصور البيانية والمحسنات البديعية في محلها المناسب، دون إفراط ولا تفريط.

وقال حامد عوني في تعريفها بعدما فرَّق بين بلاغة الكلام وبلاغة المتكلم : " هي مطابقته لمقتضى حال المخاطب مع سلامته من العيوب المخلة بفصاحته وفصاحة أجزائه ... ومقتضى الحال ، هو تلك الصورة الخاصة التي ورد عليها كلام المتكلم، "[4] أي بأن يعبر بالتنكير في محله، وبالتعريف في محله، وبالتأكيد في محله، والمبالغة فيه في محلها وهكذا.

وجمع المناوي أصول البلاغة عندما عرفها فقال :" والبلاغة تقال على وجهين : أحدهما أن يكون الكلام بليغا، وذلك بجمع ثلاثة أوصافٍ ، صوابا في موضع لغته ، وطِبْقًا للمعنى المقصود به ، وصدقا في نفسه ، فمتى اختل شيء منها اختلت البلاغة." [5] وهو بتعريفه هذا يثبت أمرا مهما، ألا وهو بلاغة الكلام بذاته دون النظر إلى المتلقي ، وهذا ما جعل كثيرا من العلماء يحكمون على عبارات بأنها بليغة بمجرد سماعهم لها، وهذه البلاغة،غير البلاغة الخطابية،والتي مدارها هو التناسب بين المعاني والمستمعين[6].

والمستمعين[6].

[1]- الكفوي ، الكليات ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.س ، ص 237 .

[2]- المرجع نفسه ، ص 236 .

[3]- محمد الطاهر بن عاشور ، موجز البلاغة ، ص 5 .

[4]- حامد عوني ، المنهاج الواضح للبلاغة ، ج1 ، ص 28 .

[5]- المناوي ، التوقيف على مهمات التعاريف ، ص 83 .

[6]- ينظر:إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص 67 .

وبعد هذا العرض لبعض تعاريف البلاغة تتبين الأصول العامة التي تنبني عليها، وهي التي تؤدي إلى تفاضل الكلام في بلاغته، ويمكن إجمالها في ثلاثة أصول هي :

1- الجمال المؤثر في النفوس ، وهو القدر المطلق من الجمال الذي تميل إليه جميع النفوس البشرية وتتفق عليه، وهو غير الجمال النسبي الذي لا يتفق عليه جميعهم.

2- أن يكون الكلام فصيحا خالٍ من العيوب المخلة بفصاحته.

3- أن يكون الكلام موافقا لمقتضى الحال، ومراعيا حالَ المخاطبين، ومناسبا لما قيل من أجله [1]

وتتفرع عن هذه الأصول الثلاثة، عناصر البلاغة العامة وهي خمسة عناصر :

1- الالتزام بقواعد اللغة من نحو وصرف، واختيار الفصيح من المفردات والجمل والقواعد .

2- الاحتراز من الخطأ في تأدية المعنى .

3- اجتناب التعقيد في أداء المعاني ، سواء من جهة اللفظ أم من جهة المعنى.

4- اختيار الكلمات الجميلة والعبارات الرائقة التي يدرك جمالها بالحسن المرهف، والذوق الرفيع السليم.

5- انتقاء المعاني الجميلة الشريفة، وتقديمها في قوالب لفظية تناسبها[2].

2-بلاغة المتكلم :

وهي – مثل فصاحة المتكلم – ملكة قائمة بذات المتكلم يستطيع بها أن يؤلف الكلام البليغ ويشترط فيه أن يكون فصيحا ، قال الجرجاني :" البلاغة في المتكلم ملكة يقتدر بها تأليف كلام بليغ ، فعلم أن كل بليغ –كلاما كان أو متكلما – فصيح ، لأن الفصاحة مأخوذة في تعريف البلاغة ، وليس

[1]- ينظر : عبد الرحمن بن حسن الميداني ، البلاغة العربية ، ج 1 ، ص 19 .

[2]- ينظر : المرجع نفسه، ج1 ، ص 132.

كل فصيح بليغ ."[1] فالبلاغة قدر زائد على الفصاحة فهي فصاحة وجمال، وموافقة مقتضى حال المخاطبين.

وهذه الملكة – بلاغة المتكلم – نتاج لعدة عوامل أولهما تحقُّقُ فصاحة المتكلم، ويزاد عليها العلم بحال المخاطبين على اختلاف طبقاتهم، وتوخي الجمال في عباراته ، وما يكون مؤثرا في النفوس وجاذبا لها، مع طول الممارسة ، فللمران " يد لا تجحد في تكوين الذوق الفني وتنشيط المواهب الفاترة "[2] ، مما يساهم في إخراج متكلمين بلغاء ذوي فطر سليمة تتذوق الكلام، وتمَيِّيز بين البليغ وما دونه ،وتمَيِّيزُ بين درجات البليغ أيضا.

2–علوم البلاغة الثلاثة ومساهمتها في الجمال و مقتضى الحال:

قسَّم المتأخرون البلاغةَ إلى ثلاثة أقسام : علم المعاني ،وعلم البيان ،وعلم البديع ، فالتعقيد المعنوي " يعرف بعلم البيان ، والأحوال ومقتضياتها تعرف بعلم المعاني , وخلو الكلام من أوجه التحسين التي تكسوه رقة ولطافة بعد رعاية المطابقة تعرف بعلم البديع "[3] ، فهي علوم متكاملة تصب كلها في تأسيس الكلام البليغ، وتكوين المتكلمين البلغاء .

وإن كان حصر علم المعاني بمعرفة الأحوال ومقتضياتها لا يسلَّم ، بل كل العلوم الثلاثة تتضافر لمراعاة مقتضى الحال :" فالمطابقة مطلوبة في كل فن من فنون البلاغة بين اللفظ والمعنى والتركيب ، والغرض الذي يصاغ له ، ومطابقة ذلك كله لعقول السامعين ونفسياتهم "[4] ، و هذه المطابقة ترفع من شأن الكلام ،وتعلي مرتبته في سلم البلاغة.

وهذا عرض لعلوم البلاغة الثلاثة مع بيان أثرها في بلاغة الكلام :

أ–علم المعاني :

[1]– علي بن محمد الجرجاني ، التعريفات ، ص 66.

[2]– علي الجارم وأحمد امين ، البلاغة الواضحة ، ص 15 .

[3]– أحمد بن ابراهيم الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع ، ج1 ، ص 44.

[4]–مجموعة من الباحثين، البلاغة 2 – المعاني –، جامعة المدينة ،المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية،د.ط،د.ت ،ص 69.

وهو العلم الذي يعرف به أحوال الألفاظ التي يطابق بها مقتضى الحال ، فعلم المعاني " أصول وقواعد يعرف بها أحوال الكلام العربي التي يكون بها مطابقا لمقتضى الحال ، بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له " [1] ، ففطنة المخاطب وذكاؤه حال يتقتضي من المتكلم عدم الإطناب والإعادة والتكرار وتبسيط الكلام ، و كذلك التقديم والتأخير والحذف والتعريف والتنكير وغيرها.

ومما يلحظ أن كثيرا من أحوال اللفظ المذكورة تبحث في علم النحو، ولكن الفرق بين تناول البلاغيين لها و تناول النحاة هو في طبيعة البحث ، فالبحث النحوي بحث تحليلي ، يسعى للكشف عن الوظائف ، و البحث البلاغي بحث تركيبي، يهدف إلى إيضاح الدلالات والكشف عن خصوصيات هذه التراكيب ، فعلم النحو يبحث في هذه الأحوال من حيث الصحة والفساد، وأما علم المعاني في البلاغة فيبحث في سر بلاغتها ومطابقتها لمقتضى الحال [2].

و علم المعاني يُبْحَثُ في مجمله في ثمانية أبواب هي :

1- أحوال الإسناد الخبري .
2- أحوال المسند إليه .
3- أحوال المسند .
4- أحوال متعلقات الفعل .
5- القصر .
6- الإنشاء .
7- الفصل والوصل .
8- الإيجاز والإطناب والمساواة[3] .

ب-علم البيان :

[1]- أحمد بن إبراهيم الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع ، ج1 ، ص 47.
[2]- مجموعة من الباحثين ،البلاغة 2 – المعاني ، ، ص 69 .
[3]- ينظر : جلال الدين القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، د.ت ، ج1 ، ص 55.

أول من ألف في مسائل علم البيان هو أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه مجاز القرآن ، ثم تلاه الجاحظ ، ثم ابن المعتز ، ثم قدامه بن جعفر ، ثم أبو هلال العسكري ، ثم عبد القاهر الجرجاني فاحكم هذا العلم وأتمه وأكمله[1].

وعَرَّفَ البلاغيون علم البيان في الاصطلاح بأنه :" أصول وقواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق يختلف بعضها عن بعض في وضوح الدلالة العقلية على نفس ذلك المعنى "[2] ، فالمعنى الواحد يمكن التعبير عنه بأساليب مختلفة وجمل متباينة .

فإذا نظرت مثلا إلى المدح بالكرم لوجدت لهذا الغرض أساليب كثيرة لا تكاد تحصى ، وكلٌّ له حسنه وجماله ورونقه :" فإنَّ للشعراء ورجال الأدب افتنانا، وتوليد الأساليب والمعاني لا يكاد ينتهي إلى حد ... و ... عند قراءتك الشعر العربي والآثار الأدبية ستجد بنفسك هذا ظاهرا ، وستندهش للمدى البعيد الذي وصل إليه العقل الإنساني في التصوير البلاغي ، والإبداع في صوغ الأساليب "[3] الجميلة والعبارات الرائقة التي تقتحم النفوس وتثير الوجدان.

ويشمل علم البيان ثلاثة أبواب هي التشبيه والمجاز والكناية ،" وعلى هذا فموضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة ، وصاحبه يسأل عن أحوالهما اللفظية والمعنوية ، وهو والنحو يشتركان في أن النحوي ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي ، وتلك دلالة عامة ، وصاحب البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة ، وهي دلالة خاصة ، والمراد بها أن تكون على هيئة مخصوصة من الحسن "[4] ، فعلم البيان يهتم بدلالة محددة لتنوع تراكيب الألفاظ ، فالنحوي يفهم معنى الكلام ، ولكنه لا يفهم ما فيه من بلاغة وجمال.

ج- علم البديع :

[1]- ينظر:عبد الرحمن الميداني ، البلاغة العربية ، ج2 ، ص 125.

[2]- أحمد بن إبراهيم الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع ، ج1 ، ص 216.

[3]- علي الجارم وأحمد أمين ، البلاغة الواضحة ، ج1 ، ص 163.

[4]- ضياء الدين بن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ، المكتبة العصرية للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، 1420 هـ ، ج1 ، ص 26.

واضعه هو عبد الله بن معتز العباسي (ت 274 هـ) ، ثم اقتفى أثره من معاصريه قدامة بن جعفر ، فزاد على ما ألفه ابن المعتز ، وألَّف فيه كثيرون مثل أبي هلال العسكري ، وابن رشيق القيرواني ، وصفي الدين الحلي ، وابن حجة الحموي ، وغيرهم ممن زاد على ما جاء به ابن المعتز ، ونظموا في هذا الفن منظومات تعرف بالبديعيات .

وعَرَّفه البلاغيون بأنه " العلم الذي تُعرف به المحسنات الجمالية والمعنوية واللفظية المنثورة التي لم تلحق بعلم المعاني ولا بعلم البيان "[1] ، فهو علم يعرف به أوجه تحسين الكلام بعد مراعاة تطبيقه على مقتضى الحال، واجتناب التعقيد، والتزام وضوح الدلالة[2].

ويُدرَس علم البديع في ثلاثة محاور رئيسة، ويمكن عدُّ المحور الثالث ملحقا أو تابعا للمحورين الأولين وهي :

1- المحسنات الجمالية المعنوية ، وهي التزيينات الجمالية المعنوية مثل : التورية ، والاستخدام والاستطراد ، والافتنان ، والطباق والإرصاد والإدماج ، وغيرها ، وقد أوصلها بعض الباحثين إلى ستة وثلاثين نوعا ومنهم من زاد عليها.

2- المحسنات الجمالية اللفظية : وهي التزينات الجمالية اللفظية مثل : الجناس بنوعيه اللفظي والمعنوي ، والسجع والموازنة والتصريح والاكتفاء وغيرها ، وقد أوصلها بعض البلاغيين إلى أربعة وعشرين نوعا، ومنهم من أَرْبَى عليها في العدد ، وقد يكون فيها تحسين في المعنى أيضا ولكن تبعا لا أصالة .

3- السرقات الشعرية وما يتبعها ويتصل بها، وهي ثمانية أمور هي : الاقتباس والتضمين والعقد والحل والتلميح والابتداء والتخلص والانتهاء[3].

[1]- عبد الرحمن بن حسن الميداني ، البلاغة العربية ، ج2 ، ص 369.

[2]- ينظر : أحمد بن إبراهيم الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع ، ج1 ، ص 298.

[3]- ينظر : المرجع نفسه، ج1 ، ص 299 – 337.

3-الفرق بين الفصاحة والبلاغة :

على الرغم من اختلاف الأصل اللغوي للفصاحة والبلاغة، إلا أنهما يلتقيان في الإبانة عن المعنى وإظهاره ، مما حدى بكثير من البلاغيين إلى عدم التفرقة بينهما بل جعلوهما شيئا ، ومنهم عبد القاهر الجرجاني حيث عقد فصلا في كتابه دلائل الإعجاز سماه " تحقيق القول على البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة ." وهذا هو قول الزمخشري، والرازي والصاغاني وغيرهم[1].

وإلى عدم التفريق نحى بعض المعجميين العرب، مثل زين الدين الحنفي حيث قال في تعريف البلاغة :" وشيء بالغ أي جيد ، والبلاغة : الفصاحة."[2] وابن منظور أيضا في لسان العرب إذ يقول :" والبلاغة فصاحة."[3]ومثلهما الزبيدي حيث يقول:" تَبَالَغ في كلامه أي تعاطى البلاغة أي الفصاحة."[4] فهم لا يفرقون بينهما، ويفسرون إحداهما بالأخرى.

وأما القول الثاني في هذه المسألة فهو قول من قال بالتفرقة بين الفصاحة والبلاغة ، وهو قول لبعض البلاغيين المتقدمين كأبي هلال العسكري، حيث عقد فصلا في الفرق بين الفصاحة والبلاغة [5] ،والقول باختلافهما هو الذي اختاره المتأخرون من مدرسة السَّكَّاكِي ومن نسج على منواله ، وقد استقر على ذلك الدرس البلاغي إلى يومنا هذا ، فجعلوا الفصاحة تتناول اللفظ، والبلاغة تتناول المعنى.

قال الكفوي :" وعند أهل المعاني : البلاغة أخصُّ من الفصاحة،"[6] ووجه كونها أخصّ أنها مشروطة في البلاغة ، فلابد من كون الكلام فصيحا ليكون بليغا ، فلو قلت لمنكِرٍ كرم علي ونبله – مثلا- " علي كريم الخلق نبيل الطبع" من غير تأكيد كلامك ، كان كلامك فصيحا لسلامته من العيوب

[1]- ينظر :مجموعة من الباحثين، البلاغة 2 – المعاني ، ص 20.

[2]- زين الدين الحنفي ، مختار الصحاح ، المكتبة العصرية ، الدار النموذجية ، بيروت ، صيدا ، لبنان ، ط5 ، 1420 هـ ، 1999 م ، ج1 ، ص39

[3]- ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 1414 هـ ، ج8 ، ص 420.

[4]- مرتضى الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، دار الهداية ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت ، ج7 ، ص 18.

[5]- ينظر : أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، 1419 هـ ، ص 7.

[6]- الكفوي ، الكليات ، ص 236.

المخلة بالفصاحة ، ولكنه ليس بليغا، لعدم مطابقته لمقتضى الحال إذ حال المنكر يقتضي التأكيد في مقابلة إنكاره[1].

فنخلص مما سبق إلى أن بين البلاغة والفصاحة خصوص وعموم ، فالبلاغة أخص من الفصاحة والفصاحة أعم منها، " والكلام لا يكون بليغا إلا إذا كان فصيحا، لأخذ شرط الفصاحة فيه ، وأما الفصاحة في الكلام فتتحقق دون البلاغة، لعدم أخذ شرط البلاغة فيها"[2] فكل بليغ فصيح ،وليس كل فصيح بليغا.

وقياسا على ما سبق ، يكون المتكلم البليغ أخصَّ من المتكلم الفصيح، لأن البليغ هو الذي به ملكة الإتيان بالكلام البليغ ، والكلام البليغ مشروط فيه الفصاحة ، ومن هنا ، فلا يكون المتكلم بليغا حتى يكون فصيحا ، أَمَّا الفصيح فقد لا تتوفر فيه ملكة البلاغة، ولا تشترط فيه، كأن يقول كلاما خاليا من العيوب وغير مطابق لمقتضى الحال ، كعدم التأكيد في الكلام الموجه إلى المنكر مثلا، أو عدم تقديم ما يكون أهم عنصر في الكلام وغيرهما[3].

4-تفاضل البلاغة :

مما قرَّره البلاغيون أن البلاغة تتفاضل وتتفاوت بتفاضل وتفاوت توفر شروطها ، وكلما نقص توفر هذه الشروط كلما قلَّت بلاغة الكلام ، فالبلاغة " تتفاوت في العلو والانحطاط بتفاوت مراعاة تلك المقتضيات والاعتبارات المناسبة للمقام، فكلما كانت رعاية تلك المقتضيات أَوْفَى بالغرض، وأليق بالمقام كان الكلام أبلغ وأسمى ،وكلما كانت تلك الرِّعاية أقل وفاء وأبعد لياقة، كان الكلام أحطَّ مرتبة وأقل بلاغة "،[4] وكان غيره أجود منه وأحسن.

[1]- ينظر : حامد عوني ، المنهاج الواضح للبلاغة ، ج1 ، ص 31.
[2]- المرجع نفسه ، ج1 ، ص 31.
[3]- ينظر : المرجع السابق ، ج1 ، ص 32.
[4]- المرجع السابق نفسه، ج1 ، ص 30.

وتفاوت البلاغة يقتضي أن يكون منها الحد الأعلى والحد الأدنى، وبينهما مراتب كثيرة، فالطرف الأعلى هو الحد الذي " تنتهي إليه ، وهو حد الإعجاز وما يَقْرُب منه ، وأسفل منه تبتدئ وهو ما إذا غُيِّرَ الكلام عنه إلى ما دونه التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات، وإن كان صحيح الإعراب "[1] ،أي هو الحد الأدنى الذي يُفْهَمُ منه معنى وإن كان ركيكا نازلا في رتبة البلاغة.

وممن قال يتباين طبقات البلاغة : الباقلاني، وعقد فصلا في ذلك قال في مطلعه :" اعلم أن الكلام يقع فيه الأبلغ والبليغ "[2] ،ثم بين أن هذا هو السبب في تسمية العرب لبعض الأبيات باليتيم ، وذلك لأنه لا يوجد مثله، فهو وحيد في قمة البلاغة كما أن اليتيم وحيد دون والده.

وعلى هذا المفهوم سار الأدباء والبلغاء والنقاد في تفضيل بعض الكلام البليغ على بعض، كتفضيل بعض الأشعار على بعض ، وبعض النثر على بعض ، وقبل ذلك إجماعهم على تفضيل كلام الله تعالى على غيره من الكلام ، وأنه أبلغ الكلام وأحسنه وأجوده.

ومثال ذلك تفضيل شهاب الدين النُّوَيْرِيّ لقول الأحنف على قول سحيم حيث يقول :" ومن البليغ قول سحيم :

فَمَا زَالَ بُرْدِي طَيِّبًا مِنْ ثِيَابِهَا إِلَى الحَوْلِ حَتَّى أَنْهَجَ البُرْدُ بَالِيًا

وأبلغ منه قول الأحنف :

وَجَدَ النَّاسُ سَاطِعَ المِسْكِ مِنْ دِجْـــ ـــلَةَ قَدْ أَوْسَعَ المشَارِعَ طِيبَا

فَهُمْ يُنْكِرُونَ ذَاكَ وَ مَا يَدْ رُونَ أَنْ قَدْ حَلَلْتُ مِنْهَا قَرِيبَا "[3]

وغير ذلك كثيرا مما تزخر به كتب الأدب والنقد والبلاغة

[1]- جلال الدين القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ج1 ، ص 46.

[2]- الباقلاني ، إعجاز القران الكريم ، دار المعارف ، مصر ، ط5 ، 1997 م ، ص 256.

[3]- شهاب الدين النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، دار الكتب و الوثائق القومية ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 1423 هـ ،

3/المبحث الثالث: أبلغ الكلام

1- مفهوم أبلغ الكلام :

أبلغ صيغة مبالغة من الفعل (بَلَغَ) فيقال بليغ وأبلغ، والمراد به ما بلغ الغاية في البلاغة والذروةَ فيها ، فلا يقدر أحد أن يأتي بلفظ مثله في معناه، ولا يأتي أحد إلا بما هو دونه في البلاغة ، ويكون في الشعر والنثر ، قال عبد القهر الجرجاني مبينا هذا المفهوم :" وإنَّا لنعلم من حال المعاني أنّ الشاعر يسبق في الكثير منها إلى عبارة يُعلم ضَرورة أنها لا تجيء في ذلك المعنى إلا ما هو دونها ومنحط عنها حتى يقضي له بأنه قد غلب عليه واستبد به "[1] فلا يلحقه فيها قائل، ولا يأتي بمثل قوله.

وإذا تقرر أن البلاغة متفاضلة ، وأن منها الحد الأدنى والحد الأقصى ، فإن أبلغ الكلام هو الحد الأقصى الذي لا شيء بعده إلا كلام الله وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم ، هذا إن كان ذلك المعنى موجود فيهما ، وإلا لكان ذلك القول أبلغ ما وجد على الأرض في ذاك المعنى ، ولو قدر أن ذلك المعنى وجد في القرآن الكريم، لم تصح مقارنته مع ما هو دونه من كلام البشر ، قال ابن الأثير :" إنه لا نسبة بين كلام الخالق عز وجل كلام المخلوقين ، وإنما العلماء يقدحون أذهانهم فيها يظهر لهم من ذلك" [2] أي فيها يظهر لهم من الفروق بين القرآن الكريم وكلام العرب البليغ.

وهذا النوع من العبارات كان محطَّ اهتمام العلماء منذ القديم ، وذلك لما تحويه من فضل وجودة سبك وجلالة المعنى ، والدلالة على فضل قائله ، ولا أدلَّ على ذلك من قوله عليه الصلاة و السلام :" أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةُ لَبِيدٍ : أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلُ "[3] ، فقد فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم صدر بيت لبيد بن ربيعة رضي الله عنه ، وجعله أصدق ما قاله شاعر ، وحول هذا المفهوم يدور بحث (أبلغ الكلام) .

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني ، الرسالة الشافية ، دار المعارف ، مصر ، ط3 ، 1976 م ، ص 139 .

[2]- بهاء الدين السبكي ، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1423 هـ ، 2003 م ، ج1 ، ص 586.

[3]- محمد بن إسماعيل البخاري،صحيح البخاري، ج5،ص42،رقم3841

وأول ما ينصرف إليه الذهن عند إطلاق (أبلغ الكلام) هو القرآن الكريم ،كلام رب العالمين ، ولا شك أنّهُ أبلغ الكلام مطلقا بإجماع المسلمين ، وبعده في البلاغة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أفصح العرب قاطبة ، ولكننا لا نعني في بحثنا هذا بأبلغ الكلام القرآنَ الكريم أو كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما البلاغة التي نعنيها بلاغة جزئية في عبارة معينة ، وفي معنى محدد لا البلاغة المطلقة التي لا يتصف بها سوى القرآن الكريم، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم .

والغالب على أبلغ الكلام أنه أوجز ما يمكن أن يكون ، من غير إخلال بالمعنى المراد ، مع الاتصاف بالجمال والحسن والفصاحة،وهو الكلام "الَّذي لا يمكن التعبير عن ألفاظه بألفاظ أخرى مثلها في عدتها ، وهو أعلى طبقات الإيجاز مكانا ، وأعوزها إمكانا ، وإذا وجد في كلام بعض البلغاء ، فإنما يوجد شاذا نادرا، "[1] فهو قليل عزيز الوجود.

وقد يَرِدُ على هذا أن للألفاظ مرادفات فيمكن استبدال الألفاظ الأصلية بها ، وتحمل المعنى نفسه ،وبنفس العدد ، فيتعدد بناءً على هذا أبلغ الكلام ، والجواب عن هذا أنه ليست كل الألفاظ المترادفة يقوم بعضها مقام بعض ، إلا مع وجود اختلاف، ولو كان يسيرا ، مما يخل بالمعنى العام ، إذ لا يوجد ترادف تام، إلا في اختلاف اللهجات العربية الأولى[2].

ووجود أبلغ الكلام عند قائل ما ، شاعر أم ناثر لا يلزم منه أنه أبلغ من غيره ممن لم يقل مثل قوله أو أحسن،"ولكن إذا كان في مكان خبئ* فعثر عليه إنسان وأخذه،لم يبق لغيره مرام في ذلك المكان،وإذا لم يكن في الصَّدَفة إلا جوهرة واحدة،فعمد إليها عامد فشقها عنها استحال أن يستام **

[1]– ضياء الدين بن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ، ج2 ، ص 275 .

[2]– ينظر: المرجع نفسه ، ج2 ، ص 277.

* الخبيء : "ما خبِّيء" ، الجوهري ، الصحاح تلج اللغة و صحاح العربية ، ج1 ، ص 46 .

** استام : يقال :" استام من سلعتي " ، إذا كان هو العارض عليك الثمن " ، ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، د.ت ، ج12 ، ص 314 ، مادة (سوم).

هو أو غيره إخراج جوهرة أخرى من تلك الصدفة [1]" ،وهذا ما يزيد في أهمية مثل هذه العبارات، وأن السابق لها قد ظفر بما يخلِّد ذكره بين الأدباء.

2-مرادفات أبلغ الكلام :

كان مفهوم (أبلغ الكلام) على ما ذكرنا محطَّ اهتمام العلماء ، فبحثوا فيه واختاروا ما هو الأبلغ في كل معنى ، وأجمعوا على فضله ، وأنه يستحق الاهتمام والرعاية العلمية ، ولكن تباينت عباراتهم في الحكم على كلام ما أنه الأبلغ ، وإنما وقع اختيارنا على هذه التسمية (أبلغ الكلام) لأنها أدل على المراد من غيرها، ولأنها وجيزة مكونة من كلمتين فقط، ولأن كثيرا من العلماء والأدباء عبَّروا بها على هذا المعنى.

ومن العبارات التي عبَّر بها العلماء عن مفهوم (أبلغ الكلام) ما يلي :

أشرف العبارات : وقد ذكرها محمود شاكر في معرض بيانه لمفهوم أبلغ الكلام فقال :" ويجعلها قرينة لأشرف العبارات المبِينَةِ في شعر الشعراء وفي كلام البلغاء"[2] وهي عبارة تدُلُّ على المعنى أكثر من دلالتها على الألفاظ، بخلاف (أبلغ الكلام) فهي متساوية الطرفين.

ومن العبارات المرادفة لأبلغ الكلام أيضا (أحسن ما قيل) : وهي عبارة كثيرا ما تتكرر في كلام العلماء ليعبروا بها عن مفهوم (أبلغ الكلام) ، ولكنها لا تأتي إلا مقيدة بمعنى معين، مثل قول الباخرزي عن أبيات لأبي الحسن البصروي :" هذا أحسن ما قيل في معناه وما أراه سُبق إليه"،[3] أي أنه أبدعه على غير مثال سابق ، أو قول محمد بن أيدمر المستعصي : عن بيت لخليع الشامي " وهذا أحسن ما قيل في التصريح بالاستماحة "[4] ، أي في طلب الشفاعة عند السلطان ، وغيره من أقوال العلماء.

[1]-عبد القاهر الجرجاني ،الرسالة الشافية،ص 139

[2]- محمود شاكر ، المتنبي ، مطبعة المدني ، القاهرة ، مصر ، د.ط ، 1407 هـ ، 1987 م ، ص 14.

[3]- علي بن حسن الباخرزي ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1414 هـ ، ج1 ، ص 346 .

[4]- محمد بن أيدمر المستعصي ، الدر الفريد و بيت القصيد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1436 هـ ، 2015 م ، ج4 ، ص289.

ومن مرادفات أبلغ الكلام أيضا قولهم (أجود بيت) ، وأجود صيغة مبالغة من جيد، وما تتميز به هذه العبارة أنها ذات طابع شمولي وعام ، كقول بشار بن برد أنَّ أجود بيت للعرب هو بيت للبيد بن ربيعة [1].

أو قول أبي هلال العسكري :" سمعت الشيوخ رحمهم الله تعالى يقولون : أجود بيت قالته العرب قول مسلم بن الوليد"[2] وذكر بيته.

وقد تَرِدُ هذه العبارة للتعبير عن معنى خاص، مثل قول هارون بن علي بن يحيى المنجم :" أجمع أهل العلم بالشعر أن أجود بيت للمحدثين في المدح قول أبي نواس"[3] وذكر بيته، أو قول ابن الأعرابي :" أجود بيت وصفت به الطعنة قول أهيان بن عدياء "[4] ، أو قول الأصمعي :" أجود بيت قيل في الغيث بيت الهذلي،"[5] أو غيرها من ألفاظ أهل العلم والأدب.

ومن العبارات التي يوردها العلماء للتعبير عن أبلغ الكلام : صيغ المبالغة المشتقة من غرض من أغراض الشعر ، كقولهم : أنسب بيت، وأهجى بيت ، وأفخر بيت ،ومن مميزات هذه الصيغة أنها تجمع بين مفهوم (أبلغ الكلام) من جهة، والغرض الذي قيلت فيه من جهة أخرى ، ومثالها قول ابن رشيق :" قال أحمد بن يحيى : " أفخر بيت قالته العرب قول امرئ القيس "[6] وذكره ، وما حُكِيَ عن ابن سلَّام سلَّام أنه قال أن أنسب بيت قالته العرب :

وَلَمَّا الْتَقَى الحَيَّانِ أَلْقَيْتُ العَصَا وَمَاتَ الهَوَى لَمَّا أُصِيبَتْ مَقَاتِلُه.[7]

وغيرها كثير من كلام أهل العلم والأدب .

[1]- ينظر : أبو منصور الثعالبي ، الإعجاز و الإيجاز ، دار الغصون ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 1405هـ ، 1985 م ، ص 144.
[2]- أبو منصور الثعالبي ، خاص الخاص ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت ، ص 111.
[3]- أبو منصور الثعالبي ، الإعجاز و الإيجاز ، ص 136.
[4]- أبو الفرج الأصفهاني ، الأماني ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، د.ت ، ج 16 ، ص 86.
[5]- أحمد بن يحيى ثعلب ، مجالس ثعلب ، دار المعارف ، مصر ، ط2 ، 1938 م ، ص 62.
[6]- ابن رشيق القرواني ، العمدة في محاسن الشعر و آدابه ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط5 ، 1401 هـ ، ج2 ، ص 144.
[7]- ينظر : أبو هلال العسكري ، ديوان المعاني ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت ، ج1 ، ص 222 .

ومما يدل على مفهوم (أبلغ الكلام) من كلام أهل العلم، تعابير إنشائية متفرقة دلالتها أبلغ الكلام، مثل قول ابن وكيع :" وكل ما قيل في هذا المعنى يَسْقُطُ دون قول بشار"[1] ، أو قول الآمدي :" أو إلى قوله الذي لا يدانيه معنى ولا يتعلق به"[2] ، عن بيت لبشار بن برد ، أو كقولهم " ليس بعد هذا الشيء"، ونحوها مما هو واضح الدلالة على مفهوم أبلغ الكلام.

3-أهمية أبلغ الكلام :

لما كان أبلغ الكلام متصفا بصفات لا توجد في غيره من الكلام ، كان العارف به و المِلِمُّ به ذو شأن وفضل، وكثيرا ما كان العلماء والأدباء يُمتحَنون به لتعلم مكانتهم من العلم والنقد، والإحاطة بكلام العرب نظمه ونثره "، ولا يزال الأديب يُسأل عنه في المجالس الحافلة والمشاهد الجامعة إذا أريد الوقوفُ على مبلغ علمه، ومقدار حفظه، فإن سبق إليه في الجواب ، جلَّ قدره وفخم أمره ، وإن نكص عن ميدانه وشال* في ميزانه قلَّت الرغبة فيه وانصرفت القلوب عنه"[3] ، وما ذلك إلا لمكانة هذه العبارات عند العارفين بها.

ومثال هذا ما حدث في بلاط ابن العميد لما دخل عليه بعض من ينتحل الأدب، فأراد أن يقف ابن العميد على مقداره في المعرفة فسأله عن أحسن ما قيل في صفة الشعر فلم يجبه حتى أجابه أحد الحاضرين في ذلك المجلس، وبقي ذلك الرجل لا يغيض بكلمة ، ثم خرج ولم يعد[4].

ومن أهميتها أنها تبين سعة اطلاع المنتخِب لأبلغ الكلام ، ووجه ذلك أنه قد اختاره و تخيره من بين العشرات أو المئات من نظائره وآثره عليها ، ولاسيما ما كان منه مطلقا ، مثل أشعر بيت قالته العرب ، أو أجود بيت للمحدثين ونحوهما.

---

[1]- ابن وكيع التيسي ، المنصف للسارق و المسروق منه ، جامعة قات يونس ، بنغاري ، ليبيا ، ط1 ، 1994 م ، ص 531.

[2]- أبو قاسم الحسن بن بشير الآمدي ، الموازنة بين شعر أبي تمام و البحتري ، مكتبة .....، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 1994 م ، ج3 ، ص285.

* شال : يقال:" شال الميزان إذا ارتفعت إحدى كفتيه " ، ابن فارس ، مقاييس اللغة ، ج3 ، ص 203 .

[3]- أبو هلال العسكري ، ديوان المعاني ، ج1 ، ص 7 .

[4]- ينظر: المرجع نفسه، ج1 ، ص 7 – 9.

كما أن في أبلغ الكلام دلالة بينة على فطنة متخيرها والمتكلم فيها ، وأنه انتبه إلى ما فيها مما يفضلها ويميزها ويجعلها على رأس هرم البلاغة، " وكان يقال: اختيار الرجل وافد عقله ، فقال : لا بل مبلغ عقله ، وقيل دل على عاقل اختياره ، وقيل لبعض العلماء : اختيار الرجل قطعة من عقله ، وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي : لا يحسن الاختيار إلا من يعلم ما لا يحتاج إليه من الكلام"[1]

وأنشد في هذا المعنى :

الشِّعْرُ عَقْلُ المرْءِ يَعْرِضُهُ وَالقَوْلُ مِثْلُ مَوَاقِعِ النَّبْلِ

مِنْهَا المقَصِّرُ عَنْ رَمْيَتِهِ وَنَوَافِذُ يَذْهَبْنَ بِالخَصَلِ

ومن عائدات أبلغ الكلام وفوائدها التقرب إلى الأمراء و الوزراء والوجهاء بإهدائهم كتبا صنفت فيها ، ولا ينبغي في مثل هذا المقام – مقام الهدية للوجهاء- إلا اختيار أجود ما يمكن ، ليحوز المؤلف رضى من أهديت إليه ويتبين فضله ، فكما أنهم لا يمدحون إلا بأجود القصائد ، ولا يكلمون إلا بالمتخير من الألفاظ والمعاني فلا يهدي لهم إلا أجود ما يؤلف في كل فن ، ولذا نلاحظ أن كثيرا من الكتب التي ألفت في أبلغ الكلام كانت هدايا لأمراء أو وجهاء.

ومن أمثلة هذا نذكر كتاب خاص الخاص لأبي منصور الثعالبي، الذي أهداه إلى أحد القضاة الوجهاء من معارفه ، وكتاب لطائف الظرفاء من طبقات الفضلاء ، أهداه إلى الشيخ العميد أبي سهل الحمداوي ، وكتاب زهر الآداب و ثمار الألباب للحصري ، أهداه إلى أبي الفضل العباس بن سليمان ، وكذلك كتاب حلية الفرسان وشعار الشجعان ، لعلي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي أهداه لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن نصر ، الأمير الأندلسي ، وغيرها من الكتب و المؤلفات القيمة الجليلة.

4-بين البلاغة و المتلقي :

[1]- محمد بن أحمد الوشاء ، الموشى – الظرف و الظرفاء ، مكتبة الخانجي، مصر ، القاهرة ، ط2 ، 1371 هـ ، 1953 م ، ص2

ارتباط البلاغة بالمتلقي يطرح إشكال وجود أبلغ الكلام ، فكيف يوجد الأبلغ إذا كانت البلاغة منوطة بالمتلقي؟ فلازم ذلك أن يكون أبلغ الكلام في مقام دون مقام بحسب المتلقين لهذه العبارات، فلا يصح – على هذا – وصف كلام ما بأنه أبلغ الكلام بإطلاق ،وجواب هذا الإشكال من أوجه.

أولها : أن التسليم بصحة هذا اللازم يلغي مفهوم أبلغ الكلام الذي ألفت فيه المؤلفات وتشرفت له الأدباء وحضي به البلغاء ،و لاشك أن إلغاء ما اشتهر بينهم وأقروه دون نكير ، عين الخَطَلِ والمجانبة للصواب.

وثاني الأجوبة أن نقسم البلاغة إلى قسمين قسم متعلق بالمتلقي وهي البلاغة الخطابية ، وقسم غير منوط به ، قال الراغب الأصفهاني :" البلاغة تقال على وجهين : أحدهما أن يكون بذاته بليغا ، وذلك يجمع ثلاثة أوصاف : صوبا في موضوع لغته ، و طبقا للمعنى المقصود به ، وصدقا في نفسه ، فمتى اخترم وصف من تلك الأوصاف كان ناقصا في البلاغة "[1] ، وبغض النظر عن كون هذه الشروط متفقا عليها بين البلاغيين أم لا، فإن الراغب الأصفهاني يقول بهذا النوع من البلاغة المنفصلة عن المتلقي ، وسار على هذا أيضا مرتضى الزبيدي في تاج العروس[2]،والمناوي في التوقيف على مهمات التعاريف[3].

وأما القسم الثاني من أقسام البلاغة التي تكلم عنها الراغب الأصفهاني فهي البلاغة المرتبطة بالمتلقي ، أو البلاغة الخطابية ، فقال مبينا لها :" والثاني : أن يكون بليغا باعتبار القائل والمقول له ، وهو أن يقصد القائل به أمر ما ، فيورده على وجه حقيق أن يقبله المقول له "[4] ، وهذه البلاغة هي التي تكون متفاوتة باعتبار المقامات التي تقال فيها ،وباعتبار المتلقين واختلافهم.

أما الجواب الثالث على هذا الإشكال فبأن يقال أن كثيرا من الكلام البليغ ومنه الأبلغ –يكون فيه مقتضى الحال مشتركا بين جمع كبير من الناس ، غير محدد بطائفة قليلة أو متلقٍ واحد ، مثل وصف

[1]–الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القران ، دار القلم ، الدار الشامية ، دمشق ، سوريا ، ط1 ، 1412 هـ ، ص 145.
[2]– مرتضى الزبيدي ، تاج العروس ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، ط1 ، 1405 هـ ، 1985 م ، ج22 ، ص 447.
[3]– المناوي،التوقيف على مهمات التعاريف ، ص 83.
[4]– الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القران ، ص 145.

شدة البرد ، أو الكرم أو الحرب أو غيرهما ، فمثل هذه الأغراض يتساوى الناس في تلَقِّيها لِاشْتِراك هذه المفاهيم في ذهن كل ذي عقل سليم ، وبهذا يصح وصف هذا الكلام بالبلاغة أو الأبلغ مهما تغير المتلقي ، لأن مفهومهم لها لا يتغير ، ومما يدلك على هذا ، أنك ترى العلماء يربطون أبلغ الكلام بمثل هذه المفاهيم المشتركة ، مثل قولهم:" أبلغ ما قيل في الفخر" ،أو" أبلغ ما قيل في الهجاء" ونحوها ، فإنك ترى أن الفخر والهجاء وغيرهما، كلها معاني مشتركة في أذهان المتلقين على اختلاف معارفهم وطبقاتهم.

ومن العلماء من يشترط لتمام معنى البلاغة المتلقي المثالي، أي العارف بالبلاغة ومداخلها ، وذا الذوق العربي السليم ، قال محمد تقي الدين التفتازاني:" ومما يتم به أمر البلاغة ويظهر كون كل من المتكلم والسامع كامل المعرفة بجهات حسن الكلام ، ولطائف اعتباراته ، وعندئذ يحدث الأثر المطلوب للكلام البليغ ، فيصل إلى أعماق النفوس ، ويقنع العقول ويمتع العواطف بما يحمل من معان جليلة وصور ساحرة ذات تأثير خلاب"[1] فيشترك كل من الملقي ، والمتلقي في كمال الكلام البيلغ.

ولما سئل ابن المقفع عن البلاغة وأجاب بما يفهم منه ارتباطها بالمتلقي، أوردوا عليه ما يشبه الإشكال السابق ، فقال :" إذا أعطيت كل مقام حقه ، وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام ، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام ، فلا تهمك ما فاتك من رضا الحاسد والعدو ، فإنه لا يرضيهما شيء ، وأما الجاهل فلست منه وليس منك. "[2] فحصر البلاغة في كلام فصيح وسياسة المقام , ومتلق ذي معرفة بحقوق الكلام ، وهكذا يمكن الحكم على كلام ما بأنه الأبلغ وذلك لأنه – وإن ارتبطت البلاغة بالمتلقي – فإن هذا المتلقي سيعتبر مثاليا يمكن استحضاره عند أي كلام بليغ .

5–ضوابط معرفة أبلغ الكلام :

لما كان من الكلام البليغُ والأبلغ، احتاج الباحث في استخلاص الأبلغ إلى ما يدله عليه ويجعله سمة دالة عليه ،وعلامة فارقة بينه وبين غيره ، ولَمَّا لم نقف على ضابط صريح فيه من كلام أهل العلم ،

[1]– محمد تقي الدين الخوان ساري التفتزاني ، المطول ، دار الانطباع ، الهند ، د.ط ، 1273 هـ ، ص

[2]– الجاحظ ، البيان و التبيين ، دار صعب ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1968 هـ ، ص 76.

حاولنا استخلاص مجموعة ضوابط نجعلها ميزانا نحدد به أبلغ الكلام ونميزه عن غيره ، ويمكن إجمال هذه الضوابط في خمسة أمور هي : قول العربي البليغ ، وقول العالم المعتبر ، وضابط التذوق ، وضابط اشتهارها في بابها ، وضابط ترك غيرها إليها.

أ- ضابط قول العربي البليغ :

للعرب الأَقْحَاحِ عامَّةً، والبلغاء منهم خاصة، قدرة كبيرة على تمييز الكلام البليغ من غيره ، وتمييز الأبلغ من البليغ ، إذ كانت فِطرهم لا تقبل اللحن ،وسلائقهم قائمة على الكلام السليم، فالعربي "القحُّ نهجه في الكلام نهج واحد هو نهج السليقة الصافية والطبيعة السليمة"[1] ، وهذا ما حدى بالنحويين لجعل كلامهم من الأدلة على القواعد النحوية ، وهذه السليقة تخوِّل لهم الحكم على الكلام وتمييز غَثِّهِ من سمينه.

وتتجلى لنا هذه السليقة ، والاعتبار بقول الأعرابي ، وصحة هذا الضابط فيما نذهب إليه ، في حال العرب مع القرآن عند سماعه ، وتسليمهم ببلاغته وأنه لا يستطاع مثله ، ومثاله قصة الوليد بن المغيرة لما سمع القرآن الكريم من النبي صلى الله عليه وسلم فقال :" والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا قصيده مني ، ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا ، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة ، وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو ما يعلى عليه وإنه ليحطم ما تحته "[2] ، فبمجرد سماعه للقرآن الكريم أدرك سليقته العربية وسعة اطلاعه على عظمة القرآن واعترف بجلالته.

فإذا جاء تفضيل كلامٍ بليغٍ ، وأنه الأبلغ في بابه من عربي بليغ ، فهو دليل على أن هذا الكلام أبلغ الكلام ، وذلك لما يتمتع به من سلامة السليقة التي تخول انتخاب الكلام والتفصيل بين المتشابه منه

[1]- محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل أهل العرفان في علوم القران ، مطبعة عيسى البابي و شركاؤه ، ط3 ، د.ت ، ج1 ، ص 88.
[2]- أبو بكر البيهقي ، شعب الإيمان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1410 هـ ، ج1 ، ص 156 ، رقم 134.

، وقد كان هذا الضابط مما يعتمد عليه النحاة في تقعيد النحو، فكثيرا ما كانوا يسألون العرب الأقحاح عما يستشكلون من الكلمات أو الحركات [1].

كما أن العرب البلغاء كانوا يحكَّمون في الشعراء ، وينتخبون أشعرهم ،فقد حكى الأصمعي " عن ابن أبي طرفة : كفاك من الشعراء أربعة ، زهيرا إذا رَغِب ، والنابغة إذا رَهِب ، والأعشى إذا طرِب ، وعنترة إذا كَلِبْ ، وزاد قوم وجريرا إذا غضِب "[2] ، فإذا كان العرب قادرين على المفاضلة بين الشعراء وانتخاب الأشعر منهم ، فهم على انتخاب الأبلغ من الشعر وأجوده أقدر وأَمكن.

ويظهر هذا الضابط جليا في قول الشعراء العرب ممن يستشهد بشعرهم في النحو مثل الفرزدق ، فقد سمع رجلا ينشد معلقة لبيد بن ربيعة رضي الله عنه فلما بلغ قوله :

وَجَلَا السُّيُول عَنِ الطُّلُولِ كَأَنَّهَا زُبُرٌ تُجِدُّ مُتُونَهَا أَقْلَامُهَا

سجد الفرزدق فقيل له :" ما هذه السجدة يا أبا فراس ؟" فقال :" إنكم تعرفون سجدة القرآن وأنا أعرف سجدة الشعر"[3] ، فهو بفعله هذا فضل هذا البيت على القصيدة كلها ، وعلى غيرها من الشعر لقوله :" و أنا أعرف سجدة الشعر" ، ولم يقيده بشعر لبيد ولا بشعر غيره.

ومثله أيضا ما روي عن لبيد رضي الله عنه أنه لما أنشد معلقته وبلغ قوله :

يَعْلُو طَرِيقَةَ مَتْنِهِ مُتَوَاتِرٌ فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجُومَ غَمَامُهَا

سجد له شعراء زمانه[4] ، ومثله ما ذكر عن بشار بن برد أنه قيل له " أخبرنا عن أجود بيت قالته العرب ، فقال :"إن تفضيل بيت واحد على الشعر كله لشديد ، ولكن أحسن كل الإحسان لبيد في قوله :

أَكْذِبْ النَّفْسَ إِنْ حَدَّثْتَهَا إِنَّ صِدْقَ النَّفْسِ يُزْرِي بِالْأَمَلِ

[1]- جلال الدين السيوطي ، المزهر في علوم اللغة و أنواعها ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1418هـ ، ج2 ، ص 241 .
[2]- المرجع نفسه ، ج2 ، ص 406.
[3]- ينظر : أبو منصور الثعالبي ، خاص الخاص ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت ، ص 101 .
[4]- ينظر : أبو منصور الثعالبي ، لباب الآداب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1417 هـ ، 1997 م ، ص 130 – 131.

وَإِذَا رُمْتَ رَحِيلًا فَارْتَحِلْ وَاعْصِ مَا يَأْمُرُ تَوْصِيمُ الكَسَلِ.

فهو قد فضل هذين البيتين بعد تردد على كل شعر العرب .

ب- ضابط قول العالم المعتبر :

وهو أكثر الضوابط التي يمكن أن نقف عليها في تمييز أبلغ الكلام عن غيره ، فالعالم المتبحر في علوم العربية له من المكانة ما يؤهله إلى الحكم على كلام ما أنه أبلغ ما قيل في معناه، " وقد يعمد علماء الشعر إلى بيت من الشعر فيجعلونه أحسن بيت قيل"[1]مطلقا، أو في حقبة زمنية معينة أو في غرض ما .

ومن أمثلة ذلك، كلامُ العلماء الذين ألفوا في أبلغ الكلام أو كتبوا فيه أو تعرضوا له بالذكر ، وهذا كثير في المؤلفات التي ألفت في أبلغ الكلام مثل خاص الخاص لأبي منصور الثعالبي ، والإعجاز والإيجاز له أيضا ،أو لباب الآداب لابن منقذ و غيرها ، و أيضا كلامهم في الكتب التي تَعَرَّض مؤلفوها لأبلغ الكلام في ضمن مباحث أو فصول فيها ، مثل البيان والتبيين للجاحظ ، والرسالة الشافية لعبد القاهر الجرجاني، أو عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري وغيرها.

وقد نجد في ضمن هذه الكتب وغيرها ،كلاما منقولا عن كبار علماء العربية في أبلغ الكلام مثل الأصمعي ، وأبي عمرو بن العلاء ،أو روايات عن الخلفاء المعدودين من علماء البيان مثل عمر بن عبد العزيز ، وهارون الرشيد، وابن العميد ،أو قولا لبعض الصحابة رضي الله عنهم لأنهم أفصح العرب ، وعاشوا مع أفصح الخلق عليه الصلاة والسلام،وعايشوا تنزُّل أبلغِ كتاب، فتوقدت أذهانهم،وجادت قرائحهم ، فقولهم في مثل هذه الأمور مقدَّم ،وأولى بالقبول لجمعهم السليقة العربية والعلم بها.

ج- ضابط التذوق:

وهذا الضابط هو أصل الضابطين الأولين وجماعهما ، خاصة ضابط قول العربي الفصيح، إذ التذوق هو أصل معرفة العربي البليغ لفضل الكلام ما من غيره ، فهي ملكة تكمن في نفس الإنسان ،

[1]- جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار ساقي ، بيروت ، لبنان ، ط4 ، 1422 هـ ، 2001 م ، ج 17 ، ص 237.

تؤهله لتمييز الكلام، ومعرفة الجيد من الأجود منه، " وتفصيل هذا الإجمال أن الفطرة السليمة تدرِك في القصائد الموزونة المقفاة، والأراجيز الجميلة الرائقة، وأمثال ذلك من الكلمات الموزونة متعةً خاصة وتتذوق حلاوة و عذوبة"[1] ،وهذا ما يجعل من هذه الملَكة في مقدّمة ضوابط معرفة أبلغ الكلام.

وتنقسم ملكة التذوق إلى قسمين هما : التذوق الفطري ، والتذوق العلمي[2] ، فأما التذوق الفطري فهو الذي يُفهم عند إطلاق التذوق ، وهو التذوق الناتج عن ممارسة الكلام العربي والعيش وسطه، حتى يخالط نفس الإنسان ويصير جزءا لا يتجزأ من نفسيته وشخصيته ، " فالعرب الذين تلقوا القرآن الكريم تذوقوا بحاستهم الفنية جماله الفني الساحر أو أحسوا تأثيره المباشر على قلوبهم ، وتحسسوا سلطانه العجيب على نفوسهم "[3] ،وذلك دون الحاجة إلى دراسة الكلام الملقى على أسماعهم، ولا إلى تحليله تحليلا علميا لإبراز خصائصه الجمالية.

وهذا التذوق الفطري قد وفَّر على العرب تحليل مقومات الكلام، بغية التلذذ بها والحكم على بلاغته،وذلك لأن الأصل في البلاغة هو التذوق، وأما القواعد والتأصيلات فقد جاءت بعد ما دَرَسَت هذه الملكة العربية، وخالطت الألسنَ ما شابها وشوهها من الألسنة الأخرى.

ومع مرور الزمان ،ودروس ملكة التذوق الفطري ، تدارك العلماء ذلك فقاموا بتقعيد العلوم ، وتدوين اللغة ، مما أنتج ملكة التذوق العلمي ، وهو تذوق له نفس نتائج التذوق الفطري ، ولكن منشؤه هو إتقان علوم العربية وضبط أصولها ، وفهم مراميها مع حفظ كلام العرب من منثور ومنظوم ، ويضاف إلى هذا كله طول ممارسة ، وكثرة الاشتغال بهذه العلوم ، وهذا النوع هو الذي خوَّل للعلماء الحكم على الكلام وبلاغته ، وهو أصل الضابط الثاني ، ضابط قول العالم المعتبر.

[1]– ولي الله الدهلوي ، الفوز الكبير في أصول التفسير ، تر: سلمان حسيني النبوي ، دار الصحوة ، القاهرة ، مصر ، ط2 ، 1407هـ ، 1986م ، ص 146.

[2]– ينظر : مالك بن نبي ، الظاهرة القرآنية ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط4 ، 1420 هـ ، 2000 م ، ص 62.

[3]– مصطفى مسلم ، مباحث في إعجاز القران ، دار القلم ، دمشق ، سوريا ، ط3 ، 1426 هـ ، 2005 م ، ص 146.

وإفرادنا للتذوق كضابط مستقل مع أنه مندرج تحت الضابط الأول والثاني ، من أجل أن التذوق منهج باق ما بقي الكلام العربي، وأما قول العربي الفصيح فهو منتهٍ مع انتهاء عصر الاستشهاد ،وهو مائة واثنتان وخمسون للهجرة في الحواضر والمدن ،والأربعمائة للهجرة في البادية على ما اختاره كثير من المحققين[1] ، لأنه وقت انتهاء من يُستشهد بقولهم من فصحاء العرب، وأما قول العالم المعتبر، فقد لا يتيسر في كل كلامِ عربي نقف عليه ، وخاصة ما يحدث ويُستجد من الكلام البليغ ، فيبقى منهج التذوق شاملا لكل كلام قديم أو حادث، وفي كل زمان أيضا.

ومثال تطبيق منهج التذوق على الكلام للحادث إعجاب الأدباء ببعض كلام الشعراء المعاصرين وترديده،والثناء عليه، مثل قول أحمد شوقي:

وَلِلْحُرِّيَةِ الحَمْرَاءِ بَابٌ بِكُلِّ يَدٍ مُضَرَّجَةٍ يُدَقُّ

فكان "بعض الأدباء يعجب كثيرا ما يعجب بقول شوقي "[2] هذا ، كما ذكره أيضا صاحب مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي[3] ، كما كثر الاستشهاد به و ترديده في الخطب و المقالات.

ومن آثار تطبيق منهج التذوق للمتأخرين على الكلام القديم: الوقوفُ على ما لم يقف عليه الأولون أو بعضهم من دقائق الملح واللطائف ، ونقد كلام الأولين لمن هو أهلٌ لذلك ،ونال القدرة على تطبيق هذا المنهج ، ومثاله ما ذكره محمود شاكر في نقده لعبد القاهر الجرجاني في تقليله من شأن بيتٍ للمتنبي هو قوله :

لَو الفَلَكُ الدَّوَّارِ أَبْغَضْتَ سَعْيَهُ لَعَوَّقَهُ شَيْءٌ مِنَ الدَّوَرَانِ.

فعلق عليه شاكر فقال :" وهي قصده مدح ، ولكني أرى أنه كان ينفث في بعضها عما في صدره من الغيظ على كافور، واستهانته به ، ولذلك فأنا أَعُدُّ لفظ (شيء) هنا مما يكشف عن هذه الاستهانة

[1]- ينظر : البحث اللغوي عند العرب ، احمد مختار عمر ، عالم الكتب ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط8 ، 2003 م ، ص46.

[2]- محمد الخضر حسين ، موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد خضر حسين ، دار النوادر ، سوريا ، ط1 ، 1431 هـ ، 2010 م ، ج7 ، ص 83

[3]- ينظر : أحمد قبس ، معجم الحكم و الأمثال في الشعر العربي ، المكتبة الشاملة 3 ، ج2 ، ص 384.

بكافور ،ولو لحظ الشيخ عبد القاهر هذا الملحظ ،لما عدّها قليلة ضئيلة،بل كبيرة موجبة بما في نفسه "[1] ، فنقده بعد استعمال منهج التذوق العلمي،وجاء بهذه الفائدة الدقيقة .

د- ضابط ترك غيرها إليها:

فالعرب الفصحاء، والأدباء البلغاء، والعلماء باللغة وبغيرها من الفنون، يميلون إلى الأفصح والأبلغ دائما، فإذا كانت هناك عبارة بليغة، وقد تداولوها دهرا من الزمن ،ثم جاء ما هو أبلغ منها تركوا الأول إلى الثاني، وفي ضمن هذا الانتقال إشعار بفصل المنتَقَلِ إليه عن المنتقَل منه، ثم في استقرارهم عليها دليل آخر على أنها الأبلغ بين نظيراتها في بابها.

ومن هذا الباب ترك الناس شيئا كثيرا مما كان مستعملا في الجاهلية ،إلى ما هو أبلغ منها وأبْيَن ،من كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، مثل تركهم عبارة (القتل أنفى للقتل)، إلى قوله تعالى في سورة البقرة :﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾ وذلك لما وجدوا في الآية الكريمة من تمام المعنى مع فصاحة اللفظ وعظم البيان[2].

ومن هذا الباب أيضا ما ذُكر عن بشار بن برد أنه لما قال بيتا من الشعر وأعجب به ،وهو قوله:

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ وَفَازَ بِالطَّيِّبَاتِ فَاتِكُ اللَّهِجُ .

تبعه سلم الخاسر فقال:

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ مَاتَ غَمًّا وَفَازَ بِاللَّذَّةِ الجَسُورُ.

" فلما سمع بشار هذا البيت قال: ذهب ابن الفاعلة ببيتي"[3]، أي أن الناس سيتركون بيته ويأخذون ببيت سلم الخاسر ،لأنه أبلغ من بيته ،فكأن سلم الخاسر أخذ ببيت بشار بن برد.

[1]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، تح : محمود شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، مصر ، ط3 ، 1413 هـ ، 1992 م ، ص 48 ، الحاشية رقم 2

[2]- ينظر: علي بن فضال القيرواني، النكت في القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1428، 2007، ص154.

[3]- أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 214.

هـ- ضابط اشتهارها في بابها:

ونعني بهذا الضابط أن تكون العبارة منتشرة ومذكورة عند الكلام عن ذلك المعنى الذي تحويه، ولا تكاد ترى غيرها يذكر في مكانها إلا مقرونا بها، سواء في الكتب أو الخطب، أو الأمثال والحكم، أو المقالات أو كتب الفنون العلمية المتنوعة، والشيء " إنما كان مألوفَ الاستعمال لمكان حسنه "[1] وبلاغته وفضله على غيره .

ومبدأ الاشتهار هذا معروف عند العرب، وفيه دلالة على أن المشتهِر بينهم أفضل من غيره، فقد كانوا ينتقون من الكلام أجوده ،ومن الكلمات أفصحها ثم لا يعرف فضلها وفصاحتها إلا باشتهارها بينهم، " وذلك أن أرباب النظم والنثر غربلوا اللغة باعتبار ألفاظها، وسبروا وقسموا، فاختاروا الحسن من الألفاظ فاستعملوه... فحسن الألفاظ سبب استعمالها دون غيرها، واستعمالها دون غيرها سبب ظهورها وبيانها"[2]، وإذا كان هذا في الألفاظ ، ففي التراكيب والمعاني من باب أولى لأنها الغاية والألفاظ وسيلة لتكوين هذه الجمل.

ويوضح عبد الرحمن الميداني ذلك مبينا اهتمام العلماء والأدباء بالأجود في كل شيء فيقول: " وينتقي أصحاب الأذواق الرفيعة من الكلمات ألينها في النطق وأحلاها في الأسماع، وأوفقها وأكثرها ملاءمة المعاني التي تدل عليها ، ويخصون بها أقوالهم ذوات الشأن من خطب ورسائل ومقالات وشعر وقصة ،وغير ذلك من موضوعات الكلام المحرر المنتقى"[3] فهم لا يأخذون إلا الأجود والأفضل خاصة في المقامات الشريفة ،والكتابات التي يُتوخى فيها البيانُ والفصاحة.

ولما كانت هذه العبارات الأبلغ مشتهرة في بابها ،وتناقلها الناس أطلق عليها المثل القائل (سارت به الركبان) ، وهو مثل " يضرب للحديث الفاشي"[4] ، أي المشتهر المنتشر ، ولا يكون ذلك عند

[1]- ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د.ط، 1995، ج1، ص15.
[2]- المرجع نفسه، ج1، ص92.
[3]- عبد الرحمن الميداني، البلاغة العربية، ج1، ص15.
[4]- أبو الفضل الميداني، مجمع الأمثال، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ط، د.س، ج1، ص356.

العلماء إلا لميزة امتاز بها عن غيره ، قال ابن حجة الحموي عن قصيدة لابن هانئ: " وهذه القصيدة سارت بها الركبان ، والحُدَاةِ تشدوا ببلاغتها ، وهي أحب من قفا نبك في الشهرة لفصاحتها "،[1] أي أن سبب اشتهارها هو فصاحتها وجودتها.

وممن ذكر هذا الوصف عن الكلام البليغ: إبراهيم المحبِّي عن حائية ابن النحاس حيث يقول: " وهذه قطعة من حائيته التي سارت بها الركبان ،وطارت شهرتها بخوافي النسور ،وقوادم العقبان"[2] ، وهذه الأقوال على سبيل المثال لا الحصر ، وإلا فكلام العلماء في هذا الموضوع كثير منتشر في كتبهم " فمن دلائل براعة الشعر تداول الرواة له ، وتناقل ألسنة أهل الفضل إياه "،[3] و ذلك لاختيارهم الأكمل والأجود في كلامهم،ولشغفهم بكل ما هو جليل وعال القدر شريف.

6-الخلفاء والأمراء وأبلغ الكلام:

الخلفاء والأمراء والوجهاء عموما من أعلم الناس بالشعر وجيده ،وما فيه من مميزات، أو ما يُداخله من خلل ، وذلك راجع لسببين : أولهما أن من هؤلاء الخلفاء والأمراء والوجهاء من هو من الأدباء، أو من علماء العربية ، أو على الأقل على دراية واسعة بعلوم اللغة ، وذلك لحرص الوجهاء على تأديب أولادهم ،وتعليمهم ،وتهيئتهم للمناصب العليا من جهة ، ولحرص ولاة الأمور على تولية العلماء هذه المناصب وتقريبهم منهم ، ومن هؤلاء العلماء الذين تولوا مناصب في الدولة نذكر: ابن العميد ، والصاحب بن عباد ، فقد كانا وزيران ، وهما من هما في العلم والأدب ، وكذلك ابن المعتز صاحب كتاب البديع ، فقد تولى الخلافة أيضا.

والسبب الثاني هو كثرة سماعهم للشعر وللكلام البليغ الذي يُمدحون، به أو يُمدح به غيرهم ، بل قد يسبقون إلى معرفة الكلام وما فيه ، أو يدركون ما لا يدركه غيرهم فقد " يكون الخليفة أو الملك أو الوزير هو الذي يدرك بلاغة القصيدة لكثرة ورود الشعراء لمجلسه وتقريبه لهم ، لنشر مفاخره ومآثره ، وإن

[1]- ابن حجة الحموي ، خزانة الأدب و غاية الأرب ، دار و مكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، ط: الأخيرة ، 2004 ، ج1 ، ص 276.
[2]- محمد بن محمد المحبي ، نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2005 ، ج2 ، ص276.
[3]- محمد الخضر حسين ، موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد خضر حسين ، ج7 ، ص 76.

لم يكن الشعر في مدحه" [1]، فقد اكتسبوا الملكة التي تجعلهم نقادا بارعين للكلام من منثور ومنظوم ، وقد يبارون كبار العلماء باللغة العربية في ذلك.

ومن أمثلة هذا ما ذكر عن الأصمعي أنه دخل على هارون الرشيد الخليفة رحمه الله، في يوم شديد البرد فقال له : " أنشدني أبلغ ما قيل في شدة البرد ، فأنشدته لمرة بن محكان السعدي: .

. في لَيْلَةٍ مِنْ جَمَادَى ذَاتِ أَنْدِيَةٍ لَا يُبْصِرُ الكَلْبُ مِنْ ظَلْمَائِهَا الطَّنَبَا . .

. لَا يَنْبَحُ الكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ حَتَّى يَلُفَّ عَلَى خَيْشُومِهِ الذَّنَبَا

فقال له : " أريد أبلغ من هذا" فأنشده بيتا لأخت عمرو ذي الكلب: . .

لَا يَنْبَحُ الكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ حَتَّى الصَّبَّاحِ وَلَا تَسْرِي أَفَاعِيهَا. .

فقالله :" أريد أبلغ من هذا" فأنشده للشنفرى: .

وَلَيْلَةِ قرٍّ يَصْطَلِي القَوْسَ رَبُّهَا وَأَسْهُمَهُ اللَّاتِي بِهَا يَتَنَبَّلُ . .

فقال : " حسبك ما بعد هذا شيء"[2]،فقد عرف هارون الرشيد هنا من بلاغة الشعر ما لم يعرفه الأصمعي على مكانته في اللغة و الأدب ، و دليل على ذلك إقرار الأصمعي هارون الرشيد على أن بيت الشنفري أبلغ ما قيل في وصف شدة البرد.

ومن المثال الأول : أي كون الأمير عالما في اللغة ،ما ذكره الصاحب بن عباد أنه أنشد بحضرة أبي الفضل بن العميد قصيدة أبي تمام التي فيها :

كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحْهُ أَمْدَحْهُ وَالوَرَى مَعِي وَإِذَا مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحْدِي . .

فقال له ابن العميد :" هل تعرف فيها شيئا من الهجنة ؟" فقال : "نعم ، مقابلته المدح باللوم ، وإنما يقابل بالذم والهجاء" فقال ابن العميد :غير هذا أردت،فقال "ما أعرف"، فقال ابن العميد" اعلم أن أحدَّ ما يحتاج إليه الشعر سلامة حروف اللفظ من الثقل ، وهذا التكرار في (أمدحه) مع الجمع بين

[1]– محمد الخضر حسين ، موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد خضر حسين ، ج7 ، ص 86.

[2]– ينظر: أحمد بن يوسف التيفاشي ، سرور النفس بمدارك الحواس الخمس ، تح: إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1980 ، ص245

الحاء والهاء خارجٌ عن حد الاعتدال ،نافر كل التنافر " فأقره الصاحب بن عباد على ذلك وأثنى عليه إذ توصل إلى ما لم يتوصل هو إليه [1] .

7- أبلغ الكلام في كلام العلماء:

تنوع ذكر العلماء لأبلغ الكلام ،ويمكن أن نقسم ذكرهم له إلى ثلاثة أنواع، وهي: ذكر تفاصيل البلاغة ،وأن منها القمة والمتنهى ، وذكر لفظ (أبلغ الكلام) في تعريف البلاغة، أو ذكر أوصاف أبلغ الكلام ، أو ذكر لفظ (أبلغ الكلام) على كلام معين ،امتاز على غيره بالجودة والبلاغة ،أو كان فيه وصف يوحي أنه لا أبلغ منه.

أ-النوع الأول : ذكر تفاضل البلاغة ،وأن منها القمة والمنتهى :

يذكر العلماء في معرِض كلامهم عن البلاغة أنها متفاوتة، وأن منها الحدّ الأدنى ،وأن منها الحد الأقصى، وهذا هو أبلغ الكلام ، فالبلاغة "درجات متفاوتة تعلو وتسفل في الكلام بنسبة ما تراعي فيه مقتضيات الحال ، وعلى قدر جودة ما يستعمل فيه من الأساليب في التعبير ،والصور البيانية، والمحسنات البديعية ، وأعلى تلك الدرجات ما يَقْرُبُ من حدِّ الإعجاز ، وأسفلها ما إذا غُيِّرَ الكلام إلى ما هو دونه التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات العجم ، وإن كان صحيح الإعراب ، وبين هذين الطرفين مراتب عديدة،" [2] فالدرجة العليا هي أبلغ الكلام الذي لا كلام أحسن منه من كلام البشر في بابه.

وممن ذكر أبلغ الكلام على هذا النحو: جلال الدين القزويني في كتابه (تلخيص المفتاح) فقال عن البلاغة: "ولها طرفان : أعلى: وهو حد الإعجاز، وما يقرب منه ،وأسفل : وهو ما إذا غير الكلام عنه إلى ما دونه التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات" [3]، فالطرف الأول هو أبلغ الكلام ،والأسفل هو

[1]- ينظر: الصاحب بن عباد ، الكشف عن مساوي شعر المتنبي ، مكتبة النهضة ، بغداد ، العراق ، ط1 ، 1385هـ ، 1965 م ، ص 34.

[2]- أحمد بن إبراهيم الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني و البيان والبديع ، ج1 ، ص 43.

[3]- بهاء الدين السيكي ، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، تح: عبد الحميد الهنداوي ، المكتبة العصرية للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان

أقل ما تتحقق به الإفادة ، وكذلك ذكره في كتابه الإيضاح في علوم البلاغة.[1]

وممن ذكر أبلغ الكلام بذكر تفاضل البلاغة المؤيد بالله الطالبي في كتابه الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، إذ يقول متكلما عن البلاغة:" ثم ذلك الحسن له طرفان ووسائط : فالطرف الأعلى منه يقع التناسب فيه بحيث لا يمكن أن يزاد عليه ، وعند هذا تكون تلك الصورة ،وذلك النظام في الكلام في الطبقة العليا من الحسن والإعجاب ... وأما الطرف الأعلى، وما يقرب منه فهو المعجز لأنه ليس فوقه رتبة ، لأنه قد بلغ الغاية في الفصاحة والبلاغة، الحاصلين من جهة مفردات الحروف تارة ومن جهة تركيبها أخرى"[2] ،وهذا كلام واضح منه أن المراد بالطرف الأعلى أبلغ الكلام.

ومنهم شمس الدين الكرماني حيث يربط الطرف الأعلى من البلاغة بمفهوم أبلغ الكلام فيقول :" ولها – أي البلاغة – طرفان : أسفل به يزيد على ما يفيد أصل المعنى، الذي هو بمنزلة أصوات الحيوانات ، وأعلى : وهو أن يقع التركيب بحيث يمتنع أن يوجد ما هو أشد تناسبا منه في إفادة ذلك المعنى"[3] ،وهو أبلغ الكلام الذي لا شيء بعده.

وليس الغرض من ذكر هؤلاء العلماء الثلاثة الحصر ، بل كثير منهم يتكلمون عن هذا التقسيم في البلاغة ، ولكن الغرض هو بيان أن مفهوم أبلغ الكلام كان منتشرا بين العلماء البلاغيين ،وأن ذكرهم لهذا القسم هو ذكر لأبلغ الكلام بشكل عام ،ومنهم من أَسْقط هذا المفهوم العام ،وطبَّقه على كلام معين ،وحكم عليه أنه الأبلغ في بابه.

ب–النوع الثاني :

وهو ذكر لفظ (أبلغ الكلام) بشكل عام أيضا، وذلك خلال تعريفهم للبلاغة، أو ذكر أجود أنواعها أو ذكر أوصاف الكلام البليغ، الذي إذا ارتقى صار أبلغ الكلام، وفي ضمن هذا الكلام

ط1 ، 1423هـ ، 2003 م ، ج1 ، ص 93.

[1]– جلال الدين القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ج1 ، ص 46.

[2]– المؤيد بالله الطالبي ، الطراز لأسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1423هـ ، ج1 ،ص 67-68

[3]– شمس الدين الكرماني، تحقيق الفوائد الغياثية، مكتبة العلوم و الحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1424 هـ ، ج2 ،ص 787

ذكر أبلغ الكلام الذي نحن بصدد البحث فيه، وهذا النوع نجده خاصة في كلام الأدباء البلغاء، أو علماء البلاغة.

ومثال هذا القول الأصمعي :" إن أبلغ الكلام ما لم يكن بالقروي المجدع ولا البدوي المعرب "[1]، أي ما كان وسطا بين ميوعة المدينة ،وبين غلظة البداوة ، ومثله أيضا قول سهل بن هارون : " أبلغ الكلام ما سبق معناه لفظه"[2]، أي أن لفظه يبلغ المعنى بشكل سهل بسيط حتى كأنه سبق اللفظ إلى مسمع المتلقي.

ومنها ما ذكره أحمد الشرواني عن أحد الحكماء أنه قال:" أبلغ الكلام ما قلت فضوله وتمت فصوله، أبلغ الكلام ما صحت مبانيه ووضحت معانيه،أبلغ الكلام ما أعرب عن الضمير وأغني عن التفسير، أبلغ الكلام ما يدل أولاه على أخراه ،ويستغنى بباطنه على ظاهره"[3] ،أي ما سهل منه أخذ المعنى وكان أنسب للمبنى.

وقد كثر هذا النوع في كلام العلماء في كتبهم أو نقلا عن غيرهم مما يدل على أن مفهوم أبلغ الكلام كان منتشرا بينهم من جهة ، ومن جهة أخرى أنه كان محط اهتمام العلماء وطلبة العلم والأدباء ، إذ كانوا يسألون عنه ويدونون إجابات العلماء البلغاء ثم يضمنونها كتبهم وخطبهم وكتاباتهم .

ج-النوع الثالث :

وهو إطلاق لفظ (أبلغ الكلام) على عبارة بعينها امتازت عن غيرها مما كان من بابها بالحسن والجودة وهذا كثير في كلام العلماء والأدباء والخلفاء والأمراء، وعند إمعان النظر نجد أنه ينقسم إلى قسمين هما: هما ما وُصِفَ به القرآن ، وما وُصِفَ به كلام العرب، وكلاهما كالجانب التطبيقي للنوعين الأول و الثاني.

[1]- ابن حيان البستي ، روضة العقلاء و نزهة الفضلاء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1397- 1977 ، ص 222.

[2]- شهاب الدين النويري ، شهاب الأرب في فنون الأدب ، دار كتب الوثائق العلمية ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 1423 هـ ، ج7 ، ص 10.

[3]- أحمد بن محمد الشرواني ، نفحة اليمن فيها يزول بذكره الشجن ، مطبعة التقدم العلمية ، مصر ، ط1 ، 1324 هـ ، ص 178.

فأما النوع الأول وهو وصف القرآن الكريم بأنه أبلغ الكلام فهو مشهور بين العلماء ، بل هو المتبادر إلى الذهن عند إطلاق (أبلغ الكلام) ، فما إن تسمع هذه اللفظة: أبلغ الكلام ،إلا وانصرف ذهنك أولا إلى القرآن الكريم إذ هو أبلغ الكلام بإجماع العلماء.

وقد كثر هذا النوع عند العلماء في معرض كلامهم عن القرآن الكريم منها قول الصنعاني صاحب كتاب سبل السلام " ومن المعلوم يقينا أن كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه و سلم ، أقرب إلى الإفهام، وأدنى إلى إصابة المرام فإنه أبلغ الكلام بالإجماع."[1] أي أن العلماء مجمعون على أنه لا أبلغ من كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومنهم شهاب الدين الخفاجي إذ يقول :" والعدول عن الأخصر الأظهر بلا فائدة لا يتجه في كلام بليغٍ فضلا عن أبلغ الكلام "[2] يعني القرآن الكريم.

ومن المتأخرين محمد بن صالح العثيمين إذ يقول عن أحد الكفار ممن عايش التنزيل: " فلم ينتفع بالقرآن وهو أبلغ الكلام، وأشده تأثيرا على القلب."[3] يعني القرآن الكريم ، ومنهم عباس حسن إذ يقول :" وهذا النوع من التقدم فصيح يجوز القياس عليه لوروده في أبلغ الكلام – و هو القرآن –"[4] فقد صرح بأن القرآن هو أبلغ الكلام على الإطلاق.

وذكر هذا غيرهم كثير من المعاصرين، والغرض هنا ليس استقصاء كل من قال بأن أبلغ الكلام هو القرآن الكريم عند الإطلاق ، بل العلماء مجمعون على هذا، وإنما الغرض تبيان أنَّ لفظة (أبلغ الكلام) عند العلماء تطلق على القرآن الكريم، وتطلق أيضا على كلام البشر الذي قارب حد الإعجاز ولم يمكن أن يؤتي بمثله في بابه.

[1]– محمد بن إسماعيل الصنعاني ، سبل السلام ، دار الحديث ، القاهرة ، مصر ، د.ط ، د.ت ، ج2 ، ص 569.

[2]– شهاب الدين الخفاجي ، عناية القاضي و كفاية الراضي على تفسير البيضاوي ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ج1 ، ص 217.

[3]– محمد بن صالح العثيمين ، تفسير جزء عم ،ص10.

[4]– عباس حسن ، النحو الوافي ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط15 ، 2017 ، ج3 ، ص 497.

وأما النوع الثاني من إطلاق (أبلغ الكلام) على عبارة بعينها فهو إطلاقها على شيء من كلام العرب، منظومه أو منثوره، وهذا هو مبتغانا في هذا البحث،فتجد العالم باللغة أو العربي البليغ العارف، بها يحكم على كلام ما أنه أبلغ من الكلام إما بهذا اللفظ ، أو بإحدى مرادفاته التي مرت.

ومن هؤلاء العكبري في شرح ديوان المتنبي عند شرحه للبيت من أبياته فقال :" وهذا من أبلغ الكلام وأوعظه" [1] و منهم محي الدين درويش عن بيت قاله المتنبي " وهذا من أبلغ الكلام و أوعظه وأدله على عبقرية شاعر الخلود" ،يعني المتنبي.

ويلاحظ أن غالب هذا النوع لا يأتي مطلقا معبَّرا عليه (بأبلغ الكلام)، وإنما يأتي غالبا مقيدا بغرض كقول أبي هلال العسكري: "أبلغ ما قيل في إعمال السيف قول عمرو بن كلثوم " ،[2] أو قول أبي منصور الثعالبي :" ومن أبلغ ما قيل في التأسف على الشباب قول منصور "[3] ،أو قول شهاب الدين النويري عن بيت المتمم بن نويره يرثي أخاه مالكا: " وهو أبلغ ما قيل في تعظيم الميت،" [4] وغيرها كثير من أقوال العلماء البلاغيين.

ويدخل في هذا الباب أيضا ما نُسب بصيغة المبالغة إلى غرض من الأغراض ، كأفخر بيت وأهجى بيت ، وأنسب بيت وغيرها، وليس الغرض استقصاء هذه العبارات هنا بل الغرض التمثيل لها فقط لأن موضوع استقصائها والتدليل عليها المبحث الثاني.

8-مؤلفات اعتنت بأبلغ الكلام:

1-البيان و التبيين للجاحظ : (ت 255هـ) :

[1]- عبد الله بن حسين العكبري ، شرح ديوان المتنبي ، تح: مصطفى الشفا و آخرون ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.س ، ج3 ، ص 224.

[2]- أبو هلال العسكري ، ديوان المعاني ، ج2 ، ص 50.

[3]- أبو منصور الثعالبي ، أحسن ما سمعت ، ص 80.

[4]- شهاب الدين النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج5 ، ص 179.

و هو كتاب في الأدب من ثلاثة أجزاء كما قسمها مؤلفه ،وتكلم فيه عن مسائل متعددة وحاول فيه وضع أسس علم البيان وفلسفة اللغة ، وخص القسم الثالث منه لأبلغ الكلام من منثور ومنظوم على اختلاف أغراضه فقال: " هذا –أبقاك الله– الجزء الثالث من القول في البيان والتبيين ، وما أشبه ذلك من غرر الأحاديث وما شاكله من عيون الخطب ، ومن الفقر المستحسنة والنتف المستخرجة ، والمقطعات المتخيرة ، وبعض يجوز ذلك من أشعار المذاكرة و الجوابات المنتخبة "[1] ،و كان يذكر في كثير مما يورده أنه من أبلغ الكلام.

2–عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري (ت 276 هـ) :

و هو كتاب في الآداب و التأدب جمعه مصنفه " لتأخذ نفسك بأحسنها و تقومها بثقافتها وتخلصها من مساوئ الأخلاق ، كما تخلص الفضة البيضاء من خبثها ، و تروضها على الأخذ بما فيها من سنة حسنة و سيرة قويمة و أدب كريم و خلق عظيم"[2] و قد ضمنه فصلا في أبلغ الأبيات سماه الأبيات التي لا مثيل لها.[3]

3–المجتني لابن دريد (ت 321 هـ) :

و هو كتاب جمع فيه دررا من المنثور و المنظوم و غلب المنثور على المنظوم ، و قسمه إلى أبواب ، و خلال اختياراته لما أثبته قام بتوخي الأبلغ والأجود فقال مبينا ذلك:" هذا الكتاب يشتمل على فنون شتى من الأخبار الموثقة و الألفاظ المسترشقة والأشعار الرائقة والمعاني الفخمة والحكم المتناهية والأحاديث المنتخبة سميناه كتاب المجتنى لاجتنائنا في ظرائف الآثار كما تجتنى أطايب الثمار ." [4] و هو كتاب نفيس أودعه نصوصا عزيزة و أشار فيه إلى أبلغ الكلام.

4–حلية المحاضرة لمحمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي (ت 388 هـ) :

---

[1]– عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان و التبيين ، ص 395.

[2]– ابن قتيبة الدينوري ، عيون الأخبار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، 1418هـ ، ج1 ، ص 43.

[3]– ينظر: المرجع نفسه ، ج2 ، ص 207.

[4]– ابن دريد، المجتنى ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند ، ط2 ، 1962 ، ص1.

و هو كتاب تحرى فيه مؤلفه جمع أبياتا من أبلغ الكلام فقال :" و أودعه من ذلك ما وقع إجماع نقاد الكلام والعلماء بسرائر الشعر على أنه أشعر ما قيل في معناه من كل نوع تتناوله المحاضرة و تتهادى جواهر المذاكرة ، و تتعاطى بلاغته الألسنة ويكون لعطل اللفظ حليا ، وللإختيار رونقا ، و الأسماع علقا و لشمل الاختصار جامعا" [1].

5- ديوان المعاني لأبي هلال العسكري (ت نحو 395 هـ) :

و هو كتاب آخر طلب فيه كاتبه جمع أبلغ الأبيات من كل فن ، مقسما له إلى الفضول ، ويذكر قصصا في ضمن ذلك ، قال في مقدمة الكتاب :" جمعت في هذا الكتاب أبلغ ما جاء في كل فن وأبدع ما روي في كل نوع من أعلام المعاني و أديانها إلى عواديها و شذاذها و تخيرت من ذلك ما كان جيد النظم محكم الرصف ، غير مهلهل رخو و لا متجعد فج."[2] و لم يقتصر فيه على الأبيات بل تجاوزه إلى ذكر المقطوعات الشعرية.

6- نثر الدر لأبي سعيد منصور بن الحسن الآبي :

و هو كتاب توخى فيه جامعه جمع الأبلغ من المنثور ، ولم يذكر فيه المنظوم إلا نادرا شاردا غير مقصود في ذاته و إنما أتى في درج الكلام ، قال مبينا ذلك :" و اقتصرت فيما أوردته فيه على الفِقَر الفصيحة ، والنوادر المليحة ، و المواعظ الرقيقة ، و الألفاظ الرشيقة ، و أخليته من الأشعار."[3] وقد قسمه إلى سبعة فصول كل فصل يشمل عدة أبواب.

7- الإعجاز و الإيجاز لأبي منصور الثعالبي (ت 429هـ) :

و هو كتاب آخر في أبلغ الكلام ، و هو كتاب جليل في بابه أحسن مؤلفه ترتيبه مما يسهل الوصول إلى المادة المرجوة ، و قال في مقدمة الكتاب متكلما عن محتواه ،وأنه مشتمل على " الكلمات

[1]- محمد بن حسم الحاتمي،حلية المحاضرة ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، العراق ، د.ط ، 1979 م ، ج1 ، ص

[2]- أبو هلال العسكري ، ديوان المعاني ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت ، ج1 ، ص 7.

[3]- منصور بن حسن الآبي ، نثر الدر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1424 هـ ، 2004 م ، ج1 ، ص 23.

القليلة الألفاظ الكثيرة المعاني المستوفية أقسام الحسن و الابجاز، الخارجة عن حد الإعجاب إلى الإعجاز في النثر المشتمل على سحر البيان ، والنظم المحاكي قطع الجمان ، و أخرجته في عشرة أبواب "[1] واستهله بالكلام عن القرآن الكريم ثم ثناه بالكلام عن أحاديث النبي صلى الله عليه و سلم إلى آخر الأبواب العشرة.

8-خاص الخاص لأبي منصور الثعالبي (ت429 هـ) :

و هو كتاب ألفه أبو منصور الثعالبي في أبلغ الكلام ،وانتخب مما أودعه في كتابه هذا أجود البليغ فهو كما سماه خاص الخاص أي أبلغ البليغ فقال في مقدمته : " و أودعته من عيون الغرر و نصوص الكتب ، ما يكاد يخرج من حد الإعجاب إلى حد الإعجاز ، و يطرب بلا سماع ، ويسكر بلا شراب"[2] و بوبه أبوابا وقال في أول الأبواب " الباب الأول : فيما يقارب الإعجاز من إيجاز البلغاء ، وسحر الكتاب ، و غيرهم"،[3] إلى غير ذلك من الأبواب التي تحوي أبلغ الكلام وأجود المنثور و المنظوم.

9-أحسن ما سمعت لأبي منصور الثعالبي (ت 429 هـ) :

و هو كتاب آخر فيما نحن بصدده من أبلغ الكلام ،ومحتواه واضح من عنوانه فقد جمع فيه مؤلفه أحسن ما سمع من المنظوم و سماه بأحسن ما سمعت ، قال في المقدمة :" و بعد: فقد أثبت في كتابي هذا أحسن ما سمعت ، و سميته بذلك ورتبته على اثنين و عشرين بابا، فجاء نزهة للناظر ، وبهجة للخاطر"[4] و كان يشير فيه إلى أبلغ الكلام مثل قوله :" أحسن ما جاء نظما ..." أو قوله :" أحسن ما سمعت في..." كما كان يثبت فيه شيئا من أشعاره التي نظمها و يصدرها بقوله : " وقول مؤلف الكتاب "ويذكر بعض أبياته

10- لطائف الظرفاء من طبقات الفضلاء،لأبي منصور الثعالبي(ت 429 هـ):

[1]- أبو منصور الثعالبي ، الإعجاز و الإيجاز ، المطبعة العمومية ، مصر ، ط1 ، 1897 ، ص 8.

[2]- أبو منصور الثعالبي ، خاص الخاص ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1414 هـ ، 1994 م ، ص 17.

[3]- المرجع نفسه ، ص 19.

[4]- أبو منصور الثعالبي ، أحسن ما سمعت ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1421 هـ ، 2000 م ، ص 5

و هو كتاب آخر للثعالبي " الخفيف الحجم الثقيل الوزن الصغير الجرم الكبير الغنم في لطائف الظرفاء من طبقات الفضلاء."[1] كما وصفه مؤلفه و قد اهتم بأبلغ الكلام فقال :" و أودعته منها ظرفا ، وروح الروح ، و عقود الدر ، و عقد السحر نثرا و نظما." [2] و ذكر في مستهله ثلاثة أدعية زعم أنها أبلغ ما قيل في باب الدعاء و هي :" أدام لك السرور " للجاحظ ، و قول الصاحب بن عباد :" عش ما شئت كيف شئت" و قول أبي إسحاق الصابي :" جعل الله أيامك مطاياك على آمالك ." و قسمه إلى اثني عشر بابا [3].

11- زهر الآداب وثمر الألباب لإبراهيم بن علي الحصري (ت 453هـ):

و هو كتاب من كتب الأدب والبلاغة تحرى فيه صاحبه جمع الكلام البليغ من شعر و نثر ، كما حاول جمع الأبلغ والأجود فقال في مقدمة كتابه :" و بعد فهذا كتاب اخترت فيه قطعة كاملة من البلاغات في الشعر والخبر ، والفصول و الفقَر ، مما حسن لفظه ومعناه ، و استدل بفحواه على مغزاه

ولم يكن شاردا و لا حوشيا و لا ساقطا سوقيا ، بل كان جميع ما فيه ، من ألفاظه و معانيه ، كما قال البحتري – الخفيف –

"في نظام البلاغة ما شـــــ ك امرؤ أنه نظام فريد

حزن مستعمل الكلام اختيارا و تجنبن ظلمة التعقيد

وركبن اللفظ القريب فادركـ ن به غاية المراد البعيد "[4].

وهذا كله من أوصاف أبلغ الكلام الذي سعى إلى جمعه في هذا الكتاب.

و رغب فيه مؤلفه إلى ذكر غير المشهور من أبلغ الكلام لأنه أعذب و أوقع في النفس فقال :" وقد رغبت في التجافي عن المشهور في جميع المذكور ، من الأسلوب الذي ذهبت إليه ، و النحو الذي

[1]- أبو منصور الثعالبي ،لطائف الظرفاء من طبقات الفضلاء الدار العلمية للموسوعة ، تح: عدنان كريم الرجب ، بيروت ، لبنان،ط1، 1999 م،ص 73 – 74.

[2]- المرجع نفسه ، ص 74.

[3]- ينظر : المرجع السابق ، ص 74 – 75.

[4]- إبراهيم بن علي الحصري ، زهر الآداب وثمر الألباب ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1421 هـ ، 2001 م ، ج1 ، ص 21-22.

تحولت عليه ، لأن أول ما يقرع الآذان ادعى إلى الاستحسان مما مجته النفوس لطول تكراره و لفظته العقول لكثرة استمراره ."[1] ثم قال مؤكدا على جودة ما اختاره :" و لا شك – إن شاء الله – في استجادة ما استجدت ، و استحسان ما استحسنت."[2] و ذلك لما قدمه من أن الغريب الذي لم يسمع به إذا كان بليغا كان أوقع في النفس و أجمل في المقال.

12- الرسالة الشافية لعبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) :

و هي رسالة و جيزة ألفها عبد القاهر الجرجاني في مسالة إعجاز القرآن الكريم ، و لكن من وجهة نظر غير التي بنى عليها كتابه دلائل الإعجاز ، وفي ضمن هذه الرسالة تعرض لمسألة أبلغ الكلام فقال :" و إنا لنعلم من حال المعاني أن الشاعر يسبق في الكثير منها الى عبارة يعلم ضرورة أنها لا يجيء في ذلك المعنى إلا ما هو دونها و منحط عنها"، [3] و هذا هو مفهوم أبلغ الكلام كما قرره من سبقه من العلماء .

ولم يقتصر فيها على ذكر المنظوم بل عرج على المنثور أيضا، و بين أن منه البليغ الذي لا أبلغ منه و لا يرام مثله فقال :" و كذلك السبيل في المنثور من الكلام ، فإنك تجد فيه متى شئت فصولا تعلم أن لن يستطاع في معانيها مثلها ."[4] ولم يقصر المنثور على ما كان من الكلام الأدبي ، بل جعل منه الكلام العلمي ،خاصة ما كان في أوائل المؤلفات في الفنون كالنحو و الصرف و غيرها و مثل لذلك بكلام لسيبويه في الكتاب.

13-محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهاني(ت 502 هـ):

[1]- إبراهيم بن علي الحصري ، زهر الآداب وثمر الألباب ، ج1 ، ص 24.
[2]- المرجع نفسه، ج1 ، ص 24.
[3]- عبد القاهر الجرجاني ، الرسالة الشافية ، دار المعارف ، مصر ، ط3 ، 1976 م ، ص 138-139.
[4]- المرجع نفسه، ص 140.

و هو كتاب آخر جامع لفنون شتى من نثر و نظم فيه " نكت من الأخبار و عيون من الأشعار ...، فصولا من محاضرات الأدباء و محاورات الشعراء و البلغاء "[1] ، و قد توخى فيه المؤلف جمع الأبلغ والأجود و الأحسن فقال :" و قد ضمنت ذلك طرفا من الأبيات الرائقة والإخبار الشائقة ، و أوردت فيه ما إذا قيس بمعناه:

يكون منه مكان الروح من جسد و البدر من ذلك و النجم من قطب "[2]

و قام بتقسيمه إلى حدود و فصول و أبواب كل حد لموضوع محدد ، فمثلا :" الحد الأول في العقل والعلم و الجهل ، و يتعلق بهما " ،و هكذا إلى الحد الخامس و العشرين الذي جعله في فنون مختلفة.

14–لباب الآداب لأسامة بن منقذ :

وهو كتاب آخر من كتب الأدب الزاخرة التي عنت بجمع طرف من الآداب وجملة من محاسن المنظوم والمنثور ، وتحري فيه صاحبه الجودة و أبلغ الكلام قال محقق الكتاب محمد شاكر – رحمه الله – :" فاني لا أظنني مغالبا إذا قلت أن هذا الكتاب من أجود كتب الأدب و أحسنها ، وسيرى قارئه أنه ينتقل من روض إلى روض و يجتني أزاهير الحكمة وروائع الأدب و يقتبس مكارم الأخلاق ."[3] و الشاهد من قول المحقق " أزاهير الحكمة و روائع الأدب ،" أي أبلغ الكلام .

و من مميزات هذا الكتاب أن فيه كثيرا من الأقوال والأشعار التي تفرد بذكرها دون غيره من المؤلفين في بابها ،و هي لمشاهير البلغاء كأشعار لعامر بن الطفيل، و مالك بن حريم الهمذاني، و ابن المعتز ، و المقري و غيرهم ، و لم يذكر المؤلف مقدمة لكتابه بل استهله بباب الوصايا مباشرة .[4]

15–منتهى الطلب من أشعار العرب لمحمد بن المبارك بن ميمون(597 هـ):

[1]– الراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء و محاورات الشعراء و البلغاء ، شركة الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1420 هـ ، ج1 ص 13.

[2]– المرجع نفسه ، ج1 ، ص 14.

[3]– أسامةبن منقذ ، لباب الآداب ، مكتبة السنة ، القاهرة ، مصر ، ط2 ، 1407 هـ ، 1987 م ، ص 6.

[4]– ينظر: المرجع نفسه ، ص 6.

و هو كتاب من عشرة أجزاء جمع فيه مؤلفه ألف قصيدة من أشعار العرب الذين يستشهد بشعرهم ، و هو في عشرة أجزاء ، و تحرى أبلغ ما قال كل شاعر ، قال مبينا ذلك :" و إنما كتبت لكل أحد ممن ذكرت أفصح ما قال وأجوده ، حتى لو سبر علي منتقد بعلم عرف صدق ما قلت. "[1] ولا يلزم أن تكون كل القصائد التي جمعها من أبلغ الكلام، ولكن لا تخلوا منها لأنها قصائد لفحول من الشعراء ممن امتاز بالجودة و البلاغة.

16-كنز الكتاب ومنتخب الآداب ،لأبي إسحاق الفهري البونسي (651 هـ):

و هو كتاب آخر تحرى فيه مؤلفه جمع أبلغ العبارات من مظلوم و منثور، لكنه أكد على ذكر أدباء الأندلس و شعرائها ، ومن وفد إليها، خاصة المتأخرين منهم ، فقال :" جمعت في هذا التصنيف من لبابه الباهر و زهره العاطر ، لمعا كسقط الزند عند الاقتداح ، أو المرهفات في ليل النقع يوم الكفاح ، وانتقيت من توليده المخترع ونادره المستبدع."[2] و قسمه إلى أربعة أبواب : الأول في الفصاحة و الشعر والثاني في الرسائل المنتخبة ، و الثالث في حكايات حسان وأخبار الملوك والأعيان ، والرابع في الحب .

17-الدر الفريد و بيت القصيد لمحمد بن أيدمر المستعصمي(710 هـ) :

و هو كتاب جليل جمع فيه صاحبه عشرين ألف بيت من أبلغ الشعر قال مبينا ذلك :" وأرسلت فيه عشرين ألف بيت فرد قائم بذاته شرود فذ ، محكم محرر ، مضبوط منقح ، محكك محتو على الشروط ، فصيح اللفظ ، صحيح المعنى ، واقع التشبيه ، جيد الكناية مستول على أساليب الحسن والجمال ومشتمل على أوصاف التمام و الكمال ، منتخب مُعد لمبتغيه ، قابل لكل معنى يصاغ فيه ." [3] أي أنه جمع أجود وأبلغ ما سمعه وانتخبها واختارها بعد سبر و تنقيح.

[1]- محمد بن مبارك بن ميمون ، منتهى الطلب من أشعار العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1999 م ، ج1 ، ص 70.

[2]- أبو إسحاق البونسي ، كنز الكتاب و منتخب الآداب ، تح: حياة قارة ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، الإمارات العربية المتحدة ، د.ط ، 2004 ، ج1 ، ص 69.

[3]- محمد بن أيدمر المستعصمي ، الدر الفريد و بيت القصيد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1436 هـ ،2015 م ، ج1 ، ص 494.

وقد أشار إلى أن أبلغ الكلام قليل في الشعر والنثر وهذا ما جعل الكتاب فيه قليلون ومن جمع منهم لم يكثر منها فقال :" إلا أنهم لما رأوا مرامها بعيدا وتحصيلها صعبا شديدا ، أحجموا عن الإيغال في الإكثار من إثبات أبياتها ، وقصرت عزائمهم عن الانتهاء إلى غاياتها لأنها قليلة جدا ، معدومة معدودة عدا ، فلا تكاد تصاد إلا في النادر من ألفاظ الرجال ، وآحاد الأمثال." [1] مما يجعلها مطلب كل نابغ و قصد كل شريف، و السَّعيد من ظفر بها .

18-كيف تغدوا فصيحا لمحمد حسان الطيان :

و هو كتاب معاصر موضوعه حول الفصاحة ، وقد عقد مؤلفه فصلا لأبلغ الكلام سماه :" نماذج من فصيح القول " وقال فيه:" لهذا اخترت نصوصا من فصيح القول ، تضم أحلى ما قرأت وسمعت في رحلتي الطويلة مع الفصاحة و نصوصها ،من كلام يمتزج بأجزاء النفس لطافة .. و بالهواء رقة .. وبالماء عذوبة عسى أن يفيد منه المطالع ،و يقف فيه على حقيقة الفصاحة و البيان."[2] واختار فيه نماذج من القرآن الكريم و من الأحاديث النبوية ،و من كلام العرب نثرا و شعرا.

[1]- محمد بن أيدمر المستعصمي ، الدر الفريد و بيت القصيد ، ج1 ، ص 493 – 494.

[2]- محمد حسان الطيان ،كيف تغدوا فصيحا عن اللسان ، الوعي الإسلامي ، الكويت ، ط1، 1433 هـ ، 2012 م ، ص 108 – 109.

الفصل الثاني

نماذج من أبلغ الكلام :

هذه نماذج من أبلغ الكلام مجموعة من بطون الكتب التي عينت بذلك وقمنا باستخراجها بتطبيق الضوابط الخمسة السابقة،كما قمنا بعزوها إلى مصادرها مع تميز الضابط الذي بسببه تم اختيارها.

ولم نذكر الآيات القرآنية ولا الأحاديث النبوية وإنما اقتصرنا على كلام العرب ، إلا أن في قول (لا إله إلا الله) ،وذلك لأن القرآن والسنة كلهما من أبلغ الكلام ،لا كلام أبلغ منهما في كل المعاني المذكورة فيهما، ولأن بحثنا هو حول كلام العرب غير القرآن الكريم وكلام النبي صلى الله عليه و سلم.

وأبلغ الكلام من المنثور لم يحض بما حضي به الأبلغ من الشعر من الاهتمام ،وقليلا ما تجد حكم العلماء عليه بأنه أبلغ الكلام ،وأكبر الأدلة عليه في الغالب إنما هو ضابط اشتهاره في بابه.

و الاهتمام بأبلغ الكلام كان في المتقدمين أكثر ، وصار يقل مع المتأخرين ولعل ذلك لاهتمام الأوائل باللغة العربية ومحافظتهم عليها، وحبهم لها ،ولشرف نفوسهم التي لا تبغي إلا الكمالات من الأشياء.

وتوخينا في هذا الفصل إقامة الأدلة على أن ما انخبناه من العبارات هي أبلغ ما قيل في بابها ،وذلك بتتبع أقوال العلماء في هذه العبارات ،وكذلك بتتبع وجودها في كتب أهل العلم ممن ألفوا في أبلغ الكلام،وحشدنا ما وقفنا عليه من أدلة ،لأنه كلما كثرت الأدلة كلما كان اليقين بالقطع بأن هذه العبارة من أبلغ الكلام .

1-لَا إِلَهَ إِلَّا الله :

هي أبلغ الكلام وأفضله وأجله وأكثره نفعا ،وأعظمه بركة، وكانت في الأمم السابقة واشتهر بها النبي صلى الله عليه وسلم ،ودعا إليها ،وجعلها الكلمة الفارقة بين الكفر والإسلام، وأجمع العلماء على أنه لا يقبل من أحد الإسلام حتى ينطق بها.

وقد وردت في القرآن الكريم في عدة مواضع منه ،والقرآن الكريم قطعا هو أبلغ الكلام فلا تكون هي في معناها إلا أبلغ الكلام ، ومن مواطن التي ذكرت فيها في القرآن الكريم قوله تعالى :﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[1] ،وقوله تعالى :﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ٣٥﴾[2] ،هكذا بهذا اللفظ مرتين في القرآن الكريم.

كما أنها وردت بصيغ مقاربة في القرآن الكريم أيضا ،مثل قوله تعالى :﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[3]، وقوله تعالى :﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾[4] ، وقوله تعالى :﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩٠﴾[5]، وقوله تعالى :﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾[6]. وغيرها من الآيات الكريمة.

كما وردت في سنة النبي صلى الله عليه وسلم ومن كلامه عليه الصلاة والسلام وفي مواطن كثيرة ،فقد وردت في صحيح البخاري مائة وست مرات ،وفي صحيح مسلم ثمان و سبعين مرة،مما يجعلها أبلغ الكلام بلا شك.

2-أَمَّا بَعْدُ :

وهو من أبلغ الكلام أيضا لوروده في الأحاديث النبوية،من قوله عليه الصلاة والسلام ،فقد كان كثيرا ما يردد عليه الصلاة والسلام هذه الكلمة في خطبه و دليل هذا ما رواه مسلم في صحيحه ،عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال :"كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه

[1]- سورة محمد، الآية 19.

[2]- سورة الصافات، الآية 35.

[3]- وردت في القران الكريم تسعا و عشرين مرة.

[4]- سورة الأنبياء، الآية 87.

[5]- سورة يونس، الآية 90.

[6]- وردت في ثلاث مواطن في القران الكريم في سورة النحل الآية 2 ، وسورة الأنبياء ، الآية 25 ، وفي سورة طه ، الآية 14.

وعلا صوته ،واشتد غضبه ،حتى كأنه منذر جيش يقول :" صبحكم ومساكم" ،ويقول :" بعثت أنا والساعة كهاتين"، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى ،ويقول :" أما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة"[1] ، وورودها في كلامه عليه الصلاة والسلام دليل على أنها أبلغ ما جاء في معناها لأنه، لم يعدل عنها إلى غيرها عليه الصلاة والسلام وهو أفصح من نطق بالعربية..

وظاهر الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مواظبا على ذكرها في خطبه ،وملازما لها، وهذا ما يؤكد على أنها أبلغ ما جاء في بابها "وقد عقد البخاري بابا في استحبابها ، وذكر فيه جملة من الأحاديث ، وقد جمع الروايات التي فيها ذكر " أما بعد " لبعض المحدثين ، وأخرجها عن اثنين وثلاثين صحابيا ، وظاهره أنه كان صلى الله عليه وسلم يلازمها في جميع خطبه ،وذلك بعد الحمد والثناء والتشهد، كما تفيده الرواية المشار إليها"[2] ،أي رواية مسلم المتقدمة.

وقد جاء في تفسير قوله تعالى:﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ۝٢٠﴾[3] أن فصل الخطاب هو " أما بعد"، قال ابن جرير إن في هذه الآية ثلاثة أقوال ،منها أن فصل الخطاب هو:(أما بعد) ،وذكر بسنده إلى الشعبي أنه قال في قوله تعالى: (وفصل الخطاب)، قال : قول الرجل أما بعد، ثم قال ابن جرير " والصواب أن يعم الخبر كما عمه الله ، فيقال : أوتي داود فصل الخطاب في القضاء والمحاورة والخُطب " ،أي أنه يصحح تفسير فصل الخطاب ب (أما بعد)[4].

وقد ورد تفسير قوله تعالى (وفصل الخطاب) بأنه (أما بعد) عن كثير من السلف ،منهم الشعبي كما مر من قول ابن جرير الطبري ، وكذلك زياد بن أمية رحمه الله فقد روى ابن أبي شيبة "عن الشعبي عن

[1]– مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1954 م، ج2، ص 592، رقم 43.

[2]– محمد بن إسماعيل الصنعاني ، دار الحديث ، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية ، د.ط ، د.ت ، ج1 ، ص 402.

[3]– سورة ص، الآية 20.

[4]– ينظر : جمع البيان في تأويل القران ، محمد بن جرير الطبري ، تح : أحمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1420 هـ ، ج21 ص 173.

زياد قال (فصل الخطاب) أما بعد "[1] ،وعلى هذا فيكون أول من قالها هو داود عليه السلام ،كما روى ذلك علاء الدين الهندي ،عن ابن موسى قال: " أول من قال " أما بعد " داود ،وهو فصل الخطاب"[2] ،وهذا ما يزيدها بلاغة وشرفا.

ومع هذا، فقد اختلف العلماء في أول من قال أما بعد من الناس على ثمانية أقوال ،يجمعها قول الناظم:

جرى الخُلْفُ أما بعد من كان باديا بها عُدَّ أَقوالٌ وداوُد أَقْرَب

ويعقوبُ أيُّوبُ الصَّبور ونافعٌ وَقِسٌّ وَسُحْبَانٌ وَكَعْبٌ وَيَعْرُبُ. .

فأولهم داود عليه السلام أويعقوب عليه السلام ،أو أيوب عليه السلام، أو قس بن ساعدة خطيب العرب، أو سحبان وائل الفصيح المعروف الذي يضرب بفصاحته المثل، أو كعب بن نوي بن غالب جد الرسول صلى الله عليه وسلم، أو يعرب بن قحطان ، أما نافع المذكور هنا فلم أعرفه ،وقد ذُكر مكانه آدم عليه السلام في بعض الروايات[3].

أما عند البلاغيين ،فقد حظيت هذه الكلمة منهم بالعناية الكبيرة واستعملوها في خطبهم وفي كتاباتهم ،وفي رسائلهم ،وهذا دليل آخر على أنها أبلغ ما ورد في معناها. "واتفق البيانيون على أن فصل الخطاب هو " أما بعد" ،لا خلاف عندهم في هذا "[4] وإنما الخلاف عند المفسرين على ثلاثة أقوال كما مر ذكره.

3-الحَرْبُ سِجَالٌ :

[1]- أبو بكر بن أبي شيبة ، الكتاب المصنف في الأحاديث و الآثار ، تح: كمال الحوت ، مكتبة الرسن ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط1 ، 1409 هـ ، ج4 ، ص 541 ، رقم 22968.

[2]- علاء الدين علي بن حسام الدين الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال، مؤسسة الرسالة، ط5، 1401 هـ، 1981، ج10، ص243 ، رقم 29292. 243

[3]- ينظر: ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، دار النوادر، دمشق، سوريا، ط1، 1429 هـ، 2008، ج7، ص 551.

[4]- أحمد بن عمر الحازمي ، شرح مائة المعاني و البيان ، دروس صوتية مفرغة ، المكتبة الشاملة 3 ، ج 15 ، ص 20.

هي عبارة أخرى من كلام أحد ملوك العرب، هو المنذر بن ماء السماء ،وقد ذكرها البلاغيون من أبلغ الكلام في بابها ،فذكرها الثعالبي في خاص الخاص [1] ،وفي الإعجاز والإيجاز[2] ،كما ذكرها أيضا في التمثيل والمحاضرة[3] ،وكلها كتب جمع فيها أبلغ الكلام ،وانتخبه فيها ، كما ذكر لخفاجي أنها من أبلغ الكلام فقال :" وأما حكمهم وأمثالهم التي تجلت فيها قدرتهم الفائقة على فن التعبير ،وبرزت فيها سمات الوجازة والبلاغة الممتازة، حتى دارت على الألسنة ،وتأثرت بها القلوب ، فحسبنا أن نشير إلى قولهم (الحرب سجال)"[4] ، فهو هنا إضافة إلى انتخابها من أبلغ الكلام فهو يشير إلى ضابط اشتهارها في بابها أيضا،فاجتمع في كلامه هذا الضابطان.

ويتضح هذا الضابط أكثر- ضابط الاشتهار في بابها – في عدها في كثير من المؤلفات التي عنيت بجمع أبلغ الكلام ،من خطب مختارة وجيد النثر ،مثل نهاية الأرب في فنون الأدب ، والدر الفريد وبيت القصيد ، وغرر الخصائص الواضحة ، وخزانة الأدب، والتمثيل والمحاضرة ، وصبح الأعشى في صناعة الأمثال للميداني[5] ، و زهر الأكم في الأمثال والحكم[6] ، مما يدل على أنها منتشرة ومشتهرة، وكثيرة الاستعمال وما ذلك إلا لبلاغتها وفضلها على غيرها.

4-فِي شُكْرِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ إَحْسَانِكَ شَاغِلٌ عَنْ اِسْتِبْطَاءِ مَا تَأَخَّرَ مِنْهُ:

وهي عبارة أخرى من أبلغ الكلام، وهي أبلغ ما جاء في بابها، فذكرها الثعالبي مبينا أنها أبلغ الكلام فقال :" لم أسمع بين الشكر والاستزادة ،في فصل أحسن وأوجز مما كتب إلى يحيى بن خالد في الشكر"[7] ،وكذلك قال في كتاب آخر له :" لم أقرا ولم اسمع في الجمع بين الشكر والشكاية في فصل قصير أحسن وأظرف وأبلغ وأوجز مما كتب إلى يحيى بن خالد في الشكر"[8] ، وذكر هذه العبارة وعنون

[1]- ينظر : أبو منصور الثعالبي ، خاص الخاص ،

[2]- ينظر : أبو منصور الثعالبي ، الإعجاز و الإيجاز ،

[3]- ينظر أبو منصور الثعالبي ، التمثيل و المحاضرة ،، الدار العربية للكتاب ، ط2 ، 1401 ، 1981، ص 152 .

[4]- محمد عبد المنعم لخفاجي ، قصة الأدب في الحجاز ، مكتبة الكليات الأزهر ، مصر ، ط1 ، 1400 ، 1980 ، ص 277.

[5]- الميداني، مجمع الأمثال، مكتبة السنة المحمدية، مصر، ط1، ج1، 1374 هـ، 1955م، ص 214.

[6]- نور الدين اليوسي، زهر الاكم في الأمثال والحكم،دار الثقافة،الدار البيضاء،المغرب الأقصى،ط1،ج2، 1401هـ ، 1981م، ص 106.

[7]- أبو منصور الثعالبي ، الإعجاز و الإيجاز ، ص 18.

[8]- أبو منصور الثعالبي ، خاص الخاص ، ص 7.

الباب الذي ذكرها تحته بقوله :" فيما يقارب الإعجاز من إيجاز البلغاء وسحر الكتاب ، وغيرهم، وذكر فيه نماذج من أبلغ الكلام.

وذكرها أيضا الحصري في زهر الآداب وثمر الألباب ، وقال ابن حجة الحموي عن إسماعيل بن صبيح قائل هذه العبارة :" جمع بين الشكر والاستزادة بأبلغ عبارة وأوجز "[1] ،ووصفها بأنها "تحفة من فوائد كتاب الرشيد"[2] ، وقال علي البهائي عن هذه العبارة أيضا :" لم يسمع في الجمع بين الشكر والاستزادة منه أحسن وأوجز مما كتب به إلى يحي بن خالد"[3] ، فهذه العبارات تدل على أن هذه الجملة الجملة هي أبلغ ما قيل في معناها، وكل ما عداها يسقط دونها.

5-قِيمَةُ كُلِّ اِمْرِئٍ مَا يُحْسِنُ:

هذه مقولة شهيرة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهي من العبارات التي حازت على شبه الإجماع على أنها الأبلغ مع الاعتراف بأنها الأجود ، كما حازت على نصيب كبير من ثناء العلماء عليها ، فقد عدها الباقلاني من بديع الكلام وساقها ضمن مجموعة من أبلغ الكلام، منها أحاديث للنبي صلى الله عليه و سلم ، وكفاها شرفا أن ذكرت بعد كلام النبي صلى الله عليه وسلم[4].

وقال الرماني مبينا منزلة هذه الكلمة من البلاغة :" وظهور الإعجاز في الوجوه التي نبينها يكون باجتماع أمور يظهر بها للنفس أن الكلام من البلاغة في أعلى الطبقة ، وإن كان قد يلتبس فيما قل بها حسن جدا لإيجازه وحسن رونقه ، وعذوبة لفظه ، وصحة معناه كقول علي رضي الله عنه :" قيمة كل امرئ ما يحسن ،فهذا كلام عجيب يغني ظهور حسنه عن وصفه"[5] ،وهذا الكلام منه دليل على أنها أبلغ أبلغ ما قيل في معناها.

[1]- ابن حجة الحموي ، ثمرات الأوراق في المحاضرة ، مكتبة الجمهورية العربية ، مصر ، د.ط ، د.ت ، ج2 ، ص 50.

[2]- المرجع نفسه،ج2،ص50 .

[3]- علي البهائي ، مطالع البدور و منازل السرور،ص 209 .

[4]- ينظر : أبو بكر الباقلاني ، إعجاز القرآن ، دار المعارف ، مصر ، ط5 ، 1997 م ، ص 68.

[5]- علي بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القران، دار المعارف، مصر، ط3، 1976 م، ص 78.

وقال عبد القاهر الجرجاني عن أبلغ الكلام :" وكذلك السبيل في منثور من الكلام فإنك تجد متى شئت فصولا تعلم أن لن يستطاع في معانيها مثلها ، فمما لا يخفى أنه كذلك قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه "[1] ،وذكر تلك العبارة ، كما ذكرها الثعالبي في الإعجاز والإيجاز في أول كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ،مما يوحي بتقدمها في الجودة والبلاغة[2].

كما نقل الخطيب البغدادي عن ابن أبي الدنيا :" قال عمرو بن بحر لا أعلم في كلام الناس كلمة أحكم من هذه الكلمة "[3]، وذكر ابن عساكر أن "أبلغ ما جاء في وصف العلم قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه "[4] ،وذكر العبارة ، وذكر أبو حيان التوحيدي كلاما جميلا في وصف كلام علي رضي الله عنه – و منه هذه العبارة – فقال :" قال جعفر بن محمد لأمير المؤمنين عليه السلام تسع كلمات ، أيَّمن جواهر الكلام ، وأيتمن حقائق البلاغة ، وقطعن أطماع المحاولين عن اللحاق بهن ، ثلاث منها في المنجاة ، وثلاث في الحكمة ، وثلاث منها في الأدب"[5] ،وذكر عبارتنا هذه في الثلاث اللاتي في الأدب.

الأدب.

وذكر أبو محمد الحضرمي عن عبد الله العائشي أنه قال في عبارة علي رضي الله عنه هذه :" لا تعرف كلمة بعد كلام الله، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم أخصر لفظا ، ولا أكمل وصفا ، ولا أعم نفعا من قول علي رضي الله عنه "[6] وذكر العبارة ، وقال الخفاجي :" قيمة كل امرئ ما يحسن ، فإن هذه الألفاظ على غاية الإيجاز ، وإيضاح المعنى ، وظهور حسنها يغني عن وصفه ."[7] وهذا يدل على أنها أبلغ ما قيل في معناها ،وعلى جودتها في معناها وفي مبناها.

6–مَا رَأَيْتُ يَقِينًا لَا شَكَّ فِيهِ أَشْبَهَ بِشَكٍّ لَا يَقِينَ فِيهِ مِن الموتِ:

[1]– عبد القاهر الجرجاني ، الرسالة الشافية ، ص 140.

[2]– ينظر أبو منصور الثعالبي ، الإعجاز و الإيجاز ، ص 8.

[3]– الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، تح: بشار عواد ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1422 هـ ، 2002 م ، ج6 ، ص 178.

[4]– أبو هلال العسكري ، ديوان المعاني ، ج1 ، ص 146.

[5]– أبو حيان التوحيدي، البصائر و الذخائر، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1408 هـ، 1988 م، ج2، ص 14.

[6]– الطيب بن عبد الله الحضرمي، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، دار المنهاج، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1428 هـ، 2008 ج2 ، ص 473.

[7]– أبو سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ، ص 211.

هذه العبارة من كلام الحسن البصري رحمه الله ،وهي أبلغ ما ورد في معناها كما ذكر أهل العلم بالعربية ، قال عبد القاهر الجرجاني:" وكذلك السبيل في منثور الكلام فانك تجد متى شئت فصولا تعلم أن لن يستطاع في معناها مثلها ، فمما لا يخفى أنه كذلك... وقول الحسن رحمه الله "[1] وذكر قوله هذا ،كما ذكره الجاحظ في البيان والتبيين .

كما ذكره الكثير من العلماء في كتبهم التي صنفوها في أبلغ الكلام و نذكر منهم الثعالبي في التمثيل والمحاضرة[2] ، وذكره الحصري في زهر الآداب و ثمار الألباب[3] ،كما ذكره الراغب الأصفهاني في كتابه محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء، بعد أن ذكر حديثا للنبي صلى الله عليه وسلم ، مما يدل على أنها ذات قيمة بلاغية كبيرة[4].

ويتحقق فيها ضابط اشتهارها في بابها ،فكثيرا ما يتمثل بها العلماء في كتبهم ،والخطباء في خطبهم والوعاظ في مواعظهم،حتى عدَّت مثلا من الأمثال ،وذكرها من عُني بجمع الأمثال كابي الفضل الميداني في مجمع الأمثال[5] ، ووصفها ابن المعتز بالشُّهرة فقال :" ومن المطابقة قول الحسن المشهور"[6]، وذكره له مما يدل على أنها ذات شهرة اكتسبها بسبب بلاغتها التي لا مثيل لها في بابها.

7-إِنَّ اللهَ لَيَزَعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ:

هذه العبارة من كلام عثمان بن عفان رضي الله عنه ، و يتحقق فيها ضابط اشتهارها في بابها وصارت من الحكم التي يستشهد بها ، فقد ذكرها المبرد في كتابه الكامل في اللغة والأدب تحت عنوان :" نبذ من أقوال الحكماء"[7] ،وذكر عدَّة حكم بليغة ، وقال علي الصلابي مبينا أن هذه العبارة من الحكم

[1]- عبد القاهر الجرجاني ، الرسالة الشافية ، ص 140.
[2]- أبو منصور الثعالبي ، التمثيل و المحاضرة ، ص 84.
[3]- أبو إسحاق الحصري ، زهر الآداب و ثمر الألباب ، ج2 ، ص 250.
[4]- الراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ، و محاورات الشعراء و البلغاء ، ج2 ، ص 505.
[5]- أبو الفضل الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص 456.
[6]- عبد الله بن المعتز بالله العباسي ، البديع في البديع ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1410 هـ ، 1990 م ، ص 125.
[7]- محمد بن يزيد المبرد، الكامل في الأدب و اللغة، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط3، 1417 هـ، 1997 م، ج1، ص 213.

المشتهرة المنتشرة :" ومن حكمه التي سارت بين الناس"[1] ، وذكرها ، وهذا فيه دلالة على أنها أبلغ الكلام ، وأنها أبلغ من غيرها مما قيل في بابها ، كما ذكرها الآبي في نثر الدر في المحاضرات ،وقد انتقى فيه البليغ من الكلام المنثور[2].

8-أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهُ بَاطِلٌ:

هذه العبارة صدر بيت للشاعر لبيد بن ربيعة رضي الله عنه والبيت هو :

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلٌ وَكُلَّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلُ.

وهي أبلغ ما قيل في بابها ، فقد اشتهرت اشتهارا كبيرا،وتحقق فيها ضابط اشتهارها في بابها ،قال مصطفى صادق الرافعي مقررا شهرة هذا البيت :" أنشد مرة صدر البيت المشهور للبيد ، و هو قوله : إلا كل شيء ما خلا الله باطل ، فصححه "[3] ، ويعني بكلامه النبي صلى الله عليه وسلم ،وشهرته بلغت بلغت كل مبلغ حتى لا تكاد تخلو منه خطبة أو محاضرة، أو كتاب تعرض لهذا المعنى المذكور في هذا الشطر من البيت.

كما حضي هذا البيت بخصيصة نادرة ،ألا وهي تزكية النبي صلى الله عليه وسلم له ، وتصيحه لمعناه فقد جاء " في البخاري و مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال :" أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل ، وفي رواية لهما " أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد"، وقد روي أيضا بألفاظ مختلفة منها :" إن أصدق كلمة" ،ومنها " إن أصدق بيت قالها شاعر"، ومنها " أصدق بيت قالته الشعراء"، وكلها في الصحيح ، ومنها " أشعر كلمة قالتها العرب"[4] ، وفي اختلاف الألفاظ و تغايرها فائدة وهي أن هذا البيت هو أبلغ ما قيل في معناه بنص قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وكفاك بها من شهادة.

---

[1]- علي الصلابي ، يسرة عثمان بن عفان رضي الله عنه دار التوزيع والنشر الإسلامية،القاهرة،مصر،ط1427،1-2006، ج1، ص114 .

[2]- ينظر: منصور بن حسن الآبي، نثر الدر في المحاضرات، ج2، ص 44.

[3]- مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت ، ج2 ، ص 210.

[4]- عبد القادر بن عمر البغدادي ، خزانة الأدب و لب لباب لسان العرب ، تح: عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ط4 ،

وكان لهذا البيت نصيب من كلام العلماء عليه بأنه الأبلغ ، فقد ذكره أبو هلال العسكري في كتاب الصناعتين قائلا :" أحكم ابتداءاتهم قول لبيد"[1] وذكر البيت كاملا ، وقال ابن عبد ربه في العقد الفريد :"يقال إن اصدق بيت قالته العرب قول لبيد."[2] وهذه عبارات توحي بأنهم يرونه أبلغ ما قيل في بابه،ومثل قولهم أيضا قول الحسن بن مسعود اليوسي في كتابه زهر الأكم في الأمثال والحكم، بعدما ذكر بيتا لشاعر وقال :" وهذا أصدق بيت قاله شاعر بعد قول لبيد."[3] وهو كلام يدل على تفضيل هذا البيت على غيره.

كما عده الثعالبي من أبلغ الكلام في كتبه التي صنفها في ذلك فذكره في كتابه خاص الخاص[4] ، وفي كتابه لباب الآداب[5] ، وذكره أيضا الحسن بن مسعود اليوسي في كتابه المحاضرات في اللغة والأدب[6]، وكتابه زهر الأكم في الأمثال والحكم كما سبق.

9-سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدْ:

فهذه العبارة هي بيت لطرفة بن العبد ، ويتحقق فيه ضابط اشتهاره في بابه ، إضافة إلى ضابط قول العلماء،وقول العربي البليغ ، فأما الضابط الأول ، بأنك لا تجد قائلا أو كاتبا إذا تحدث في معنى هذا البيت إلا أورده ، حتى صار من الأمثال المشهورة ، قال الثعالبي في الإعجاز والإيجاز :" ومن أمثاله السائرة على وجه الدهر"[7] ،وذكر هذا البيت ، وهذا الكلام منه يدل على أن شهرته شهرةٌ في المكان وشهرة في الزمان أيضا .

1418 هـ ، 1997 م ، ج2 ، ص 255.

[1]- أبو هلال العسكري، الصناعتين الكتابة و الشعر، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د.ط ، 1419 هـ ، ص 434.

[2]- ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1404 هـ ، ج6 ، ص 122.

[3]- الحسن بن مسعود اليوسي ، زهر الاكم في الأمثال و الحكم ، ج2 ، ص 267.

[4]- ينظر:أبو منصور الثعالبي ، خاص الخاص ، ص 30.

[5]-ينظر: أبو منصور الثعالبي ، لباب الآداب ، ص 130.

[6]- ينظر:الحسن بن مسعود اليوسي ، المحاضرات في اللغة و الأدب ، ج1 ، ص 323.

[7]- أبو منصور الثعالبي ، الإعجاز و الإيجاز ، ص 46.

ومما يبين أن هذا البيت أبلغ ما قيل في بابه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمثل به دون غيره من الشعر ، فقد روى البخاري في الأدب المفرد" عن عكرمة: سألت عائشة رضي الله عنها هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل شعرا قط ؟ فقالت " أحيانا إذا دخل بيته يقول :" ويأتيك بالأخبار ما لم تزود"[1] ،هكذا بلفظه دون أن يغيره بخلاف ما يذكر في بعض كتب الأدب بأنه غير لفظه إلى "ويأتيك من لم يزود بالأخبار" ،لأن الشعر لم تجر على لسانه قط ، وهذا الحديث رد عليهم[2].

ومما ورد عن حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنه – وهو العربي البليغ ، والعالم الحبر – في هذا البيت قوله " إنها كلمة نبي"[3] كما روى أبو نعيم الاصبهاني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :" إن الناس يزعمون إن هذا قول طرفة ، ما قالها إلا نبي"[4] ،وذكر البيت كاملا ، وهذا القول القول من عبد الله بن عباس رضي الله عنه يبين مكانة هذا البيت من البلاغة، وأنه لا أبلغ منه إذ عدَّه من كلام نبي ، وكلام الأنبياء أبلغ الكلام ، وكذلك ما يستشهدون به لا يكون إلا الأجود والأبلغ.

كما حضي هذا البيت بإعجاب كثير من العلماء والبلاغيين ،وعدوه من أبلغ الكلام ، فقال ابن وكيع الضبِّي :" أما أقسام الشعر فهي إما مثل سائر ،أو تشبيه باهر أو استعارة لفظها فاخر ، فالمثل السائر والتشبيه الباهر أشهر من أن يشكل عليك فتحتاج إلى إيضاح ، غير أنا نورد عليك مثالا منه وإن قل ، فمن الأمثال السائرة ... و منه قول طرفة"[5] ،وذكره ، وقال أبو عمرو بن سعيد القطربلي :" ليس من بيت إلا و فيه لطاعن مطعن إلا قول الحطيئة ... وقول طرفة بن العبيد"[6] ،وذكر هذا البيت ، كما ذكر ابن عساكر عن الشعبي قال:" أحكم ما قالت العرب وأوجزه"[7] ،وذكر بيت طرفة هذا.

[1]– محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الأدب المفرد، دار الصديق، صنعاء، اليمن، ط1، 1421 هـ، ج1، ص 294.

[2]– ينظر : المرجع نفسه ، ج1 ، ص 293.

[3]– المرجع السابق، ج1، ص 293.

[4]– أبو نعيم الأصبهاني،تاريخ أصبهان، تح: سيد كسروي حسن،دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان، ط1، 1410 هـ ، 1990م،ج2 ،ص160 .

[5]– الحسن بن علي الضبي، المنصف السارق و المسروق منه، ص 97.

[6]– إبراهيم بن علي الحصري ، زهر الآداب و ثمر الألباب ، ج2 ، ص 432.

[7]– ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج 25 ، ص 389.

كما ذكره كثير من المؤلفين الذين ألفوا في أبلغ الكلام ،فذكره ابن قتيبة الدينوري في عيون الأخبار في أول الأبيات التي لا مثيل لها ،وأسند إلى ابن عباس رضي الله عنهما قوله :" إنها كلمة نبي"[1] ،وذكره الثعالبي في كتابه خاص الخاص ، وذكره محمد بن موسى الدميري في حياة الحيوان الكبرى ،و قال عنه :" وأحكم بيت قالته العرب قول طرفة"[2] ،وذكر البيت ، وكل هذا يدل على أن هذا البيت من كلام العرب المعجز الذي لا مثل له في بابه ومعناه.

10–مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ :

هذه العبارة من أشهر العبارات في بابها ، فلا تكاد تجد كتابا في علم العقيدة إلا وذكرها ، وبذلك يتحقق فيها ضابط اشتهارها في بابها، وممن ذكرها من العلماء القدماء أبو الحسن ابن القطان (ت 628 هـ) في كتابه الإقناع في مسائل الإجماع، وحكى الإجماع على هذه الكلمة فقال :" وأجمع جميع الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين الدارجين من المسلمين أن المؤمن مؤمن بإيمانه ، فاسق بكبيرته ، غير كافر بها "[3] ، وهذا يدل على أنها عبارة قديمة قد اشتهرت عند العلماء من أهل السنة والجماعة من عهد الصحابة إلى زمن المؤلف رحمه الله.

وممن ذكر هذه العبارة أيضا أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (728 ت) ،ونَسب هذا القول إلى أهل السنة والجماعة ،فقال في العقيدة الواسطية: " ويقولون : هو مؤمن ناقص الإيمان ، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته فلا يعطى الاسم المطلق ، ولا يسلب مطلق الاسم ."[4] كما ذكر هذه العبارة في عدة موطن من كتبه مقررا لها مرتضيا لمعناها ومبناها.

[1]– ابن قتيبة الدينوري ، عيون الأخبار ، ج2 ، ص 207.

[2]– محمد بن موسى الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1424 هـ ، ج2 ، ص 440.

[3]– أبو حسن القطان ، الإقناع في مسائل الإجماع ، تح : حسن فوزي الصعيدي ، الفاروق الحديثة للطباعة و النشر ، ط1 ، 1424 هـ ، 2004م ، ج1 ، ص 35.

[4]– أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، العقيدة الواسطية ، أضواء السلف ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط2 ، 1420 هـ ، 1999 م ، ص 114

وممن ذكرها من المتقدمين أيضا عز الدين بن الأثير (ت 630 هـ) ،فقد قال في ترجمة أحد مشاهير الخوارج :" وأن الفاسق من مواقفيه في القدر مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ."[1] وهذا القول منه دليل على اشتهار هذه العبارة في بابها عند كثير من الطوائف مما يدل على سعة انتشارها وقدم قولها وهو ما يدل أيضا على أنها أبلغ ما قيل في بابها.

11-الإِسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ وَالكَيْفُ مَجْهُولٌ ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، وَالإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ :

هذه عبارة بليغة من كلام الإمام مالك بن أنس رحمه الله ،في رده على المعطلة لصفات الله تعالى ، وقد اشتهرت في بابها حتى صارت قاعدة من قواعد أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات ، فتحقق فيها ضابط اشتهارها في بابها ، قال ابن قدامة المقدسي مبينا بلاغة هذه العبارة من حيث المعنى والمبنى " فمن المحتمل أن يكون ربيعة ومالك بلغهما قول أمِّ مسلمة فاقتديا به لصحة وحسنه ، وكونه قول إحدى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن المحتمل أن يكون اللهُ قد وفقهما للصواب وألهمهما من القول السديد ما ألهمها"[2] ،فذكر هنا من صفات هذه العبارة الصحة والحسن وأنها من القول السديد ،وكلها صفات لأبلغ الكلام لا سيما إذا اجتمعت في حق عبارة ما.

وإضافة إلى اشتهارها في بابها ، فقد وصفها العلماء والبلغاء بالحسن مما يدل على أنها من أبلغ الكلام ، فقال الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء :" و مما يستحسن من إمام دار الهجرة مالك بن أنس أنه سئل عن قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) فقال :"[3] وذكر كلامه هذا ، كما ذكره أيضا شهاب الدين النويري في كتابه نهاية الأرب في فنون الأدب[4] ، و ذكره أيضا عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري (ت 894 هـ) في كتابه نزهة المجالس ومنتخب النفائس[5].

[1]- علي بن أبي كرم الشيباني ، اللباب في تهذيب الأنساب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، 1400 هـ ، 1980 م ، ج2 ، ص 184.

[2]- عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، ذم التأويل ، الدار السلفية ، الكويت ، ط1 ، 1406 هـ ، ص 26.

[3]- شمس الدين الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، تح: مجموعة من المحققين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 1405 هـ ، 1985 م ، ج18 ، ص 474 ، الحاشية رقم 1.

[4]- ينظر:شهاب الدين النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1424 هـ ، 2004 م ، ج 32 ، ص 77.

[5]-ينظر: عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري ، نزهة المجالس و منتخب النفائس ، المطبعة الكاستلية ، مصر ، د.ط ، 1283 هـ ، ج1 ، ص 7.

12-كَلِمَةُ حَقٍّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ:

وهي كلمة شهيرة بليغة من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ولا أدل على أنها أبلغ ما قيل في معناها من اشتهارها في بابها ،حتى صارت من الرد البليغ على كل مبطل تكلم بكلمة حق نصرة لباطله ، فمن استشهد بها من العلماء :تقي الدين ابن تيمة في مواضع كثيرة من كتبه وفتاواه ، وكذلك تلميذه ابن القيم ، وابن الجوزي ، وابن كثير ، وابن حيان ، وغيرهم من العلماء البلغاء مما يدل على أنها أبلغ ما قيل في بابها.

وأشار إلى بلاغتها ،وأنها من أجود الكلام المطبوع ضياء الدين ابن الأثير حيث يقول:" ومن الحَسَن المطبوع الذي ليس بمتكلَّف قول علي رضي الله عنه... وكذلك ورد قوله رضي الله عنه لما قال للخوارج لا حكم إلا لله تعالى: " هذه كلمة حق أريد بها باطل"[1] ، وذكرها كذلك شهاب الدين النويري في نهاية الأرب في فنون الأدب[2].

13-"اِرْتَحَلَتْ الدُّنْيَا مُدْبِرَةٌ ،وَارْتَحَلَتْ الآخِرَةُ مُقْبِلَةٌ ،وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ ،فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ ،وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا".

وهذه موعظة أخرى من كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، تلوح عليها ملامح البلاغة والحسن ، وقد اشتهرت في بابها ، باب المواعظ حتى لا تكاد تخلوا منها موعظة بليغة أو كتاب في المواعظ والرقائق ،سواء من كتب المتقدمين أو المتأخرين ، فتحقق فيها بذلك ضابط اشتهارها في بابها.

كما أنها لم تخل من حكم العلماء عليها بأنها أبلغ الكلام بصريح العبارة ، فقال الأمير الصنعاني في كتابه التحبير لإيضاح معاني التيسير :" هذا من الخطب العلوية ، البالغة غاية البلاغة"[3] ،أي أنها أبلغ الكلام ، وقد قال عبد العزيز بن باز رحمه الله عن هذا الأثر معجبا به " صدق –رضي الله عنه –كلام

[1]- ضياء الدين ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ، ج3 ، ص 145.

[2]- ينظر : شهاب الدين النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج20 ، ص 165.

[3]- الأمير الصنعاني ، التحبير لإيضاح معاني التسيير ، تح: محمد صبحي حلاق ، مكتبة الرشد ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط1 ، 1433 هـ ، 2012 م ، ج4 ، ص 418.

مضبوط – كلام صحيح"[1] ،مما يدل على تأثير هذا الكلام البليغ في نفوس السامعين خاصة العالمين منهم بلغة العرب.

كما حَضيَ هذا الأثر بخصيصة أخرى تدل على أنه قد اقتعد على هرم البلاغة، فلا أبلغ منه في معناه ،وهي رواية أصحاب أصحاب كتب الحديث له ،وذكرهم له إلى جانب كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وعلى رأس هؤلاء البخاري في صحيحه في " باب في الأمل وطوله"،فذكر فيه آيتين وأثر علي رضي الله عنه هذا، ثم ذكر بعده حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم[2]. كما ذكره الخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح[3] ، والبغوي في كتابه شرح السنة[4] ، وغيرهم من أهل العلم، مما يدل على بلاغتها وجودتها، وإنها أبلغ من غيرها مما في معناها ،إذ جُعِلت بعد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في كتب السنة.

14– مَنْ كَانَ مُؤْمِنَا تَقِيًّا ،كَانَ للهِ وَلِيًّا .

وهذه عبارة لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحرَّاني – رحمه الله – ولخَّص فيها تعريف الوَلاية فأوجز فيها وأبلغ ، ويتحقق فيها ضابط اشتهارها في بابها ، فغالب من أتى بعده وتكلم عن الوَلاية وتعريفها إلا وساق هذه ، سواء معزوة لقائها أودون عزوٍّ له ، و قد استنبطها – رحمه الله – من قوله تعالى:﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾ [5] ،وأخذ منها عبارته هذه وتعريفه للولي[6].

[1]– الحلل الابريزية من التعليقات البازية على صحيح البخاري ، عبد العزيز بن باز ، دار التدمرية للنشر و التوزيع ، المملكة العربية السعودية ، ط1 ، 1418 هـ ، 2007 م ، ج4 ، ص 225.

[2]– ينظر: محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار طوق النجاة، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1422 هـ، ج8، ص 89.

[3]– ينظر: محمد بن عبد الله الخطيب البريزي ، مشكاة المصابيح ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 1405 هـ ، 1985 م ، ج3 ، ص 130 رقم 5215.

[4]– ينظر:الحسين بن مسعود البغوي ، شرح السنة ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1403 هـ ، 1983 م ، ج 14 ، ص 243.

[5]– سورة يونس، الآية 63.

[6]– ينظر : أحمد بن عبد الحليم ابن تيمة ، الفتاوى الكبرى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1408 هـ ، 1987 م ، ج1 ، ص 206.

15- عَلى قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأْتِي العَزائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الكِرَامِ المكَارِمُ .

هذا بيت لأبي الطيب المتنبي ،وهو مطلع لقصيدته في مدح سيف الدولة الحمداني بعد وقعة الحدث ،وهو بيت مشهور بلغت شهرته الآفاق ، وتحقق فيه ضابط اشتهاره في بابه ، حتى صار مثلا من الأمثال المشهورة التي يتمثل بها عند الحاجة إليها ، فذكره الصاحب بن عباد في كتابه الأمثال السائرة من شعر المتنبي[1] ، كما ذكر ابن حجة الحموي أن هذا البيت مما اشتهر في بابه ،وسارت به الركبان فقال :"ومن مطالعه التي سارت أمثالا "[2]،وذكره، فتحقق بذلك أنه أبلغ الكلام في بابه .

وكان هذا البيت مما يستحسنه الأدباء والعلماء ،لجودته وبلاغته ، قال القاضي الجرجاني :" فإنه ابتداء ما سمع مثله"[3] ،يعني بيت المتنبي هذا ، كما أن سيف الدولة الحمداني كان معجبا بهذه القصيدة ، قال عبد الله بن قيس في كتابه قرى الضيف :" وكان معجبا بها كثير الاستعادة لها "[4] ، أي يطلب من المتنبي أن يلقيها عليه مرة بعد مرة.

كما استحسن هذا البيت أيضا يوسف بن تغري بردي الظاهري ،فقال في كتابه النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة :" وما أحسن قول أبي الطيب أحمد بن الحسين حيث يقول "[5] ،وذكر بيته هذا ، كما ذكره أيضا محمد بن أيدمر المستعصي في كتابه الدر الفريد وبيت القصيد[6] .

16-عَلَى أَنَّهَا تَدْمَى الكُلُومُ وَإِنَّمَا نؤَكِّلُ بِالأَدْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضَي .

وهذا بيت آخر من أبلغ الكلام، وهو لأبي خراش الهذلي ،وهو في باب التسلي عن المصائب والشدائد ، وقد حاز على إعجاب كثير من العلماء والبلاغيين، فقال أسامة بن منقذ عن هذا البيت

[1]- ينظر : الصاحب بن عباد ، الأمثال السائرة من شعر المتنبي ، تح : محمد حسن أل ياسين ، مكتبة النهضة ، بغداد ، العراق ، ط1 ، 1385 هـ 1965 م ، ص 49.

[2]- ابن حجة الحموي ، خزانة الأدب و غاية الأرب ، ج1 ، ص 201.

[3]- القاضي الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ونقد شعره،مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه،القاهرة،مصر،د.ط،د.ت،ص158 .

[4]- عبد الله بن قيس، قرى الضيف، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1997 م، ج1، ص 43.

[5]- يوسف بن تغري بردي الظاهري، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، د.ط ، د.ت ، ج11 ، ص82.

[6]- ينظر: محمد بن أيدمر المستعصي، الدر الفريد وبيت القصيد، ج7، ص 241.

:"وهو أحسن ما قيل في التسلّي"[1]. وقال عبد الرحمن البرقوقي في كتابه الذخائر والعبقريات :" ومن أحسن ما قيل من الشعر القديم في أن الحزن يبلى إذا تقادم عهده ، قول أبي خراش الهذلي" ،ذكر هذا البيت ، وما استحسان هؤلاء العلماء لهذا البيت إلا لأنه أبلغ من غيره في معناه.

ومما يدل على أنه ابلغ ما قيل في بابه،القصة التي ذكرها الجاحظ في البيان والتبيين ،عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال :" اجتمع ثلاثة نفر من الرواة فقال لهم قائل : أي نصف بيت شعر أحكم وأوجز ؟ فقال أحدهم : قول حميد بن ثور الهلالي :و حسبك داء أن تصح و تسلما... وقال الثاني بل قول أبي خراش الهذلي :نوكل بالأدنى وإن جل ما يمضي ، وقال الثالث من الرواة: بل قول أبي ذئيب الهذلي : وإذا تُردُّ إلى قليل تقنع."[2] ووجه الدلالة على أن بيت أبي خراش الهذلي هو أبلغ ما في الباب أن الأبيات المذكورة معه ،والتي نافسته في هذه القصة ،ليست من باب بيت أبي خراش، ولا في معناه ، كما أن هذه القصيدة قد نقلها علماء اللغة الكبار مثل أبو عمرو بن العلاء ،والجاحظ، وأقرَّاها مما يقوي بلاغة هذا البيت، وتفوقه على غيره .

كما ذكر هذه القصة محمد بن الحسن الحاتمي في كتابه حلية المحاضرة مقرا لها أيضا[3] ، كما ذكره بن أيدمر المستعصي في كتابه الدر الفريد و بيت القصيد [4] ، وقال ابن عبد ربه في العقد الفريد :" وقال قوم إن أشعر نصف بيت قالته العرب قول حميد بن ثور الهلالي : نوكل بالأدنى وإن جل ما يمضي"[5] مما يقوي أن هذا البيت هو أبلغ ما قيل في معناه.

17- فَظَلْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زِجَاجَةٍ إِلَى الدَّارِ مِنْ فَرْطِ الصَّبَابَةِ أَنْظُرِ .

هذا بيت لأبي حية النميري ، وهو أبلغ ما قيل في معناه كما قال العلماء ،وقد استحسنه كثير من البلاغيين ،فقال عبد الله الأصفهاني في كتابه الواضح في مشكلات شعر المتنبي :" وللشعراء في ذكر

[1]- أسامة بن منقذ ، لباب الآداب ، ص 137.

[2]- عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1 ، ص 49.

[3]- ينظر:محمد بن الحسن الحاتمي ، حلية المحاضرة ، ج3 ، ص 320.

[4]- محمد بن أيدمر المستعصي، الدر الفريد و بيت القصيد، ج7، ص 236.

[5]- ابن عبد ربه، العقد الفريد،ج6،ص 121

المدمع والعين أساليب حسان ، فمن أحسن ما ذكروا قول أبي حية النميري ، وهو أول من افترعه "[1] ،أي أول من اخترع هذا المعنى ، وذكر سبْق أبي حيةَ النميري أيضا عبد الله البكري في كتابه سمط اللآلي في شرح أمالي القالي ،فقال :" وأوَّل من سبق إلى هذا المعنى أبو حيَّة النميري "[2] ، فهذا المعنى من إبداعاته ومما سبق إليه.

وقد صرَّح بعض العلماء بأن هذا البيت أبلغ ما قيل في معناه ، فقال العسكري :" أبلغ ما قيل في امتلاء العين من الدمع قول بعض الأعراب"[3] وذكر بيت أبي حية النميري هذا، وقال أبو هلال العسكري في كتابه ديوان المعاني :" وأبلغ ما قيل في امتلاء العين من الدمع قول بعض الأعراب ن"[4] وذكر بيت أبي حية هذا.

كما استجاد التشبيهَ الوارد في هذا البيت جماعةٌ من أهل العلم، منهم أبو عون في كتابه التشبيهات حيث قال :" ومن جيِّد التشبيه في البكاء قول الشاعر"[5] وذكر هذا البيت ، كما استجاده أيضا أبو القاسم الفارسي في كتابه شرح حماسة أبي تمام ، فقال :" وهذا أملح التشبيهات "[6] ، كما ذكره ذكره العلماء في كتبهم التي عُنيت بجمع أبلغ الكلام، مثل محمد بن أيدمر المستعصي في كتاب الدر الفريد وبيت القصيد[7] ، والحصري القيرواني أيضا في كتابه زهر الآداب وثمر الألباب[8].

بل صرح بعض العلماء بأنه بلغ ما قيل من الشعر كله ،وليس في بابه فقط، و هو ما يستفاد من سياق كلام هارون بن علي ،الذي ساقه الشريف المرتضي في أماليه فقال :" وأخبرنا المرزباني قال حدثني علي بن هارون بن علي القالي ، قال سمعت أبي وقد ذكر قول أبي حية... فقال :" لو اعترضني مُمَلَّك

[1]- عبد الله الأصفهاني ، الواضح في مشكلات شعر المتنبي ، ص 8.

[2]- عبد الله بن عبد العزيز البكري ، سمط اللالي في شرح أمالي القالي ، تح: عبد العزيز الميمني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، د.ت ، ج1 ، ص 265.

[3]- شهاب الدين النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج2 ، ص 271.

[4]- أبو هلال العسكري ، ديوان المعاني ، ج1 ، ص 256.

[5]- إبراهيم بن محمد المنجم ، التشبيهات ، تح: محمد عبد المعيد خان ، مطبعة جامعة كمبردج ، بيرطانيا ، ط1 ، د.س ، ص 79.

[6]- زيد بن علي الفارسي ، شرح كتاب الحماسة ، دار الاوزاعي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، د.ت ، ج3 ، ص 144.

[7]- ينظر : محمد بن أيدمر المستعصي ، الدر الفريد و بيت القصيد ، ج9 ، ص 458.

[8]- ينظر : إبراهيم بن علي الحصري ، زهر الآداب و ثمر الألباب ، ج2 ، ص 320.

تجب طاعته ، ويلزم الانقياد لأمره ، فقال : أي الشعر أجود ، وأولى بأن يستحسن ؟ ولم يفسح لي في أن أميِّز المدح من الفخر، والهجاء ، من التشبيت ، وسائر أصناف الشعر ،ومذاهب الشعراء فيه ،لما عدلت عن هذين البيتين ."[1]وذكر هذا البيت وبيتا بعده، فهو يرى أنه أبلغ الشعر قاطبة ،وليس في باب وصف الدمع فقط.

كما أكَّد تفوق بيت أبي حية النميري على سائر ما قيل في معناه السري بن السري الكنديّ، في كتاب المحب والمحبوب والمشموم والمشروب ،فقال :" وكما غلب أبو حية النميري على قوله في حيرة الدمع من العين... وقد عارضه فيه خلق كثير من الشعراء ، فلم يصنعوا شيئا ."[2] أي أن ما قالوه في الشعر في هذا المعنى لا يُعد شيئا أمام قول أبي حية النميري ، وهذا من العبارات التي يعبر بها العلماء على مفهوم أبلغ الكلام ، مما يدل على أن هذا البيت أبلغ ما قيل في معناه، وأنه أجود بيت في هذا الباب لا يلحقه فيه بيت لشاعر آخر.

18–لَمْ تَفُتْهَا شَمْسُ النَّهَارِ بِشَيْءٍ غَيْرَ أَنَّ الشَّبَابَ لَيْسَ يَدُومُ .

وهذا بيت من أبلغ الكلام ،وهو للصحابي حسان بن ثابت رضي الله عنه، وهو أبلغ ما قيل في معناه ، وقد قطع عبد القاهر الجرجاني بهذا فقال معلقا على هذا البيت وعلى بيت آخر": لا ينظر في هذا وأشباهه عارف، إلا علم أنه لا يوجد في المعنى الذي يَرى مثله ، وأن الأمر قد بلغ غايته ، وأن لم يبق للطالب مطلب. "[3] أي أنه لن يحاول أحد من الشعراء الإتيان بنفس المعنى، في أي تركيب لفظي إلا إلا وكان أقل بلاغة من هذا البيت .

كما ذكره قدامة بن جعفر في كتابه نقد الشعر تحت عنوان (التتميم) : الذي عرَّفه بقوله: " هو أن يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الأحوال التي تتم بها صحته ،وتكمل معها جودته شيئا إلا أتى به

[1]– الشريف المرتضي ، غرر الفوائد و درر القلائد ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 1373 هـ 1954 م ، ج1 ، ص 449.

[2]– السري بن أحمد السري الكندي الرفاء ، المحب و المحبوب و المشموم و المشروب ، تح : مصباح غلا و نجى ، مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق، سوريا، ط1، 1407 هـ، 1986 م، ج1 ن ص 114 – 115.

[3]– عبد القاهر الجرجاني ، الرسالة الشافية ، ص 139 – 140 .

"[1] وهذا التعريف ينطبق على أبلغ الكلام من الشعر ، وذكر قدامة بن جعفر تحت هذا العنوان أبياتا تخيرها ومنها بيت حسان بن ثابت هذا .

الجاحظ في البيان والتبيين[2] ، ومحمد بن أيدمر المستعصي في كتاب الدر الفريد و بيت القصيد [3] ، وهي من الكتب التي جمعت أبلغ الكلام وعُنيت به.

19-كَفَاكَ بِالشَّيْبِ ذَنْبًا عِنْدَ غَانِيَةٍ وَبِالشَّبَابِ شَفِيعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ.

وهذا بيت آخر من أبلغ الكلام ،وهو لمحمد بن حازم الشاعر، وقد ذكر العلماء أنه من أبلغ الكلام فذكره عبد القاهر الجرجاني في البيِّن من أبلغ الكلام، كما في الرسالة الشافية[4] ،وقال أبو الفرج الأصبهاني عن"الرياشي قال سمعت الأصمعي يقول : قال هذا الباهلي محمد بن حازم في وصف الشيب شيئا حسنا ، فقال له أبو محمد الباهلي : تعني قوله :

كفاك بالشيب ذنبا عند غانية وبالشباب شفيعا أيها الرجل

فقال : إياه عنيت ، فقال له الباهلي : ما سمعت لأحد من المحدثين أحسن منه،"[5] فهذان عالمان بالشعر : الأصمعي وأبو محمد الباهلي ،قد اتفقا على حسن بيت ابن حازم ،وأنه أبلغ ما قيل في معناه على الأقل ، فأما أبو محمد الباهلي فبنصِّ كلامه، وأمَّا الأصمعي فبإقراره لكلام أبي محمد الباهلي.

وروى أبو هلال العسكري عن أبي محمد الصولي :" قال سمعت ابن الأعرابي يقول : لا أعرف في التفجُّع على الشباب ،وفي ذم الشيب أحسن من قول أبي حازم الباهلي على قرب عهده،"[6] ثم ذكر بيته هذا ،وبيتين قبله من نفس قصيدته ، وذكر عنه أيضا أبو علي الحاتمي في حلية المحاضرة تفضيله لهذا

[1]- قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، مطبعة الجوائب ، قسطنطينية ، تركيا ، ط1 ، 1302 هـ ، ص 49.
[2]- ينظر:عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان و التبيين ، ص 332.
[3]- ينظر:محمد أيدمر المستعصي، الدر الفريد وبيت القصيد، ج4، ص 330.
[4]- ينظر:عبد القاهر الجرجاني ، الرسالة الشافية ، ص 139.
[5]- أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، ج14 ، ص 111.
[6]- أبو هلال العسكري ، ديوان المعاني ، ج2 ، ص 152.

البيت فقال :" أخبرنا أحمد بن يحي سمعت ابن الأعرابي يقول :" ما بكت العرب شيئا كما بكت الشباب ، وما بلغت كُنهَه ، ولا أعرف في التفجُّع على الشباب ،وذم الشيب أحسن من قول محمد بن حازم الباهلي ."[1] وذكر الأبيات الثلاثة.

20–وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَّبْتَهَا وَإِذَا تُرَدُّ إِلَى قَلِيلِ تَقْنَعُ .

وهذا بيت مشهور لأبي ذويب الهذلي ، وهو أبلغ ما قيل في معناه، وذلك بنص كلام العلماء باللغة والشعر ،ومنهم الأصمعي، حيث تواتر النقل عنه من العلماء بتفضيل هذا البيت، وأنه أبلغ ما قيل في بابه ،فنقل عنه أبو منصور الثعالبي في كتاب الإعجاز والإيجاز أنه أبرع ما قيل ، فقال :" قيل إن هذيل أشعر قبائل العرب ،وأبا ذؤيب أشعر هذيل، وأمير شعره، وغرة كلامه قصيدته في الرثاء التي أولها :

أمن المنون و ريبها تتفجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

وأعمر بيوتها قوله :

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع

كان الأصمعي يقول : هو أبرع بيت للعرب. "[2] فهذا تفضيل له من أبي منصور الثعالبي،والأصمعي

ونقل تفضيل الأصمعي لهذا البيت أيضا عبد الله بن أسعد اليافعي،في كتابه مرآة الجنان وعبرة اليقضان فقال :" قال الأصمعي : أحكم بيت قالته العرب بيت أبي ذؤيب الهذلي "[3]، وذكر بيته هذا ، ونقل أيضا عز الدين ابن الأثير عنه أنه قال :" أبرع بيت قالته العرب بيت أبي ذؤيب "[4]، وهذا واضح في في تفضيله له ، كما نقل أيضا الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق عنه أنه قال :" أبرع بيت قالته العرب

[1]– محمد بن حسن الحاتمي ، حلية المحاضرة ، ص 69.

[2]– أبو منصور الثعالبي ، الإعجاز و الإيجاز ، ص 48.

[3]– عبد الله بن اسعد اليافعي ، مرآة الجنان و عبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1417 هـ ، 1997 م ، ج1 ، ص 255.

[4]– عز الدين بن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415 هـ، 1994 م، ج3، ص 171.

بيت أبي ذؤيب"[1] ، ولمحمد بن الحسن الحاتمي في حلية المحاضرة " عن أبي نصر عن الأصمعي قال :" العجب كيف لم يقل الناس إن أشعر بيت قالته العرب قول أبي ذؤيب"[2] ، وهذا النقل يفيد أن الأصمعي يراه أبلغ بيت للعرب ،وليس في بابه فقط ،مما يدلك على درجة بلاغة هذا البيت ، كما أن في نقل هؤلاء العلماء عن الأصمعي هذا الكلام فيه إقرار منهم له، فيكونون ممن قال بأن هذا البيت أبلغ ما قيل في معناه.

ونقل عبد الله بن أسعد اليافعي أيضا عن :" أبي عمرو بن العلاء أنه قال :" وقال ما قالت العرب بيتا أبدع من قول النابغة"[3] وذكر بيت أبي ذؤيب هذا، فلعله وهم منه ،أو أنَّ له نسبة أخرى إلى النابغة ،ولكن العلماء ينسبونه إلى ذؤيب لا إلى غيره، كما نقل ابن محمد المرزباني عن الصولي أنه قال :" ما قالت العرب بيتا أبرع من قول أبي ذؤيب"[4]، وهذا تفضيل منه أيضا على كل الشعر عامة ، ونقل محمد بن حسن الحاتمي عن أبي عمر أنه قال :" ما قالت العرب بيتا أبدع منه "[5]، أي من بيت أبي ذؤيب.

وذكره ابن قتيبة في عيون الأخبار ،تحت عنوان الأبيات التي لا مثل لها ، ووصفه بأنه أبرع بيت قالته العرب ، كما نقل قول الأصمعي أنه أبرع بيت وأقَّره على ذلك[6] ، وعده ابن طباطبا من الأشعار المحكمة فقال :" فمن الأشعار المحكمة المتقنة المستوفاة المعاني ، الحسنة الوصف ، السلسة الألفاظ التي قد خرجت خروج النثر بسهولة وانتظاما ، فلا استكراه في قوافيها ،ولا تكلف في معانيها ،ولا عيَّ لأصحابها "[7]، و ذكر أبياتا منها بيت أبي ذؤيب هذا.

[1]- ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج17 ، ص 57.

[2]- محمد بن حسن الحاتمي ، حلية المحاضرة ، ص 45.

[3]- عبد الله بن اسعد اليافعي ، مرآة الجنان و عبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، ج1 ، ص 255.

[4]- أبو عبد الله بن محمد المرزباني ، نور القيس ، ص 11.

[5]- محمد بن حسن الحاتمي ، حلية المحاضرة ، ص 47.

[6]- ينظر : ابن قتيبة الدينوري ، عيون الأخبار ، ص 207.

[7]- ابن طباطبا العلوي ، عيار الشعر ، ص 82 – 83.

وقال نقل محمد بن حسن الحاتمي أيضا، عن خلف الأحمر نحو قول أبي منصور الثعالبي الأول فقال :" قال خلف الأحمر : بنو هذيل أشعر قبائل العرب ، وأشعرهم أبو ذؤيب ، و أمير شعره و غرة كلامه قصيدته التي أولها

أمن المنون وريبها تتفجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

وبيت القصيد قوله "[1] وذكر بيت أبي ذؤيب هذا ، وهذا نص منه على تفضيل هذا البيت ،والإشادة به.

21– اِحْرِصْ عَلَى المَوْتِ تُوَهْبْ لَكَ الحَيَاةُ .

هذه كلمة أخرى من كلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهي أشهر التوقيعات التي يرسلها الخلفاء أو الأمراء إلى غيرهم، وقد أرسلها رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه أثناء حروب الردة ، وهو من أبلغ الكلام في معناه ،ويتحقق فيه ضابط اشتهاره في بابه ، فلا تكاد تجد من تكلم على فن التوقيعات، أو على معنى هذه العبارة إلا وذهب يوردها مورد المعجَب بها ،أو المستدل بها ،أو المؤيِّد كلامه بها .

كما أن هذه الجملة قد نالت إعجاب كثير من العلماء لوجازتها ، وبلاغتها ، فعدها الباقلاني في إعجاز القران من كلام البديع[2] ، وذكرها أبو منصور الثعالبي في فصل في كتابه خاص الخاص أسماه " فصل في غرر التوقيعات الإسلامية للملوك ." وهذا يدل على فضلها ،وأنها من أبلغ الكلام ،إذ هذا الكتاب عقده في جمع أبلغ الكلام[3].

كما ذكر هذه الجملة أيضا كثير من العلماء الذين اهتموا بجمع أبلغ الكلام ، منهم ابن قتيبة الدينوري في عيون الأخبار[4] ، وشهاب الدين النويري في نهاية الأرب في فنون الأدب[5] ، كما ذكره أيضا

[1]– محمد بن حسن الحاتمي ، حلية المحاضرة ، ص 45.

[2]– الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص 68.

[3]– ينظر : أبو منصور الثعالبي ، خاص الخاص ، ص 86.

[4]– ينظر : ابن قتيبة الدينوري ، عيون الأخبار ، ص 54.

[5]– ينظر : شهاب الدين النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج3 ، ص 6.

أيضا الراغب الأصفهاني في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء[1] ، وذكره منصور بن حسن الآبي في نثر الدر[2] ، و ذكره الثعالبي في كتابه خاص الخاص بلفظ (ادن من الموت)[3] ، وهذا ما يدل على اهتمام العلماء به ،وعده من أبلغ الكلام في بابه.

22-وَخَلَا الذُّبَابُ بِهَا فَلَيْسَ بَارِحٍ غَرِدًا كَفِعْلِ الشَّارِبِ المتَرَنِّمِ

هَجِزًا يَحُكُّ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ قَدْحَ المكِبِّ عَلَى الزِّنَادِ الأَجْذَمِ.

هذان البيتان لعنترة بن شداد العبسي في معلقته الشهيرة، وقد حاز قوله هذا على إعجاب العلماء والبلاغيين، واتفقوا على أنه أبلغ ما قيل في معناه ،وأنه لا يستطاع مثله ،ولا يلحق به في بابه ، فقد عدَّه عبد القاهر الجرجاني في الرسالة الشافية من أبلغ الكلام، وجزم بذلك[4] ، وقال ابن قتيبة الدينوري في كتابه الشعر والشعراء :" ومما سبق إليه ولم ينازَع فيه قوله "[5] وذكر هذين البيتين ، كما بالغ الجاحظ في وصف بلاغة هذين البيتين فقال :" فلو أن امرئ القيس عرض في هذا المعنى لعنترة لافتضح"[6] ،أي لجاء بما يحتقره عليه السامعون، فهو يقر بصعوبة نسج أبيات في نفس معاني أبيات عنترة عنترة بل استحالة ذلك.

وهذه المعاني قد سبق إليها عنترة بن شداد ،مع جمال هذه المعاني ،ودقة التصوير، قال ابن حجة الحموي مبينا ذلك:" سلامة الاختراع هو أن يخترع الشاعر معنى لم يسبق، إليه كقول عنترة في وصف الذباب... ، وهذا المعنى إذا تأمله المتأدب في فكره يجده غريبا في بابه"[7] ، أي لا مثل له في دقة المعاني وحسن التصوير ، كما ذكر إعجاز هذا الكلام من عنترة فقال :" وما يعرف للمتقدمين معنى شريف إلا نازعهم إياه المتأخرون ، وطلبوا الشركة معهم فيه ، إلا قول عنترة : وخلا الذباب بها فليس بنازح ، فإنه

[1]- ينظر : الراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء و محاورات الشعراء ، ج2 ، ص 148.
[2]- ينظر: منصور بن حسن الآبي، نثر الدر، ج2، ص 7.
[3]- أبو منصور الثعالبي ، خاص الخاص ، ص 86.
[4]- ينظر : عبد القاهر الجرجاني ، الرسالة الشافية ، ج1 ، ص 139.
[5]- ابن قتيبة الدينوري ، الشعر و الشعراء ، ج1 ، ص 246.
[6]- عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، ج2، ص 38.
[7]- ابن حجة الحموي ، خزانة الأدب و غاية الأرب ، ج2 ، ص 99.

ما نوزع في هذا المعنى على جودته ، وقد رامه بعض المجتهدين فافتضح "[1] ، وهذا من القليل للنادر في الشعر العربي إن لم يكن الوحيد فيه.

وأكد ابن رشيق القيرواني في كتاب العمدة على معنى ما ذكره ابن حجة الحموي فقال :" ومن التشبيهات عقم لم يسبق أصحابها إليها ، و لا تعدى أحد بعدهم عليها ، واشتقاقها من الريح العقيم ، وهي لا تلقح شجرة ،ولا تنتج ثمرة نحو قول عنترة العبسي ، يصف ذباب الروض "[2] ، فجعله تشبيها لا مثلا له فيمن سبقه ،ولا عدل له فيما يلحقه ، وهذا معنى أبلغ الكلام ،الذي تحقق في كلام عنترة هذا في أجلى صوره ،وأوضح أمثلته.

كما أكد الجاحظ في موضع آخر على إعجاز كلام عنترة هذا ،بعدما تكلم عن اشتراك الشعراء في المعاني في شعرهم ،وأنهم قد يشتركون في المعنى الواحد ثم استثنى كلام عنترة فقال :" إلا ما كان من عنترة في صفة الذباب فإنه وصفه فأجاد صفته ، فتحامى معناه جميع الشعراء فلم يعرض له أحد منهم ، ولقد عرض له بعض المحدثين ممن كان يحسن القول ، فبلغ من استكراهه لذلك المعنى ، ومن اضطرابه فيه أنه صار دليلا على سوء طبعه في الشعر... ولم أسمع في هذا المعنى بشعر أرضاه غير شعر عنترة ."[3] فصار الشعراء يتجنبون نظم الشعر في معنى كلام عنترة ،لأن كل من حام حول تلك المعاني، ظهر عدم قدرته على حسن النظم كما فعل من ذكره الجاحظ هنا.

وكان هذا الكلام من عنترة محل إعجاب هارون الرشيد ،وجمع في كلامه الآتي ما تفرق في كلام العلماء فيه، فقال مخاطبا الأصمعي :" أتعرف يا أصمعي تشبيها أفخر وأعظم ، في أحقر مشبه وأصغره ، في أحسن معرض، من قول عنترة الذي لم يسبق إليه سابق ، ولا نازعه منازع، ولا طمع في مجاراته طامع ،حين شبَّه ذباب الروض العازب في قوله... ثم قال : يا أصمعي ، هذا من التشبيهات العقم التي

[1]- ابن حجة الحموي ، خزانة الأدب و غاية الأرب ، ج2 ، ص 109.

[2]- ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر و آدابه ، تح : محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط5 ، 1401 هـ ، 1981 ج1 ، ص 296.

[3]- عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، ج2، ص 104.

لا تُنتِج ، فقلت : كذلك هو يا أمير المؤمنين "[1]، وهذا القول من هارون الرشيد العالم بالشعر والعربية، وإقرار الأصمعي له بذلك ،فدلَّ على مقدار بلاغة هذين البيتين من أبيات عنترة ،وأنها من أبلغ الكلام عن جدارة ،ودون منازع.

23-كَأَنَّ مَثَارَ النَّقْعَ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ .

هذا البيت لبشار بن برد ،وقد حاز على إعجاب العارفين بالشعر، وحكموا عليه بأنه أبلغ ما قيل في معناه ، فعدَّه الجرجاني في الرسالة الشافية من أبلغ الكلام الذي لا يُقدَر على مثله[2]، وقال الباقلاني في إعجاز القرآن :" ويزعمون أن أحسن ما وجد في هذا للمحدَثين قول بشار"[3] ،فجعله أبلغ ما قال المحدثون في هذا المعنى ، وقال ابن الجوزي في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم عن بشار :" ولد أعمى ،وكان يشبه الأشياء في شعره، فيأتي بما لا يقدر البُصَراءُ عليه ، فقيل له يوما وقد قال...ما قال أحد أحسن من هذا التشبيه "[4] أي التشبيه الوارد في هذا البيت.

وجزم الحسن بن علي الضبِّي في المنصف للسارق والمسروق منه أن هذا البيت لم يقل أحد مثله وأنه أبلغ الشعر في بابه فقال :" وكل ما قيل في هذا المعنى يسقط دون قول بشار "[5] وذكر البيت ، واستحسنه أبو الهلال العسكري في ديوان المعاني فقال :" ومن أحسن ما قيل في ذلك قول بشار "[6]، يعني هذا البيت ، وقال ابن قتيبة الدينوري في الشعر و الشعراء أن هذا المعنى في بيت بشار لم يسبق إليه، وأنه هو أول من ابتدعه[7] ، وأقَرَّ الجاحظُ بأن هذا البيت أبلغ ما قيل في معناه فقال:"وهذا المعنى غلب عليه بشار. "[8] أي استأثر بهذا اللفظ الشريف في هذا المعنى.

---

[1]- يوسف بن سليمان الأندلسي ، إشعار الشعراء الستة الجاهليين ، ص 53.

[2]- ينظر: عبد القاهر الجرجاني ، الرسالة الشافية ، ص 139.

[3]- الباقلاني ، إعجاز القران ، ص 72.

[4]- أبو الفرج ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ، ج8 ، ص 289.

[5]- الحسن بن علي الضبي، المنصف للسارق و المسروق منه،

[6]- أبو هلال العسكري ، ديوان المعاني ،

[7]- ينظر: ابن قتيبة الدينوري ، الشعر و الشعراء ، ج2 ، ص 747.

[8]- عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، ج3، ص 127.

كما ذكره العلماء الذين كتبوا في جمع أبلغ الكلام ، فذكره أبو منصور الثعالبي في لباب الآداب[1] ، وذكره أيضا في خاص الخاص[2] ،وذكره في الإعجاز والإيجاز[3] ، مما يدل على أنَّ أبا منصور الثعالبي يراه يراه من أبلغ الكلام، بل أبلغ ما قيل في معناه لذا كرَّر ذكره في كل كتبه تلك.

كما يضاف إلى ما تقدم في تقرير أن هذا البيت ابلغ ما قيل قول صاحب البيت في إعجابه به و تفضيله له فذكر عنه ابن رشيق في العمدة في محاسن الشعر و آدابه قوله :" ما قر بي القرار مذ سمعت قول امرئ القيس ،كان قلوب الطير رطبا و يابسا ، حتى صنعتُ

كان مثال النقع فوق رؤوسنا و أسيافنا ليل تهاوى كواكبه."[4]

فهو يفضل بيته هذا على بيت امرئ القيس، وإن كان بيت امرئ القيس ليس من معنى بيت بشار ، ولكن القاسم المشترك بينهما هو وجود نوع من التشبيه ألا وهو تشبيه شيئين بشيئين في سياق واحد ، وهذا ما صرَّح به ،كما حكاه الخفاجي في سر الفصاحة عنه مبينا ذلك فقال :" مازلت منذ سمعت بيت امرئ القيس هذا أطلب أن يقع لي تشبيهان في بيت واحد ، حتى قلت: "[5] وذكر هذا البيت ، وفي ضمن كلامه طول طلب بشار كمثل بيته هذا ،ومكابدته لصنعه.

24- " وَأَمَّا الفِعْلُ فَأَمْثِلَةٌ أُخِذَتْ مِنْ لَفْظِ أَحْدَاثِ الأَسْمَاءِ، وَبُنِيَتْ لِمَا مَضَى، وَمَا يَكُونُ وَلَمْ يَقَعْ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ لَمْ يَنْقَطِعْ."

هذا الكلام الوجيز البليغ هو لعالم العربية سيبويه في كتابه الكتاب ، وهو من أبلغ الكلام وبذلك جزم عبد القاهر الجرجاني في الرسالة الشافية ،فقال في كلام له مبينا رقيَّ هذا الكلام في سلم البلاغة، واقتعاده على قمتها :" ومن أخصِّ شيء بأن يطلب ذلك فيه الكتب المبتدأة الموضوعة في

[1]- ينظر: أبو منصور الثعالبي ، لباب الآداب ، ص 170.

[2]-ينظر: أبو منصور الثعالبي ، خاص الخاص ، ص 107.

[3]-ينظر: أبو منصور الثعالبي ، الإعجاز والإيجاز ، ص 25.

[4]- ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر و آدابه ، ص 96.

[5]- ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ، ص 248.

العلوم المستخرجة ، فإنا نجد أربَاها قد سبقوا في فصول منها إلى ضرب من اللفظ والنظم أعيا من بعدهم أن يطلبوا مثله ، أو يجيئوا بشبيه له ، فجعلوا لا يزيدون على أن يحفضوا تلك الفصول على وجوهها ويؤدوا ألفاظهم فيها على نظامها وكما هي. "[1] ثم مثَّل على هذه العبارات بكلام سيبويه المتقدم ، ثم علق عليه بقوله :" لا نعلم أحدا أتى في معنى هذا الكلام بما يوازنه أو يدانيه أو يقع قريبا منه ، ولا يقع في الوهم أيضا أن ذلك يستطاع"[2] ، وهذا نص صريح منه على أن هذا الكلام هو أبلغ ما قيل ، بل هو من المعجز الذي لا يستطاع مثله أبدا.

وحازت هذه العبارة على إعجاب العلماء حتى المتأخرين منهم مثل محمود شاكر ، فقد قال في مقدمة كتابه " المتنبي " ،بعد أن ساق كلام عبد القاهر الجرجاني المتقدم مقرا له :" فهي جملة محكمة شديدة الإحكام ، عجز النحاة من بعده أن يلموا بها في حدودهم التي كتبوها عن حد الفعل ، فأي رجل مبين كان سيبويه ،وأقول أنا : كان سيبويه رحمه الله ، حين كتب هذه العبارة وأمثالها ،في كتابه في قمة الصفاء ، وفي ذروة اليقظة. "[3] وهذا ما تحتاج إليه صياغة عبارات أبلغ الكلام، لأنها عبارات ليست كغيرها من العبارات والجمل.

ومن أراد ممارسة منهج التذوق على هذه العبارة ،وقرأها ،وتمعن فيها ،وكرَّرها ،فإنه يلمس من الرقة والعذوبة والمتانة والإيجاز، ما يدله يقينا على أنها عبارة فريدة في بابها، قد فاقت نظيراتها ،وعجز القائلون عن مثلها، وبهذا فإنه يتحقق فيها ضابط التذوق ،والذي يعزُّ تطبيقه على غيرها لبعد الناس اليوم عن المِعين الأول للغة العربية ، ولكن لشدة بلاغتها فإنه يَسهُل تطبيق هذا المنهج عليها دون غيرها.

25– " كَأَنَّهُمْ يُقَدِّمُونَ الَّذِي بَيَانُهُ أَهَمَّ لَهُمْ، وَهُمْ بِشَأْنِهِ أَعْنَى ، وَإِنْ كَانَا جَمِيعًا يُهِمَّانِهِمْ وَيَعْنِيَانِهِمْ ."

[1]– عبد القاهر الجرجاني ، الرسالة الشافية ، ص 140.

[2]– المرجع نفسه ، ص 140 – 141.

[3]– محمود محمد شاكر، المتنبي، دار المدني، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1407 هـ، 1987 م، ص 14.

هذه عبارة أخرى لسيبويه في الكتاب ،وهي من أبلغ الكلام أيضا، وهي مشابهة في البلاغة لعبارته السابقة ، ويتحقق فيها ضابط اشتهارها في بابها حيث ساقها كثير من البلاغيين والنحاة كما هي وبلفظها عند الكلام على التقديم والتأخير،فينطبق عليها قول عبد القاهر الجرجاني عن عبارات أبلغ الكلام، وأن العلماء لما لم يجدوا مثله ،ولم يقدروا على الإتيان بما يساويها في البلاغة أو يفوقها،فإنهم ينقلونها كما هي فقال:" فجعلوا لا يزيدون على أن يحفظوا تلك الفصول على وجهها ، ويؤدوا ألفاظهم فيها على نظامها ، وكما هي،"[1] وهذا ما نراه جليا في هذه العبارة.

وممن نقل هذه العبارة بنصِّها من العلماء فنذكر على سبيل المثال لا الحصر : عبد القاهر الجرجاني في فصل عقده في التقديم والتأخير ،في كتابه دلائل الإعجاز[2] ، وابن القيم في كتابه الصواعق المرسلة على الجهمية و المعطلة[3] ، ومنهم شهاب الدين النويري في كتابه نهاية الأرب في فنون الأدب[4] ، ومجد الدين ابن الأثير في كتاب البديع في علم العربية[5].

كما ذكر هذه العبارة عبد القاهر الجرجاني و نص على أنها ابلغ ما قيل في معناها في الرسالة الشافية و جعلها قرينة عبارة سيبويه الأولى[6] ، كما اقره على ذلك محمود محمد شاكر لما نقل كلامه و منه تصنيفه لهذه العبارة على أنها ابلغ ما قيل في معناها و أنها من ..... من الكلام البشري و ذلك في كتابه " المتنبي"

26- تُقَطَّعُ بِالنُّزُولِ الأَرْضُ عَنَّا وَبُعْدُ الأَرْضِ يَقْطَعُهُ النُّزُولُ .

هذا بيت آخر من عيون الشعر العربي، وهو من أبلغ الكلام أيضا وأجوده مبنى ومعنى ، وهو لمرار الفقْعسِيِّ ، وقد جزم أبو هلال العسكري بأنه أبلغ ما قيل في معناه فقال :" أبلغ ما قيل في التأني

[1]- عبد القاهر الجرجاني ، الرسالة الشافية ، ص 140.

[2]- ينظر:عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، دار الكتب العربي ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1995 م ، ص 97.

[3]-ينظر: ابن قيم الجوزية ، الصواعق المرسلة على الجهمية و المعطلة ، دار العاصمة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط1 ، 1408 هـ ، ج2 ، ص 718.

[4]-ينظر: شهاب الدين النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج7 ، ص 54.

[5]-ينظر: مجد الدين بن الأثير ، البديع في علم العربية ، جامعة أم القرى،المملكة العربية السعودية،ط1 ،1420هـ،ج1،ص97.

[6]-ينظر: عبد القاهر الجرجاني ، الرسالة الشافية ، ص 141.

وأجوده وأشده اختصارا ما أنشدناه أبو أحمد للمراد الفقعسي"[1] وذكر هذا البيت ،كما استشهد به في كتابه الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه أيضا[2] ،وما هذا إلا لبلاغته وجودته.

كما ذكره جمع من العلماء ممن اهتم بجمع أبلغ الكلام في كتبهم منهم ابن قتيبة الدينوري في كتاب عيون الأخبار[3]، والراغب الأصفهاني في كتاب محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء[4]، والشريف المرتضي في كتابه غرر الفوائد ودرر القلائد[5] .

كما أنه يتحقق فيه ضابط اشتهاره في بابه ،حتى عُدّ مثلا من الأمثال السائرة، وذكره جماعة ممن صنَّف في جمع الأمثال، منهم أبو هلال العسكري في كتاب جمهرة الأمثال[6] ، و الزمخشري في المستقصى المستقصى في أمثال العرب[7] ، والكلمة البليغة إذا صارت مثلا فإنما ذلك لبلاغتها ،وسهولتها ووضوح معناها.

27- كَأَنَّ الأُفْقَ مَحْفُوفٌ بِنَارٍ وَتَحْتَ النَّارِ آسَادٌ تَزِيرُ .

وهذا بيت آخر من أبلغ الأبيات العربية في بابه ،وقد جزم كثير من العلماء بأنها أبلغ ما قيل في معناها ، منهم شهاب الدين النويري في نهاية الأرب في فنون الأدب فقال :" أبلغ ما قيل في صفة الحرب قول الأول"[8] وذكره هذا البيت ، قال بمثل قوله أبو هلال العسكري في ديوان المعاني منتخبا هذا البيت أبلغ بيت في بابه فقال :" أبلغ ما قيل في صفة الحرب قول الأول"[9] وذكر نفس البيت.

[1]- أبو هلال العسكري ، ديوان المعاني ، ج1 ، ص 124.

[2]- ينظر:أبو هلال العسكري ، الحث على طلب العلم و الاجتهاد في جمعه ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1406 هـ ، 1986 م ، ص 88.

[3]- ينظر : ابن قتيبة الدينوري ، عيون الأخبار ، ص 59.

[4]- ينظر:الراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء و محاورات الشعراء و البلغاء ، ج2 ، ص 98.

[5]-ينظر: الشريف المرتضي، غرر الفوائد و درر القلائد، ص 357.

[6]- ينظر:أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ط ، د.ت ، ج1 ، ص 21.

[7]- ينظر:جار الله الزمخشري ، المستقصى في أمثال العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1987 ، ج1 ، ص 339.

[8]- شهاب الدين النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج6 ، ص 161.

[9]- أبو هلال العسكري ، ديوان المعاني ، ج2 ، ص 49.

كما استحسن كثير من العلماء هذا البيت،وذلك لقمَّة بلاغته،وتفوقه على أقرانه،منهم البرقوقي في الذخائر والعبقريات،فقال:"أحسن ما قيل في وصف الحرب والمتحاربين قول الأول"[1]،وذكر هذا البيت البيت ، كما نقل محمد بن أيدمر المستعصي في كتابه الدر الفريد وبيت القصيد عن ابن الأعرابي تفضيل هذا البيت على غيره مما في معناه فقال :" قال ابن الأعرابي : هذا من أحسن ما قيل في صفة الحرب "[2] "[2] ، كما نقل عنه الراغب الأصفهاني أيضا جزمه بأنه أبلغ بيت فقال " قال ابن الأعرابي : أحسن بيت في الحرب قول الشاعر"[3] وذكر هذا البيت ، وهذا ما يدل على أن هذا البيت أبلغ ما قيل في بابه لقول العلماء والأعراب البلغاء ، فتحقق فيه الضابطان.

28-وَلَيْلَةِ نَحْسٍ يَصْطَلِي القَوْسَ رَبُّهَا وَأَقْطُعَهُ اللَّاتِي بِهَا يَتَنَبَّلُ .

هذا بيت من أبلغ الكلام في معناه، وهو للشنفرى الشاعر المعروف، وقد قال جمع من العلماء بأنه أبلغ ما قيل في بابه ،وذلك لنقلهم قصة وحوار جرى بين هارون الرشيد والأصمعي ، فذكر أبو الفرج المعافى بن زكريا في كتابه الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي بسنده ،إلى أحمد بن سعيد بن سلم الباهلي عن أبيه قال:" أدخلت إلى الرشيد يوما فقال لي : أنشدني في شدة البرد فأنشدته لابن محكان السعدي :

في ليــلة من جمــادى ذات أندية لا يبصــر الكلب مــن ظلمائـــها الطنبا.

فقال هات غير هذا ، فأنشدته :

و ليلـــة قرٍّ يصطلي القــوس ربُّـــها وأقدحـــــــه اللائي بها يتنبـــــــــل

[1]- عبد الرحمن البرقوقي ، الذخائر العبقريات ، ج2 ، ص 277.

[2]- محمد بن أيدمر المستعصي، الدر الفريد و بيت القصيد، ج8، ص 414.

[3]- الراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ، ج1 ، ص 383.

فقال لي ما بعد هذا شيء."[1] وهي قصة مشهورة ،إلا أن المعافى بن زكرياء رواها عن سعيد بن سلم الباهلي ،ورواها غيره عن الأصمعي مع اختلاف يسير، فيحتمل أنها قصة واحدة ،اختلف على الداخل على هارون الرشيد، ويحتمل أنهما قصتان مختلفتان.

أما قصة الأصمعي فقد رواها جمع من العلماء، منهم أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي (ت 651 هـ) في كتاب سرور النفس بمدارك الحواس الخمس فقال :" قال الأصمعي دخلت على الرشيد هارون في يوم قر فقال : أنشدني أبلغ ما قيل في شدة البرد ،فأنشدته لمرّة بن محكان السعدي:

في ليلـــــة من جمادى ذات أنديـــــة لا يبصـــــر الكلب من ظلمائـــــها الطَّنبـــا

لا ينبـــح الكلب فيها غيرَ واحـــــدة حتى يلفَّ علـــــــــى خيشومه الذنبـــــــا

فقال أريد أبلغ من هذا، فأنشدته لأخت عمرو ذي الكلب:

لا ينبـح الكلب فيها غيـــــــر واحدة حتى الصبـــــــاح ولا تســـري أفاعيـــها

فقال أريد أبلغ من هذا فأنشدته :

وليلـــــــة قرٍّ يصطلـــــي القوس ربُّها وأسهمه اللاتي بها يتنبـــــــــل

فقال حسبك ما بعد هذا شيء"[2] ، فهذا فيه تفضل لهارون الرشيد لقول الشنفرى، وإقرار الأصمعي له على ذلك.

و ممن ذكر هذه القصة مقرا لها ،أبو المحاسن يوسف بن أحمد اليغموري في كتاب نور القبس[3] ،والراغب الأصفهاني في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء[4] ،وكذلك المعافى بن زكريا في الجليس الصالح الكافي ، و أبو العباس التيفاسي في سرور النفس بمدارك الحواس الخمس كما مر ، مما يجعل هذا البيت أبلغ ما قيل في معناه.

[1]– المعافى بن زكريا ، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1426،1 هـ، 2005 م ، ص 451 .

[2]– أحمد بن يوسف التيفاشي ، سرور التنفس بمدارك الحواس الخمس ، ص 245.

[3]– ينظر : يوسف بن احمد اليغموري ، نور القبس ، ص 49.

[4]– ينظر : الراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء و محاورات الشعراء و البلغاء ، ج2 ، ص 576.

29- عَرِيقُونَ فِي الإِفْضَالِ يُؤْتَنَفُ النَّدَى لِنَاشِئِهِمْ مِنْ حَيْثُ يُؤْتَنَفُ العُمْرُ .

هذا بيت من أبلغ الكلام ،وهو أبلغ ما قيل في المدح ، وهو للبحتري ،وقد جزم عبد القاهر الجرجاني بأن هذا البيت من أبلغ الكلام ،وأنه أبلغ ما قيل في بابه، فقال بعدما ذكر هذا البيت وغيره من أبلغ الكلام :"لا ينظر في هذا أو أشباهه عارف إلا علم أنه لا يوجد في المعنى الذي يرى مثله،وأن الأمر قد بلغ غايته ، وإنْ لم يبق للطالب مطلب. "[1] فهو لم يقتصر على عدِّه من أبلغ الكلام ، بل تعدى إلى جعله من البَيِّن في ذلك ، بل إلى عده من المعجز من كلام البشر الذي لا يُستطاع الإتيان بمثله.

وقد حضي هذا البيت أيضا بتفضيل الجرجاني أيضا في دلائل الإعجاز على قول المتنبي

كَأَنَّمَا يُولَـــــــدُ النَّدَى مَعَهُـــــــــــمْ لَا صِغَـــــــــــرٌ عَاذِرٌ وَلَا هَرَمُ.

مع أن هذا البيت أقل حروفا، وأشد اختصارا من بيت البحتري[2] ، وكثيرا ما يقارن أهل العلم بالعربية بين بيت المتنبي هذا وبيت البحتري في شروحات ديوان المتنبي ،مثل ما وقع في كتاب شرح ديوان المتنبي للعكبري[3] ، وشرح ديوان المتنبي للواحدي ، والقاضي الجرجاني في كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه[4] ،فهذه شروح شعر المتنبي ،فإذا قام شرَّاحها بمقارنة أشعاره بشعر آخر خاصة إن تكرر هذا الفعل منهم ،فإنه دليل على ميزة يتميز بها هذا البيت ،وخصيصة اختص بها، وهي هنا أنه أبلغ ما قيل في معناه.

30-فَهُنَّ يَنْبُذْنَ مِنْ قَوْلٍ يُصِبْنَ بِهِ مَوَاقِعَ الماءِ مِنْ ذِي الغُلَّــةِ الصَّادِي .

وهذا بيت آخر من أبلغ الكلام ،ومن الأبيات التي حازت على إعجاب كثير من العلماء على مَرَّ الزَّمان ،وهو لعمير بن شييم بن عمرو بن عباد التغلبي المعروف بالقطامي، وجزم عبد القاهر الجرجاني

[1]- عبد القاهر الجرجاني ، الرسالة الشافية ، ص 140.

[2]- ينظر:عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 496.

[3]-ينظر: عبد الله بن الحسن العكبري ، شرح ديوان المتنبي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت ، ج4 ، ص 65.

[4]- ينظر: القاضي الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي و خصومه ، ص 385.

بأنه أبلغ ما قيل في بابه ،وأنه من البين في ذلك فقال بعد أن تكلم عن أبلغ الكلام وصفاته: "فمن البين في ذلك قول القطامي "[1] ،وذكر هذا البيت ، فهو عنده في المنزلة العليا من البلاغة.

وقال أبو هلال العسكري مستجيدا هذا البيت ،ومُصنِّفا له من أبلغ الكلام :" أحسن ما قيل في حديث النِّساء قول القطامي"[2] وذكر هذا البيت ، وذكره في لباب الآداب مشيرا إلى أنه أبلغ الكلام في معناه، وأنه يتحقق فيه ضابط اشتهاره في بابه أيضا فقال :" ومن أبياته الفاخرة السائرة قوله من قصيدة "[3] وذكر بيتنا هذا ، كما ذكره ابن طباطبا العلوي في الأشعار المحكمة في كتابه عيار الشعر[4].

كما استحسنه جماعة من علماء العربية والشعر منهم محمد بن هاشم الخالدي ،وسعيد بن هشام الخالدي في حماسة الخالديين[5] ، وإبراهيم بن علي الحصري حيث ذكره كأول مثال لما يستملح مما قيل في حسن الحديث[6]، واستجاده بهاء الدين البغدادي في كتابه التذكرة الحمدونية[7] ، وكذلك أبو حيان التوحيدي في الامتناع والمؤانسة[8] .

وممن ذكره من العلماء في كتبهم التي عنيت بجمع أبلغ الكلام : شهاب الدين الدينوري في كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب[9] ، والجاحظ في البيان والتبيين[10] ، وابن عبد ربه في العقد الفريد[11] ، ، ومحمد بن أيدمر المستعصي في الدر الفريد وبيت القصيد[12] ، وأبو منصور الثعالبي في التمثيل والمحاضرة[13] ، وفي لباب الآداب أيضا كما مَرَّ ، وذكره أيضا عبد القادر الجرجاني بن عمر البغدادي في

[1]- عبد القاهر الجرجاني ، الرسالة الشافية ، ص 140.
[2]- أبو هلال العسكري ، ديوان المعاني ، ج1 ، ص 242.
[3]- ابن منقذ، لباب الآداب، ص 162.
[4]- ينظر: ابن طباطبا العلوي ، عيار الشعر ، ص 82.
[5]- ينظر : حماسة الخالديين ، محمد بن هاشم الخالدي و سعيد بن هاشم الخالدي ، ص 13.
[6]- ينظر : إبراهيم بن علي الحصري ، زهر الآداب و ثمر الألباب ، ج1 ، ص 47.
[7]- ينظر: بهاء الدين البغدادي ، التذكرة الحمدونية
[8]- ينظر: أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة، ص 45.
[9]- ينظر : شهاب الدين النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج2 ، ص 77.
[10]- ينظر : عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1 ، ص 234.
[11]- ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص 357.
[12]- ينظر : محمد بن أيدمر المستعصي ، الدر الفريد و بيت القصيد ، ج8 ، ص 144.
[13]- ينظر : أبو منصور الثعالبي ، التمثيل و المحاضرة ، ص 256.

كتاب خزانة الأدب ولبُّ لباب لسان العرب[1] ، وغيرهم من علماء العربية في كتبهم ،وهذا ما يدل على على أنه أبلغ الكلام في بابه حيث اشتهر بين أرباب الفصاحة والبلاغة.

31- أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِـــبَ المطَايَـا وَأَنْدَى العَالَمِينَ بُطُـــونَ رَاحٍ .

وهذا بيت آخر من أبلغ ما قيل في بابه ،وهو لجرير بن الخطفي الشاعر المعروف صاحب النقائض ، وهو في المديح ،وهو باب أكثرت الشعراء طرقه بأجود الأشعار ،فلا يكون الأبلغ في هذا المعنى إلا ما كان في قمة البلاغة والحسن ،لكثرة المنافسين على هذه المنزلة البلاغية الرفيعة ، وقد حدث نوع منافسة له على المنزلة الأولى للبلاغة مع بعض الأبيات ،و لكنه انفرد بالرِّيادة عند الأكثرين ،واشتهر هذا في كتب البلاغة والأدب.

فمن الأبيات التي نافست هذا البيت بيت الأخطل ،ويظهر ذلك فيما ذكره ابن سلام الجمحي في طبقات فحول الشعر قال :" قال لي معاوية بن أبي عمرو بن العلاء " أي البيتين عندك أجود ؟ قول جرير :

ألستم خيـــــر من ركـــب المطايـــا وأندى العالمـــــــــين بطـــــــــون راح

أم قول الأخطل: .

شمس العداوة حتـــــى يستقاد لهـــــم وأعظـــــم الناس أحلامـــــا إذا قدروا

فقلت " بيت جرير أحلى وأيسر ،وبيت الأخطل أجزل وأرزن ، فقال " صدقت ، وهكذا كانا في أنفسهما عند الخاصة والعامة. "[2] فهذان عالمان بالعربية لم يفصلا في أي البيتين أبلغ ،ولم يحكما لأيٍّ لأيٍّ منهما بالفضل أو السَّبق .

[1]- ينظر:عبد القادر بن عمر البغدادي،خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ،مكتبة الخانجي، القاهرة،مصر، ط4، 1418هـ، 1997م،ج3،ص 213.

[2]- ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، تح : محمود شاكر ، دار المداني ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ط 1 ، ج2 ، ص 494.

ومن الأبيات التي نافست بيت جرير ،ما ذكره محمد بن الحسن الحاتمي في حلية المحاضرة في صناعة الشعر ،في باب " أمدح بيت قالته العرب" فنقل كلام العلماء والأمراء في أبلغ ما قيل في هذا الباب ،فذكر بيت الأخطل الذي مرَّ ، وبيت جرير هذا ، وقول عبد الله بن قيس الرُّقيات ، وبيتا لحسان بن ثابت ،وبيتا للحطيئة ، و بيتا للأعشى، وأبيات أخرى انتخبها بعض العلماء أو الشعراء أو الأمراء[1].

كما صرح بعض العلماء بأن هذا البيت هو أبلغ ما قيل في بابه ،وهذا التفضيل هو الغالب على قول العلماء والبلاغيين في حكمهم على أبيات المدح ، فمن هؤلاء العلماء أحمد بن إبراهيم الهاشمي في كتاب جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب فقال :" وإن أمدح بيت قوله،"[2] وذكر هذا البيت، ومنهم الحسن بن عبد الله العسكري (ت 382 هـ) في كتابه المصون في الأدب إذ يقول :" وأمدح بيت قول زهير... وبيت جرير "[3] يعني هذا البيت ، وأبو هلال العسكري كما في ديوان المعاني فقال :" وقالوا: أمدح بيت قالته العرب بيت جرير "[4] وذكر هذا البيت أيضا ، وقال برهان الدين محمد بن إبراهيم المعروف بالوطواط (ت 708 هـ)، مفضِّلا هذا البيت أيضا :" وفي هذه القصيدة يقول مادحا بما لم يأت أحد بمثله "[5] فذكر بيته هذا.

كما نقل كمال الدين الشافعي عن ابن خلكان ،أن أمدح بيت قالته العرب قول جرير لعبد الملك بن مروان ، وذكر بيت جرير هذا ، وكذا قال ابن هشام الأنصاري في مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب :" كقول جرير في عبد الملك... مدحا بل قيل أنه أمدح بيت قالته العرب "[6] ، وهذا تفضيل منه لهذا البيت ، كما ذكر أبو المحاسن يوسف بن أحمد اليغموري في كتابه نور القبس أن هذا البيت هو الأبلغ فقال :" وأما المديح فبرز فيه جرير على الناس بقوله "[7] وذكر هذا البيت أيضا ، كما نقل ابن

[1]- ينظر:محمد بن الحسن الحاتمي، حلية المحاضرة في صناعة الشعر، ج1، ص 338 – 342.

[2]- أحمد بن إبراهيم الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات و إنشاء لغة العرب، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، د.ط ، د.ت ، ج2 ، ص 152.

[3]- الحسن بن عبد الله العسكري، المصون في الأدب، ص 22.

[4]- أبو هلال العسكري ، ديوان المعاني ، ج1 ، ص 31.

[5]- محمد بن إبراهيم الوطواط، غرر الخصائص الواضحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1429 هـ، 2008 م، ص 147.

[6]- ابن هشام الأنصاري ، معنى اللبيب عن كتب الاعاريب ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط6 ، 1985 م ، ص 25.

[7]- يوسف بن احمد اليغموري ، نور القبس ، ص 10.

رشيق في كتابه العمدة في محاسن الشعر وآدابه ،عن عمرو بن العلاء أنه فضَّل بيت جرير هذا على غيره من الشعر في بابه [1].

كما نص علماء آخرون إن هذا البيت هو أبلغ بيت قاله جرير منهم ابن منقذ في لباب الآداب فقال :" وأفخر شعر قوله: .

ألستم خيـــــــر من ركـــــــب المطايا وأندى العالميـــــــــن بطون راح ."[2]

وفي ضمن هذا التفضيل إشارة إلى أنه أبلغ الكلام لجودة شعر جرير وبلاغته ، وبنحو قول ابن منقذ قال قال أبو منصور الثعالبي في الإعجاز والإيجاز : إذ قال قبل ذكر هذا البيت :" وأمدح شعره"[3] ثم ذكره ، وهو الكتاب الذي جمع فيه نماذج من أبلغ الكلام ، فذِكْره فيه يدل على أنه في نظر أبي منصور الثعالبي أبلغ الكلام في بابه.

ومما جاء في تفضيل بيت جرير هذا ، ما نقل من تقسيم الشعر إلى أربعة أقسام ،وأن جريرا قد غلب فيها كلها بما فيها المدح الذي نحن بصدده، ونذكر في ذلك روايتان :فأما الأولى فذكرها الحافظ ابن عساكر في كتابه تاريخ دمشق فقال :" قال ابن سلمة سألت الأُسيْدي – أخا بني سلمة – عن جرير والفرزدق ، فقال : بيوت الشعر أربعة ، فخر ومديح وهجاء ونسيب ، وفي كلها غلب جرير... والمدح قوله : ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح"[4] .

فهذا يدل على أن الأُسيْدي وابن سلمة، وناقل القصة ابن عساكر، يَرَون أن هذا البيت أبلغ ما قيل في بابه إما تصريحا كقول الأسيدي ،وإما إقرارا كفعل ابن سلمه و، ابن عساكر.

وأما الرِّواية الثانية فذكرها ابن الجوزي في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم فقال :" قال بعض العرب : الشعر أربعة أصناف : فخر ومدح ، ونسيب ،وهجاء،وفي كلها غلب جرير... وقال في المدح :

[1]– ينظر:ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر و آدابه ، ص 156.

[2]– أسامة بن منقذ ، لباب الآداب ، ص 147.

[3]– أبو منصور الثعالبي ، الإعجاز و الإيجاز ، ص 148.

[4]– ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج 72 ، ص 87.

ألستم خيـر من ركـب المطايـا وأندى العالميـــــن بكون راح"[1] ،

وهذا القول المنقول عن أحد الأعراب يتحقق فيه ضابط قول العربي البليغ ،الذي لم تختلط لغته بلُكنَة ولا بعُجمة، ويتحقق فيه ضابط التذوق أيضا، لأن الأول مبني على الثاني كما مر.

ومما يجدر ذكره هنا في تفضيل هذا البيت إعجاب عبد الملك بن مروان به، وعدَّه أبلغ ما قيل في المديح ،وهو العالم بالعربية والعربي البليغ ، فذكر الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية قال :" دخل رجل من بني عذرة على عبد الملك بن مروان يمتدحه بقصيدة ،وعنده الشعراء الثلاثة ،جرير والفرزدق والأخطل...فقال : أحسنت ، فهل تعرف أمدح بيت قيل في الإسلام ؟ قال نعم قول جرير :

ألستم خيـــــر من ركـــــب المطايا وأندي العالميـــــــن بطـــــــون راح

فقال:" أصبت، وأحسنت. "[2] فهذا قول عربي فصيح في تفضيل بيت جرير مع تصديق عبد الملك له وتحسينه لقوله وتصويبه له، مما يدل على أنه يراه أبلغ ما قيل في معناه.

ومن أوجه إعجاب عبد الملك بن مروان ببيت جرير ما ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق أيضا وفيها أن عبد الملك أذن لجرير بالدخول عليه ثم أذن له بالإنشاد فانشده:

أتصحـــو أم فؤادك غيـــر صـاح عشيـــــة هم صحبـــــــك بالرواح

فقال له عبد الملك : بل فؤادك بابن اللخناء ، فلما انتهى إلى قوله:

تعزَّت أمُّ حزرة ثـــــم قالـــت رأيـــت المورديـــــــــن ذوي لقـــــــاح

تُعلِّل وهـــي ساغبة بنيهـــا بأنفـــــــاس من الشَّـبِـــــــم القـــــراح

فقال عبد الملك لا أروى الله غلمتها ، فلما انتهى إلى قوله :

[1]- ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ، ج7 ، ص 144.

[2]- ابن كثير، البداية و النهاية، ج9، ص 288.

ألستـــــــــــــم خير من ركـــــــــب المطايا وأندى العالميـــــــــــن بطـــــون راح

قال عبد الملك ، وكان متكئا فجلس :" من مدحنا فليمدحنا بمثل هذا أو ليسكت ، فلما ختمها أمره بإعادتها ، فلم ينكر عليه أبياته كما في المرة الأولى فلما ختمها أمر له بمائة ناقة بأداتها ورعاتها ، وهذا الفعل من عبد الملك يدل على استجادته الكبيرة لبيت جرير حيث قلب نكيره إلى إعجاب.[1]

وممن عَدَّ هذا البيت أبلغ ما قيل في بابه محمد بن أيدمر المستعصي في كتاب الدر الفريد وبيت القصيد فقال :" يقال أن هذا البيت أمدح بيت قالته العرب"[2] ، وقال في موقع آخر منه :" يقال أن هذا الشعر بيت قالته العرب في المدح"[3] يقصد بيت جرير ، وقال عبد الكريم النَّهشلي القيرواني (ت 405 هـ) في كتابه الممتع في صنعة الشعر :" وأما المديح فبرز فيه على الناس في قوله "[4] وذكر بيت جرير ،وهذا كله يدل على أن هذا هو أبلغ ما قيل في معناه على شدَّة المنافسة وقوتها.

32-فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالملُوكُ كَوَاكِبٌ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبٌ .

وهذا بيت آخر من أبلغ الكلام ،وهو للنَّابغة الذبياني، وهو في باب قريب من المدح ،ولكنه ليس مدحا خالصا ،وإنما مشوب بالاعتذار والاستمناح ، لذا فقد أعجب به العلماء، وعدوه من الشعر البليغ الفاخر ، فذكره الثعالبي في خاص الخاص، وهو كتاب في أبلغ الكلام ،وذكره في باب عجائب الشعر والشعراء[5] ،وذكره أيضا في لباب الآداب ،وهو الآخر في أبلغ الكلام ،و وصفه بقوله " وبيته الفاخر "[6] ،و هذا دليل على أنه أبلغ ما قيل في بابه ، وذكره محمد بن أيدمر المستعصي في الدر الفريد وبيت القصيد[7] ،كما أعجب المبرد به فقال في الكامل في اللغة و الأدب :" و من أعجب التشبيه قول النابغة ... و قوله :

[1]- ينظر : ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج 72 ، ص 90.

[2]- محمد بن أيدمر المستعصي، الدر الفريد و بيت القصيد، ج4، ص 101.

[3]- المرجع نفسه ، ج5 ، ص 469.

[4]- عبد الكريم النهشلي القيرواني ، الممتع في صنعة الشعر ، تح : محمد زغلول سلام ، منشأ المعارف الإسكندرية ، جمهورية مصر العربية ،

[5]- ينظر: أبو منصور الثعالبي ، خاص الخاص ، ص 29.

[6]- أبو منصور الثعالبي ، لباب الأدب ، ص 109.

[7]- ينظر: محمد بن أيدمر المستعصي، الدر الفريد و بيت القصيد، ج7، ص 410.

فإنـــك شمـــس والنجوم كواكـــــب إذا طلعت لم يبـــــد منـــهـن كوكب"[1]

،و(أَعجَب) صيغة مبالغة تدل على أنه أبلغ ما قيل في معناه.

33-فَلَمَّا وَرَدْنَ الماءَ زُرْقًا جِمَامُهُ وَضَعْنَ عِصِيَّ الحَاضِرِ المتَخَيِّمِ .

وهذا بيت آخر من أبلغ الأبيات ،و هو لزهير بن أبي سلمى ، وهو من إبداعاته التي سَبَق إليها ، قال إبراهيم بن علي الحصري في زهر الآداب وثمر الألباب :" وأول ما أتى بهذا زهير بن أبي سلمى في قوله"[2] وذكر هذا البيت ، وفقال الباقلاني في إعجاز القرآن :" ومن بديع الاستعارة قول زهير"[3] وذكر هذا البيت أيضا ، و ذكره عمرو بن بحر الجاحظ في البيان و التبيين[4] .

وساق محمد بن الحسن الحاتمي بسنده إلى عمار بن ياسر قال : سألت كثيرا عن أشعر بيت قالته العرب ، قال (قول زهير) :

فلمـــا وردن المـــاء زرقـا جمامـــه وضعـــــــن عصيَّ الحاضـــــــر المتخيَّـــم"[5] ،

، وهذا صريح منه رضي الله عنه أنه أبلغ ما قيل في بابه على الأقل ، وكذلك إقرار ناقله يدل على ذلك.

34-أَكْذِبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثْتَهَا إِنَّ صِدْقَ النَّفْسِ يُزْرِي بِالأَمَلِ .

وهذا بيت آخر من أبلغ الكلام، وهو للبيد بن ربيعة رضي الله عنه ، صاحب المعلقة ، وهو بيت قد حاز على ثناء كثير من العلماء والأدباء والشعراء ، بل قد عدَّه بشار بن برد أحسن ما قالته العرب ، فذكر محمد بن الحسن الحاتمي في حلية المحاضرة عن " إسحاق بن إبراهيم ، قيل لبشار بن برد :" أي بيت قالته العرب أشعر؟ قال :" إن تفضيل بيت واحد لشديد، ولكن أحسن لبيد كل الإحسان

[1]- المبرد، الكامل في اللغة و الأدب، ج3، ص 26.

[2]- إبراهيم بن علي الحصري ، زهر الآداب و ثمر الألباب ،ج1، ص229.

[3]- الباقلاني ، إعجاز القران ، ص 76.

[4]- ينظر: عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج3 ، ص 84.

[5]- محمد بن الحسن الحاتمي ، حلية المحاضرة ، ج1 ، ص 45.

حيث يقول "[1] وذكر هذا البيت ، كما ذكر هذه القصة جمع كبير من الأدباء والعلماء في كتبهم مما يدل على أن هذا البيت من أبلغ الكلام، وذكر أبو علي نور الدين اليوسي في المحاضرات في اللغة والأدب أن هذا البيت مما رشح ليكون أشعر بيت قالته العرب[2] .

و ذكر الراغب الأصبهاني أن هذا البيت مما نال استحسان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،فقال :" قال عمر رضي الله عنه : لا تصغرن همتك فإني لم أر أقعد بالرجل من سقوط همته ، وقال : أحسن ما قال لبيد"[3] وذكر هذا البيت ، فهو يراه – رضي الله عنه – أبلغَ ما قيل في بابه لاستحسانه له ،وإعجابه به،واستشهاده به، كما استجاده أيضا الزوزني في شرح المعلقات السبع[4]، وعدَّه صدر الدين المدني من بديع الإعجاز[5] ، وذكره الجاحظ في البيان والتبيين في فصل : "أقوال وأشعار منتخبة"[6] ، وهذه وهذه العبارات على اختلافها تدل على مقدار تفضيل هؤلاء العلماء لهذا البيت ، وأنه من أبلغ الكلام وأن فيه من الخصائص ما لا يوجد غيره.

كما يتحقق في هذا البيت ضابط اشتهاره في بابه ، حتى صار مثلا سائرا يُذكر عند ذكر معناه ، وذكره العلماء الذين صنفوا في الأمثال، ونذكر منهم أبو الخير زيد بن عبد الله الهاشمي (ت 373 هـ) في كتابه الأمثال[7] ، وأبو بكر الخوارزمي في كتابه الأمثال المولده[8] (ت 383 هـ) ، و احمد بن يحيى الشيباني في قواعد الشعر[9] ، و مجمع الأمثال للميداني[10] ، و جار الله الزمخشري في كتابه المستقصى في أمثال العرب[11] ، وكذلك ذكره أبو عبيد البكري في شرحه لكتاب الأمثال لأبي القاسم بن سلام[12] ،

[1]– محمد بن الحسن الحاتمي ، حلية المحاضرة ، ص 46.

[2]– ينظر:نور الدين اليوسي ، المحاضرات في اللغة و الأدب

[3]– الراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ، ج1 ، ص 200.

[4]– ينظر:الحسين بن احمد الزوزني ، دار إحياء التراث العربي ، ط1 ، 1423 هـ ، 2002 م ، ص 163.

[5]– ينظر: صدر الدين المدني، أنوار الربيع في أنواع البديع، المكتبة الشاملة 3، ص 488.

[6]– عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج2 ، ص 130.

[7]– ينظر: زيد بن عبد الله الهاشمي، الأمثال، دار سعد الدين، دمشق، سوريا، د.ط ، 1423 هـ ، ص 45.

[8]– ينظر: أبو بكر الخوارزمي، الأمثال المولدة، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، د.ط ، 1424 هـ ، ص 218.

[9]– ينظر : أحمد بن يحيى الشيباني ، قواعد الشعر ، تح: رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ط2 ، 1995 م ، ص 71.

[10]– ينظر: أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص 139.

[11]– ينظر: جار الله الزمخشري ، المستقصى في أمثال العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ط1، 1987م، ج1، ص 289.

[12]– ينظر: أبو عبيد البكري، شرح كتاب الأمثال، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1983م، ص 173.

وكذلك أحمد قبس في كتاب مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي[1] ، ولهذا قال أبو منصور الثعالبي في التمثيل و المحاضرة :" ومن الأبيات السائرة للمخضرمين "[2] ، وذكر بيت لبيد رضي الله عنه هذا .

وعدَّه عبد القاهر الجرجاني من النادر من الشعر فقال :" ذكر ما أنت ترى فيه في كل واحد من البيتين صنعة وتصويرا وأستاذية على الجملة ، فمن ذلك وهو من النادر قول لبيد"[3] ، فعدّه من النادر من من الشعر، ونقل الثعالبي في الإعجاز والإيجاز قصة بشار بن برد في تفضيل هذا البيت بلفظ أوضح في بيان أنه أبلغ الكلام فقال :" وأوجز وأعجز لبيد في قوله"[4] وذكر البيت ، فهو هنا يقر بأنه من المعجز من كلام البشر الذي لا يستطاع مثله ، وهذا الكلام من شاعر عربي مُجيد، ونقله عنه عالم بالعربية والشعر، كما ذكره أيضا في كتاب لباب الآداب[5] ،وذكره أيضا محمد بن أيدمر المستعصي في كتاب الدُّر الدُّر الفريد وبيت القصيد[6] ، وهما كتابان في جمع أبلغ الكلام.

35- تَبِيُتُونَ فِي المشْتَى مِلَاءً بُطُونُكُمْ وَجَارَاتُكُمْ غَرْثَى يَبِتْنَ خِمَاصًا .

وهذا أحد الأبيات البليغة التي هي أبلغ ما قيل في معناها ، وهو لميمون بن قيس المعروف بالأعشى،صاحب المعلقة، وقد وقع الاتفاق على أنه أبلغ ما قيل في باب الهجاء، وعلى ذلك تواتر كلام علماء العربية ،فقال أبو منصور الثعالبي عن الأعشى:" وله البيت الذي وقع الاتفاق عليه على أنه أهجى بيت للجاهلية ،وهو قوله لعلقمة بن علاثة"[7] و ذكر هذا البيت ، وهنا إشارة إلى الخلاف في أنه أهجى بيت قيل ،أم هو أهجى بيت في الشعر الجاهلي؟ فالاتفاق على أنه أهجى بيت في الشعر الجاهلي، والخلاف هل هو أهجى بيت قالته العرب في شعرها كله ، وإلى هذا الخلاف أشار أبو منصور

[1]- ينظر: احمد قبس، مجمع الحكم و الأمثال في الشعر العربي، ج2، ص 73.
[2]- أبو منصور الثعالبي، التمثيل و المحاضرة، ص 61.
[3]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 145.
[4]- أبو منصور الثعالبي، الإعجاز و الإيجاز، ص 144.
[5]- ينظر: أبو منصور الثعالبي، لباب الآداب، ج1، ص 423.
[6]- ينظر: محمد بن أيدمر المستعصي، الدر الفريد و بيت القصيد، ج10، ص 114.
[7]- أبو منصور الثعالبي، لباب الآداب، ص 94.

الثعالبي أيضا في كتابه الإعجاز والإيجاز فقال :" ووقع الإجماع على أن أهجى بيت للجاهلية قوله"[1] وذكر هذا البيت.

ولكن النَّاظر إلى أقوال العلماء في هذا البيت يجد أكثرهم يميلون إلى ترجيح أنه أهجي بيت في الشعر كله ،وعليه : فإنه أبلغ ما قيل في معناه ،وهذا الخلاف بسبب رواج سوق الهجاء بعد زمن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، خاصَّة في زمن النقائض،في خلافه بني أمية مع جرير والفرزدق وغيرهما.

من العلماء الذين رجّحوا أن هذا البيت أهجى بيت مطلقا :أبو منصور الثعالبي في كتابه أحسن ما سمعت إذ يقول " قال بعض الرواة : أهجي بيت للعرب قول الأعشى"[2] أي هذا البيت ، و منهم أيضا نور الدين اليوسي (ت 1102 هـ) في كتابه المحاضرات في اللغة والأدب فقال :" أهجى بيت قالته العرب قول الأعشى"[3] يعني هذا البيت ، ومنهم أيضا شهاب الدين النويري (ت 733 هـ) في كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب فقال :" وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الأعشى"[4] أي هذا البيت ، ومن قبلهم أبو هلال العسكري (ت 395 هـ) في كتاب ديوان المعاني فقال :" وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الأعشى"[5] أي هذا البيت.

ومن المتقدمين ممن جعله أبلغ ما قيل في معناه أبو حمد العسكري (ت 382 هـ) ،في كتابه المصون في الأدب حيث يقول :" وأهجى بيت قالته العرب قول الأعشى"[6] وذكر بيته هذا ، ومن المتأخرين جواد علي في كتابه المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام فقال:" وإن أهجى بيت قالته العرب قول الأعشى"[7] وذكر بيته هذا.

[1]- أبو منصور الثعالبي، الإعجاز و الإيجاز، ص 47.
[2]- أبو منصور الثعالبي، أحسن ما سمعت، ص 36.
[3]- نور الدين اليوسي، المحاضرات في اللغة و الأدب، ج1، ص 345.
[4]- شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج3، ص 254.
[5]- أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، ج1، ص 171.
[6]- الحسن بن عبد الله العسكري، المصون في الأدب، ص 19.
[7]- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ج17،ص105.

ومما يدل على بلاغة هذا البيت ما ذكره عبد الملك بن مروان عن هذا البيت فقال :" والله ما يسرُّني أنِّي هُجيت بمثل هذا البيت ،وإن لي ما طلعت عليه الشمس."[1] وهذا الكلام منه يدلُّ على أنه أبلغ ما قيل في بابه ،إذ خصه بالذكر هنا دون غيره من أبيات الهجاء.

36- فَدَقَّتْ وَجَلَّتْ وَاسْبَكَرَّت وَأُكْمِلَتْ فَلَو جُنَّ إِنْسَانٌ مِنَ الحُسْنِ جُنَّتْ .

وهذا بيت آخر من أبلغ الكلام كما وصفه العلماء بالعربية والشعر ، وهو للشَّنفرى في وصف المرأة ، واختلفت ألفاظ العلماء في وصفه أنه أبلغ ما قيل في بابه ، فقال الأصمعي :" لم توصف المرأة بأوجز وأحسن من قوله"[2] وذكر هذا البيت ، واستحسنه الجاحظ في كتاب الحيوان، وتعَجَّب من حسنه فقال :" وما أحسن ما قال الشاعر حيث يقول:

فدقَّت وجلَّت واسبكرَّت وأُكملت فلو جُن إنسان من الحُسن جُنَّت"[3] .

وهذا الإعجاب منه – على كثرة أشعار الوصف – يدل على أنه ما قيل في معناه.

كما تعجب منه أبو منصور الثعالبي فقال :" من عجيب شعره قوله في وصف المرأة ، وليس له في الشُّعراء المتقدمين نظير"[4] وذكر هذا البيت ، وهذا نص منه أنه لا أبلغ منه ،ولا مساو له في البلاغة ، ، وقال في لباب الآداب عن هذا البيت :" وبيت القصيد قوله في وصف المرأة"[5] أي أفضل شعره ، وقال وقال الآمدي في الموازنة بعد ذكر هذا البيت :" فإن هذا هو تمام الوصف."[6] أي لا يمكن الإتيان بمثله فهو من المعجز من كلام البشر ، وقال أبو عبيد الله المرزباني في نور القبس مفضلا هذا البيت على غيره:" وأَغزَل بيت وأرقه قولهم – من الطويل-:"[7] وذكر بيت الشنفرى هذا .

[1]- أبو حيان التوحيدي، أخلاق الوزيرين، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، 1412هـ، 1992م، ج1، ص 369.
[2]- أبو منصور الثعالبي، الإعجاز و الإيجاز، ص 47.
[3]- عمر بن بحر الجاحظ، الحيوان، ج6، ص 443.
[4]- أبو منصور الثعالبي، خاص الخاص، ص 98.
[5]- أبو منصور الثعالبي، لباب الآداب، ص 126.
[6]- الحسن بن بشير الامدي، الموازنة، ص 33.
[7]- أبو عبيد الله المرزباني، نور القبس، ص 89.

وقد اشتهر هذا البيت بين أرباب العلم والأدب ،وكثر دورانه بينهم ،وممن ذكره من العلماء الذين اعتنوا بجمع أبلغ الكلام : الثعالبي في الإعجاز والإيجاز[1] ، وفي كتابه خاص الخاص[2] ، وفي كتابه لباب الآداب[3] ، وذكره محمد بن أيدمر المستعصي في كتابه الدُّر الفريد وبيت القصيد ،ونَقل فيه قول الأصمعي في تفضيل هذا البيت[4].

وممن فضل هذا البيت من الخلفاء وأقرَّ على ذلك: عبد الملك بن مروان ،وذلك فيما رواه محمد بن الحسن الحاتمي في كتاب حلية المحاضرة بسنده إلى الإمام الشعبي رحمه الله: " قال : سألني عبد الملك بن مروان: أي بيت قالته العرب أرق ؟ فقلت قول الشاعر [الطويل]:

فدقـــت وجلـــت واسبكـرت وأُكملت فلو جُـنَّ إنســـــــان من الحســـن جُنَّت."[5]

وهذا تفضيل من الشعبي لهذا البيت ،وإقرار لعبد الملك بن مروان الخليفة العالم بالعربية والشعر ،مما يدلُّ على أن هذا البيت حاز على تفضيل العلماء له ،والفُصحاء البلغاء ،والخلفاء أيضا .

37- " وَهُوَ بَابٌ دَقِيقُ المسْلَكِ لَطِيفُ المأْخَذِ عَجِيبُ الأَمْرِ ، شَبِيهٌ بِالسِّحْرِ ، فَإِنَّكَ تَرَى بِهِ تَرْكَ الذِّكْرِ أَفْصَحَ مِنَ الذِّكْرِ، وَالصَّمْتَ عَنْ الإِفَادَةِ أَزْيَدَ لِلْإِفَادَةِ ، وَتَجِدُكَ أَنْطَقَ مَا تَكُونُ إِذَا لَمْ تَنْطِقْ، وَأَتَمَّ مَا تَكُونُ بَيَانَا إِذَا لَمْ تُبِنْ ، وَهَذِهِ جُمْلَةٌ قَدْ تُنْكِرُهَا حَتَّى تَخْبَرَ ،وَتَدْفَعَهَا حَتَّى تَنْظُرَ."

وهذا كلام بليغ من كلام عبد القاهر الجرجاني في بلاغة الحذف وجماله ومحاسنه، وممَّا يدل على أنَّه أبلغ الكلام: اشتهاره في بابه، وتناقل العلماء له ،وإعجابهم به، فمَّمن نقل كلامه كما هو من المتقدمين: ضياء الدين ابن الأثير (ت 637 هـ) ،في كتابه الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام

[1]- ينظر: أبو منصور الثعالبي، الإعجاز و الإيجاز، ص 47.
[2]- ينظر: أبو منصور الثعالبي، خاص الخاص، ص 98.
[3]- ينظر: أبو منصور الثعالبي، لباب الآداب، ص 126.
[4]- ينظر: محمد بن أيدمر المستعصي، الدر الفريد و بيت القصيد، ج7، ص 486.
[5]- محمد بن الحسن الحاتمي، حلية المحاضرة، ج1، ص 376.

والمنثور[1] ، وضياء الدين أبو السعدات المعروف بابن الشجري (ت 542 هـ)[2] ، كما ذكره جمع من المتأخرين في كتبهم عند كلامهم على بلاغة الحذف ومحاسنه وفوائده .

وهذا النَّقل منهم لكلامه يتحقق فيه ما قاله هو في أبلغ الكلام، مبيِّنا بعض صفاته: " وكذلك السبيل في المنثور من الكلام ، فإنَّك تجد فيه متى شئت فصولا تعلم أن لن يستطاع في معانيها مثلها... ومن أخَصِّ شيء بأن يطلب ذلك فيه: الكتبُ المبتدأة الموضوعة في العلوم المستخرجة ، فإنَّك تجد أربابها قد سبقوا إلى ضرب من اللفظ والنظم أعيا من بعدهم أن يطلبوا مثله ، أو يجيئوا بشبيه له ،فجعلوا لا يزيدون على أن يحفظوا تلك الفصول على وجوهها ،ويُؤَدُّوا ألفاظهم فيها على نِظامها وكما هي"[3] ، وعلى هذا فإنَّ نقل ضياء الدين ابن الأثير ،وابن الشَّجري لكلامه إشارة منهما إلى أن كلامه أبلغ ما قيل في معناه في نظرهما.

38-الحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ فِي كُلِّ زَمَانِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ العِلْمِ، يَدْعُونَ مَنْ ضَلَّ إِلَى الهُدَى،وَيَصْبِرُونَ مِنْهُمْ عَلَى الأَذَى،يُحْيُونَ بِكِتَابِ اللهِ المَوْتَى،وَيُبَصِّرُونَ بِنُورِ اللهِ أَهْلَ العَمَى،فَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ لِإِبْلِيسَ قَدْ أَحْيَوْهُ،وَكَمْ مِنْ ضَالٍّ تَائِهٍ قَدْ هَدَوْهُ ، فَمَا أَحْسَنَ أَثَرَهُمْ عَلَى النَّاسِ ،وَأَقْبَحَ أَثَرَ النَّاسِ عَلَيْهِمْ .

هذه خطبة موجزة من أبلغ الكلام في بابه، وهي للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في مقدمة كتابه الرد على الزنادقة والجهميَّة، ويتحقَّق فيها ضابط اشتهارها في بابها، ونَقْلِها كما هي في كثير من الكتب والخطب والمواعظ والدروس ، قال ابن القيم رحمه الله ذاكرًا شُهرة هذه الخطبة في بابها :" الذين قال فيهم الإمام أحمد بن حنبل في خطبته المشهورة في كتابه الرد على الزنادقة والجهمية"[4] ، وشُهرتها دليل على بلاغتها ،ولو وُجد أبلغ منها لاشتَهر كما اشتَهَت أو أكثر ، لاسيما إذا كانت شُهرتها بين أهل العلم والمعرفة بالعربية وغيرها.

[1]- ينظر: ضياء الدين ابن الأثير، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام و المنثور، تح: مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي، دمشق، سوريا، د.ط، 1375هـ، ص 124.

[2]- ينظر: ابن الشجري، أهالي ابن الشجري، تح: محمود محمد الطناجي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1413هـ، 1991م، ج1، ص 84.

[3]- عبد القاهر الجرجاني، الرسالة الشافية، ص 140.

[4]- ابن القيم الجوزية، العلام الموقعين عن رب العالمين، تح: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ، 1991م، ج1، ص 7.

ومِمَّا يدُل على بلاغتها، وأنها أبلغ من غيرها استحسان أهل العلم الكبار لها، من أمثال ابن تيمية ،وتلميذه ابن القيم رحمهما الله ، فقال ابن تيمية في كتاب النُّبوات :" ولقد أحسن الإمام أحمد في قوله في خطبته ، وإن كانت مأثورة عمَّن تقدم"[1] ثم ذكر قول الإمام أحمد هذا ، وصدَّر قوله باللام التي تفيد التوكيد، و(قد) التي تفيد التحقيق، مما يدُلُّ على جزم ابن تيمية بحُسن قول الإمام أحمد ، وقال ابن القيم متعجِّبا من حسن كلام الإمام أحمد هذا:" وما أحسن ما قال الإمام أحمد في خطبة كتابه الرد على الجهمية"[2] ، وهذا الاستحسان دليل على أنها أبلغ ما قيل في معناها.

وقال عبد العزيز الرَّاجحي مبيِّنا شهرة هذه الخطبة ،ومبيِّنا جلالة قدرها لفظا ومعنى، في مَعرِض إثبات هذه الخطبة للإمام أحمد:" وهي خطبة عظيمة ،ما زال العلماء يتناقلونها في كتبهم ،ويستشهدون بها ، كشيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– وغيره من أهل العلم ، وكثير من أهل العلم يستشهدون بهذه الرسالة ، ويقولون قال الإمام أحمد.... ويسردونها ، فهي خطبة عظيمة. فاستشهاد العلماء من أهل السنة والجماعة، ونقل هذه الرِّسالة في كتبهم أيضا ،من الأدلة التي تُثبِت نِسبَة هذه الرسالة للإمام أحمد رحمه الله."[3] فشهرتها بَلَغَت الآفاق، خاصَّة بين أهل العلم ،ولو وجدوا أبلغ منها لأحلُّوها مَحلَّها ،ولاستبدلوها بها.

وممن أشاد بهذه الخطبة من المتأخرين ،وذَكر ما يدل على أنَّها أبلغ ما قيل في بابها فؤاد بن عبد العزيز الشَّلهوب ،في كتابه صيد الكتب فقال :" ولعل خطبة الإمام أحمد في كتابه (الرد على الزنادقة والجهمية)، فيها بيان لبراعة الاستهلال، وحُسن البيان ، وكان حقها أن تكتب بماء الذهب"[4] ، وما ذلك إلا لأنها أبلغ ما قيل في معناها ، وقد أَبدَع فيها الإمام أحمد رحمه الله أيَّما إبداع ،إلى درجة أنْ يَستحسِنَها كلُّ من سمعها ،وبذلك أَمكَن تطبيق منهج التذوق عليها بسهولة، ليجزم القارئ لها أنها أبلغ

[1]– أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، النبوات، تح: عبد العزيز الطويان، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1420هـ، 2000م، ج1، ص 2.

[2]– ابن القيم الجوزية، طريق الهجرتين و باب السعادتين، دار القلم، الدمام، السعودية، ط2، 1414هـ، 1994م، ص 522.

[3]– عبد العزيز الراجحي، شرح الرد على الجهمية، الشاملة 3، ص 14.

[4]– عبد العزيز الشلهوب، صيد الكتب، المكتبة الشاملة3، ص 2.

ما قيل في بابها، لتتحقق فيها ثلاثة ضوابط هي:ضابط اشتهارها في بابها ، وضابط قول العالم المعتبر ،وضابط التذوُّق .

39- لَقَدْ عَزَّى رَبِيعَةَ أَنَّ يَوْمًا عَلَيْهَا مِثْلَ يَوْمِكَ لَا يَعُوُد .

وهذا بيت آخر من أبلغ الكلام ،وهو أجود ما قيل في معناه ، وهذ البيت لأبي محمد التَّيمي في يزيد بن مزيد ، وهذا البيت من أشهر الأبيات التي ذكرها الأدباء والبلغاء ، فيتحقق فيها ضابط اشتهارِها في بابها ، قال ابن خلِّكان في كتابه وفايات الأعيان عن هذا البيت :" وهذا البيت الأخير قد استعمله الشعراء كثيرا"[1]، أي قد اخذوا معناه أومبناه، وضمَّنوه شِعرهم ،وما هذا إلا لبلاغته وجودته.

وممَّن جزم صراحة أن هذا البيت من أبلغ الكلام الأصمعي ، كما نقله عنه المعافى بن زَكريَّا في كتابه الجليس الصالح الكافي والأنيس النَّاصح الشَّافي، فَسَاقَ بسنده إلى الأصمعي:" قال: جَهِدَت العرب أن تقول مثل هذا البيت فما قدرت."[2] وهذا منه تفضيل له على الشعر كلِّه، وهذا يدل على قدر البلاغة التي يَتضمَّها هذا البيت ، ولهذا كان هارون الرشيد معجبا بهذه القصيدة كما، نقله عنه عز الدين ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ قائلا :" وكان الرشيد إذا سمع هذه المرثية بكى ، وكان يستجيدها ويستحسنها."[3] وهذا منه دليل على أن هذا البيت أبلغ ما قيل في بابه، لأنه عربي فصيح، وعالم بالعربية، وكثير سماع الشِّعر بحكم منصبه في الخلافة .

40- أَكُرِّ عَلَى الكَتِيبَةِ لَا أُبَالِي أَحَتْفِي كَانَ فِيهَا أَمْ سِوَاهَا .

وهذا بيت آخر من أبلغ الكلام ،وهو من أبلغ ما قيل في معناه كما ذكر أهل العلم ، وهو للصحابي العباس بن مرداس رضي الله عنه في الشجاعة والأقدام ، وتواتر النقل عن العلماء والبلغاء أن هذا البيت أبلغ ما قيل في بابه ، فذكر محمد بن الحسن الحاتمي في حلية المحاضرة عن الأشرم عن أبي

[1]- أحمد بن محمد بن خلكان، وفيات الأعيان و أنباء الزمان، دار الثقافة، عمان، الأردن، د.ط، 1968م، ج8، ص 179.

[2]- المعافى بن زكريا، الجليس الصالح الكافي و الأنيس الناصح الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ، 2005م، ص 287.

[3]- عز الدين ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ، 1997م، ج5، ص 341.

عبيدة أَنَّه قال :" أحسنُ بيت قيل في الشجاعة قول عباس بن مرداس السُّلمى- الوافر-"[1] وذكر هذا البيت ، وفضَّلَه في موضع آخر أيضا، وذلك بذكره تحت عنوان: " أشجع بيت قالته العرب"[2] ،وذِكْرُه هذا البيت في هذا الموضع دليل على أنه يرى أنه أبلغ ما قالته العرب قاطبة، في باب أكثرت فيه من الشعر، مما يدل على مبلغ بلاغة هذا البيت .

وممن فضل هذا البيت على غيره أبو الهلال العسكري في كتابه ديوان المعاني، فقال ناقلا عمن قبله :" وقالوا أشجع بيت قالته العرب قول عبَّاس بن مِرداس السلمي."[3] هذا هو رأي أبو هلال العسكري، ورأي من سبقه من العلماء الذين نقل عنهم هذا القول ، ومنهم أيضا نور الدين اليوسي في كتابه المحاضرات في اللغة والأدب فقال :" أشعر بيت قالته العرب قول العباس بن مرداس"[4] وذكر هذا البيت ، وكلامه هنا عام، وكأنَّه يُفَضِّل هذا البيت مطلقا، ولكن يقيد هذا العنوانُ الذي ذكره تحته وهو قوله "أشجع بيت قالته العرب"،فيكون معنى قوله (أشعر بيت) هنا أي أشعر بيت في الشجاعة ، ومن المتأخرين عبد الرحمن البرقوقي في كتابه الذخائر والعبقريات (ت 1363 هـ) ، فقال :" وقالوا: أشجع بيت قالته العرب قول العباس بن مرداس"[5] وذكر هذا البيت.

وممن ذكر هذا البيت من العلماء الذين عُنوا بجمع أبلغ الكلام في كتبهم ، محمد بن أيدمر المستعصي في كتاب الدر الفريد وبيت القصيد[6] ، وابن قتيبة الدينوري في عيون الأخبار ، ذكره في فصل الأبيات التي لا مثيل لها[7] .

وممن حكم على هذا البيت بالجودة والتفرد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك فيما ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق، أن عمرو بن معدي كرب دخل على عمر بن الخطاب ،فقال عمر

[1]- محمد بن الحسن الحاتمي، حلية المحاضرة ، ج1، ص 352.
[2]- المرجع نفسه، ج1، ص 352.
[3]- أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، ج1، ص 110.
[4]- نور الدين اليوسي، المحاضرات في اللغة و الأدب، ص 187.
[5]- عبد الرحمن البرقوقي، الذخائر و العبقريات، ج2، ص 215.
[6]- ينظر:محمد بن أيدمر المستعصي، الدر الفريد و بيت القصيد، ج3، ص 373.
[7]- ينظر: ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ج2، ص 207.

يا عمرو أخبرني من أشجع العرب، قال كنَّا يا أمير المؤمنين ستة فرسان لا يعادلنا أحد من العرب ، وكان أشجعنا العباس بن مرداس السلمي ، قال وكيف حكمت له بذلك، وعلمته؟ قال علمته بأشعار قلناها في حروبنا ، قال هات ما قلت أنت وما قال هؤلاء ...و قال العباس بن مرداس :

أشـــــد على الكتيبـــــة لا أبالـــــي أفيهـــا كان حتفـــــــــي أم سواها

فكان هذا أشجعنا ، فقال: "صدق يا عمرو."[1] فاستشتهد عمرو على شجاعة العباس بقول هذا البيت، وصدَّقه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهذا يدل على بلاغة هذا البيت وجودته.

ومن الخلفاء المعجبين بهذا البيت، والمفضلين له عبد الملك بن مروان ، فقد ذكر عنه ابن حجر العسقلاني في الإصابة في تمييز الصحابة أنه سأل " جلساءَه: من أشجع الناس في شعره؟ فتكلموا في ذلك ، فقال:" أشجع الناس العباس بن مرداس في قوله :

أكـــــرُّ على الكتيبـــــة لا أبـــــــالي أحتـــــفي كـــــــان فيـــــــها أم سواها."[2]

وهذا الحكم من عبد الملك يدل على بلاغة هذا البيت ،وتفرُّده على غيره إذ كلُّ من قال شعرا في هذا الباب إنما أراد إثباتَ أنه أشجع الناس ، ولم يتمكن أحد من إيصال هذا المعنى كاملا بتمامه إلى السامع إلا العباس بن مرداس في هذا البيت ، فهذا وجه كونه أبلغ بيت في معناه من قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقصة عبد الملك بن مروان. .

[1]- ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج26، ص 426.

[2]- ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ، ج3، ص 513.

الفصل الثالث

1-لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ .

هذه الكلمة هي كلمة التوحيد، وهي كلمة من أبلغ الكلام وأجوده و،أحسنه وأكثره بركة،وأوسعه فائدة ،وأعظمه عائدة،ولمعرفة شيء من أسرار بلاغتها نقف على مكوّناتها وأجزائها، وعلى العلاقة بينها، وأول هذه المكوّنات هو الصوت، فالصوت أدق مكوّنٍ للجملة وأصغرها ، وما يلاحظ في هذه الكلمة الشريفة أنها مكونة من أربعة أصوات فقط هي: الهمزة والألف واللام والهاء وبتكرارها فإن هذه الجملة تتكون من خمسة عشر صوتا صوتان في (لا) وأربعة في (إله) وأربعة في (إلا) وخمسة في (الله) ،فهي أربعة أصوات مكررة خمسة عشرة مرة مما يجعل فيها سهولة بالغة في نطقها فاللام تكرر ست مرات والألف أربع مرات والهمزة ثلاث مرات والهاء مرتين .

أما مخارج هذه الأصوات الأربعة فاللام مخرجه من اللسان وبالتحديد "فاللام تخرج من أدنى حافة اللسان إلى منتهاها مع ما يحاذيه من لثة الأسنان العليا والأنياب اليمنى ، أو من اليسرى ، ومن اليمنى أيسر وأكثر استعمالا ومن اليسرى أصعب وأقل استعمالا ،ومنهما مما أعز وأقل استعمالا"[1] ويتضح من هذا أن مخرج اللام من أوسع المخارج وأسهلها في النطق.

وأما مخرج الألف فهو من الجوف فالألف المدية المفتوح ما قبلها مزجها الجوف هي وسائر حروف العلة المعروفة. وهي أصوات ليس لها حيز محقق ومحدد تنتهي إليه كباقي الحروف. بل تنتهي بانتهاء الصوت، لهذا سميت بالهوائية لأن الهواء ينتشر في الفم حال النطق بها حتى يمر على جميع المخارج مما جعل في نطقها سهولة ويسرا فلا تحتاج إلى كبير جهد في التلفظ بها [2].

وأما مخرج الهمزة فهو من أقصى الحلق وهو صوت عميق وتتميز بالقوة وكذلك حرف الهاء من نفس مخرج الهمزة ولكن بعدها مباشرة فأقصى الحلق " منه تخرج الهمزة فالهاء "[3] فمنهما مخرجان متجاوران.

---

[1]- محمود علي بسة ،فتح المجيد شرح كتاب العميد في علم التجويد ،دار العقيدة ،القاهرة ،مصر ،ط1 ،1425هـ ،ص55.

[2]- ينظر: عويض بن حمود العطوي ،بلاغة كلمة التوحيد "لا اله إلا الله" ،مجلة العلوم العربية ، ع23 ،ربيع الأخر 1433هـ ،مارس 2012م ،عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ص144 -145.

[3] - محمود علي بسة ،فتح المجيد شرح كتاب العميد في علم التجويد،ص53.

أما صفات هذه الحروف فاللام تتصف بست صفات وهي الجهر والتوسط والاستفال والانفتاح والإذلاق والانحراف[1] ،وبهذا يتضح أن اللام صوت متوسط بين القوة والضعف ، وأنه أوسع الحروف مخرجا... لذا فهو من أوضح الحروف وأظهرها بالإضافة إلى أنه من الحروف الذلقية وهي حروف تمتاز بالوضوح الصوتي وبما أن حرف حرف اللام هو أكثر الحروف تكرارا في هذه الكلمة وهو دال على السهولة مما يتناسب مع سهولة كلمة التوحيد ويسرها[2].

وأما الألف فإنها تتصف فهو مثل باقي حروف المد يتصف بخمسة صفات وهي الجهر والرخاوة والاستفال والانفتاح والإصمات[3] ،" وإذا اعتبرانا صفة الخفاء فيكون اتصافها بست صفات والواجب اعتبار هذه الصفة ،وهي بهذا تكون صوتا ضعيفا."[4] وقد تكرر أربع مرات في هذه الكلمة مما يزيد من سهولتها ويسر النطق بها.

وأما الهمزة فتتصف هي الأخرى بخمس صفات وهي الجهر والشدة والاستنفال والانفتاح والإصمات[5] ، "وقد ارتبط معنى الهمزة بالنبر أو الضغط أي أنه دليل على وظيفة ، قبل أن يكون دليلا على صوت لغوي ."[6] فهو صوت يمنع الظهور والإبانة للأصوات التي تجاوره لذلك تصدرت ثلاث كلمات من أصل أربعة في هذه الكلمة المباركة فجاءت كلمات تجمع بين السهولة في النطق والظهور والسطوع الصوتي أيضا.

أما صفات آخر حروف هذه الكلمة فهو حرف الهاء فهي خمس أيضا: الهمس والرخاوة والاستفال والانفتاح واللإصمات[7]، وإذا اعتبرنا صفة الخفاء فتكون صفاتها ست صفات ،فهي حرف سهل لطيف " وقد جاء في كلمة التوحيد بعد المد . وفي آخر الكلمة فيكون النطق بها ظاهرا، كما أنها تكون محل الراحة بالوقف."[8]

[1]- ينظر: محمود علي بسة ،فتح المجيد شرح كتاب العميد في علم التجويد ،ص70.
[2]- ينظر: عويض بن محمود العطوي ،بلاغة كلمة التوحيد "لا اله إلا الله" ،ص143.
[3]- ينظر: محمود علي بسة ،فتح المجيد شرح كتاب العميد في علم التجويد ،ص70.
[4]- عويض بن محمود العطوي ،بلاغة كلمة التوحيد "لا اله إلا الله" ،ص145.
[5]- ينظر: محمود علي بسة ، فتح المجيد شرح كتاب العميد في علم التجويد ،ص69.
[6]- عويض بن محمود العطوي ،بلاغة كلمة التوحيد "لا اله إلا الله" ،ص146.
[7]- ينظر: محمود علي بسة ، فتح المجيد شرح كتاب العميد في علم التجويد ،ص70.
[8]- عويض بن محمود العطوي ،بلاغة كلمة التوحيد "لا اله إلا الله" ،ص147.

فهي حرف سهل لطيف ومع مده يضاف إليه الظهور والإبانة الصوتية إضافة إلى الراحة الصوتية التي يجدها المتكلم بها عند إتمام النطق بها.

ومما سبق يتضح جليا أن النطق بهذه الكلمة يشمل اللسان والحلق والجوف مع توزيع الحروف على هذه المخارج بشكل عجيب " فالصوت اللساني اللأشمل في المخرج هو اللام وقد شكل ما يقارب نصف حروف الكلمة الشريفة ،وهذا يعني أن صوت اللام تكرر نطقه بما يقارب النصف كما نجد في المقابل أن المخرج الذي استحوذ على نصف مخارج الكلمة الشريفة هو الحلق ، وجاء منه في الكلمة الشريفة أعمق أصواته : الهمزة والهاء ، ثم نجد الألف في كل كلمة منها وهي تمتد لتشمل كل المخارج ، فنحن إذا أمام توازن صوتي في الصوت والمخرج"[1] وهذا ما يجعل هذه الكلمة الشريفة سهلة النطق مع وضوح وإبانة.

أما في ترتيب تكرار الحروف فهناك أيضا تناسقا عجيبا وترتيبا بديعا " فهي تتنامى في الموقع ،فصوت (اللام) وقع أولا في بداية الكلمة في (لا) ثم أصبح ثانيا في (إله) ثم ثانيا وثالثا في (إلا) ، ثم ثالثا ورابعا في لفظ الجلالة (الله) ، كما نجد صوت الألف ورد ثانيا ، ثم ثالثا، ثم رابعا ، وصوت الهمزة ورد أولا في كل الكلمات إلا (لا) فلم يرد فيها أصلا ، وصوت الهاء ورد في كلمتين فقط وهما الاسمان (إله) و(الله) ، وقد ورد في آخر تلك الكلمات،"[2] مع وروده في الكلمة الثانية ثم الرابعة بشكل متناوب في تناسق معجز ومحير.

أما كلمات هذه الكلمة المباركة فهي أربع كلمات حرفان واسمان ومع كل اسم جاءت أداة (حرف) وهي (لا) و(إلا) و(إله) و(الله) ،فأما (لا) فهي النافية للجنس "وهي قطعا أقوى أدوات النفي في بابها ،لأنها لا يشاركها فيه أداة أخرى ،ومعلوم أن (لا) النافية للجنس تفيد نفي الخبر عن الجنس الواقع بعدها نفيا عاما ،أي نفي جميع أفراد الجنس على سبيل الاستغراق ،لا على سبيل الاحتمال...والنفي بها أبلغ من النفي بالفعل"[3] وهذا وهذا هو المناسب في هذه الكلمة لوجود آلهة مزعومة يعبدها المشركون وهي كثيرة ومتنوعة، تناسب النفي بهذه

[1]- عويض بن محمود العطوي ،بلاغة كلمة التوحيد "لا اله إلا الله" ،ص147.
[2]- المرجع نفسه، ص147.
[3]- المرجع السابق ،ص158.

الأداة من جهة ومن جهة أخرى تعظيم التوحيد وتعظيم النهي عن الشرك إذ جاء نفي المعبودات سوى الله تعالى بأقوى أداة نفي في اللغة.

أما كلمة (إله) فهي من أصل (أله) أي عبد قال ابن فارس "(أله) الهمزة واللام والهاء أصل واحد وهو التعبد ،فالإله الله تعالى ،وسمي بذلك لأنه معبود ويقال تأله الرجل إذا تعبد قال رؤبة:

لله دَرُّ الغَانِيَـــــــــــــــاتِ المدَّهِ سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأَلُّهِي"[1]

ومع كون المعبود مرادفا لكلمة إله إلا أن بينهما فرقا جعل هذه الكلمة تتضمن لفظة إله دون لفظة معبود ،والفرق بينهما أن الإله هو الذي يألهه القلب بكمال الحب والتعظيم والخوف والرجاء وأما المعبود فإنها تدل على معنى اللين و الخضوع أكثر من (أله) لهذا جاء لفظ (الإله) دون لفظ (المعبود) في هذه الكلمة الشريفة لأن القصد هو نفي عبادة غير الله تعالى وهو التأله وهو صرف أي عبادة لغير الله مهما كانت حتى وإن لم تصل إلى درجة الذلة والخضوع التي هي أثر من آثار التأله[2].

وقال أبو هلال العسكري مفرقا بينهما أن الإله هو الذي يحق له العبادة وليس كل معبود يحق له العبادة فالأصنام معبودة والمسيح عليه السلام معبود ولا يحق لهم يعبدوا من دون الله[3]، لذلك فسرت لفظة (إله) في هذه الكلمة كلمة التوحيد بكلمتين هما (معبود بحق) وهذا التركيب وإن كان مساويا في المعنى أو مقارب لكلمة إله إلا أنه أطول منها، والفصاحة تستدعي الإيجاز والاختصار في الألفاظ ،كما أن هناك سببا آخر في اختصاص كلمة التوحيد بلفظة (إله) دون لفظة (معبود) وهو أن لفظة (إله) هي التي كان يطلقها المشركون على معبوداتهم قال الله تعالى حاكيا قوالهم:﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝﴾ [4] فناسب أن ينصب النفي عليها ليكون أبلغ في إبطال دعواهم واعتقادهم الباطل فيها[5].

[1]- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج1، ص127، مادة (أله).

[2]- ينظر: عويض بن محمد العطوي ،بلاغة كلمة التوحيد لا اله إلا الله ،ص160 – 161.

[3]- ينظر: أبو هلال العسكري ،الفروق اللغوية ،تح: محمد إبراهيم سليم ،دار العلم و الثقافة للنشر والتوزيع ،القاهرة ،مصر ،د.ط ،د.ت ،ص185.

[4]- سورة ص، الآية 5.

[5]- ينظر: أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص185.

أما الكلمة الثالثة من كلمات كلمة التوحيد فهي أداة الاستثناء (إلا) وهي أم باب الاستثناء وأداته الأصلية وهي بهذا أقوى أدوات الاستثناء فاختير لأقوى الاستثناءات أقوى أدوات الاستثناء ،كما أنها تؤدي معنى لا تؤديه أداة أخرى مثل (غير) لأن اشتقاق غير من المغايرة يشعر بأن الاهتمام في هذه الكلمة بنفي المغايرة فقط ،وهذا غير مقصود إذ المقصود من كلمة التوحيد نفي استحقاق العبادة عما سوى الله تعالى لا نفي مغايرة الله تعالى عن الآية الأخرى المعبودة بالباطل[1] كما أن في لفظة (إلاَّ) من النبر لوجود الهمزة مالا يوجد في أداة الاستثناء (غير)، وغيرها من أدوات الاستثناء مما يعطي قوة في نطقها مناسبة لقوة هذا الاستثناء العظيم.

أما اللفظة الرابعة من هذه الكلمة الشريفة فهي لفظ الجلالة (الله) وهي الكلمة التي تجمع حروف الشهادة كلها ،وهو علم على الله تعالى لم يطلق على غيره ولا يسمى به غيره ، قال ابن تيمية رحمه الله :" قال الخطابي : المشركون يتعاطون (الله) اسما لبعض أصنامهم فصرفه الله إلى اللاَّت صيانة لهذا الاسم وذبًّا عنه"[2] فصارت كلمة (اللاَّت) مكتوبة بالتاء المفتوحة حتى يوقف عليها بالتاء، فلا تشبه اسم (الله) حتى في الوقف عليها.

وذكر الفيروز أبادي أن لهذا الاسم خصال كثيرة جدا ،وخصائص امتاز بها رَبَتْ عن المائة والعشرين خصلة ثم قال بعد أن ذكرها :" هذه مائة و عشرون ونيف خصلة ،بعضها في صفات الربوبية، وبعضها في خصال العبودية ،وبعضها قهر أهل الضلال ، وبعضها ملاطفة أهل الكمال ،وبعضها تفصيل الأحوال المنسوبة إلى حضرة الجلال"[3] ، إضافة إلى الخصائص اللغوية ،والصوتية كاحتوائه على صوت الألف المفخمة التي لا يوجد في أي كلمة غيرها ،وعدم احتوائه على الحروف الشفوية مما يسهل النطق بها دون تغير ملامح الوجه ،ودون أن يشعر بذلك من يشاهد المتكلم و غيرها من الخصال.

وختام كلمة التوحيد الشريفة بهذا اللفظ العظيم (الله) مناسب غاية المناسبة وذلك لما تحويه هذه العبارة الشريفة من العظمة والشرف وكذلك لفظ الجلالة (الله) ،" وبهذه المهابة والعظمة تختم كلمة التوحيد ،ويقف

[1]- ينظر: عويض بن محمود العطوي ،بلاغة كلمة التوحيد لا اله إلا الله ،ص 163- 164.

[2]- أحمد بن عبد الحليم ابن تيمة ،مجموع الفتاوي ،تح: أنور الباز- عامر الجزار ،دار الوفاء ،مصر ،ط3 ،1426هـ ،2005م ،ج27 ،ص358.

[3]- مجد الدين الفيروز أبادي ،بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ،القاهرة ،مصر ،د.ط ،1416هـ ، 1996م ،ج2 ،ص30.

الصوت فيها على هذا اللفظ الجليل (الله) ليكون هو آخر ما يستقر في القلب ،وينطق به اللسان"[1] وذلك لسهولة النطق بهذه الكلمة من جهة ،ومن جهة أخرى لما تحويه من خصائص ومميزات لا توجد في غيرها.

أما من الناحية التركيبية ،فقد كثرت المؤلفات في إعراب هذه الكلمة الشريفة وكان الاتفاق على أغلب الإعراب مع خلاف يسير في إعراب بعض الكلمات ، فـ(لا): هي لا النافية للجنس تعمل على إن ولا تدخل إلا على النكرات ،و(إله) اسمها مبني على الفتح في محل نصب ،وخبرها محذوف لعدم إمكان جعل (الله) هو الخبر وذلك لأن من شروط اسمها وخبرها أن يكونا نكرة ،والله هو أعرف المعارف[2] ،وعلى هذا فإن الخبر يقدر إما مفرد أو شبه جملة أو جملة فعلية أو جملة اسمية ،وهذه هي أقسام الخبر الأربعة ،فنقول إن الخبر المقدر هو حق أو بحق أو يستحق أو مستحق ، أما (إلا) فهي أداة استثناء ، والله : بدل من الخبر المحذوف أو هو بدل من الضمير المستتر في الخبر المحذوف وهذا أدق.

وقد يقول قائل أن هذه الكلمة من شأنها الوضوح والبساطة ،والحذف قد يشكل على بعض الناس أو يكون فيه إبهام لهم ،والجواب على هذا أن الحذف يكون فيه هذا الإشكال إذا لم يؤمن اللَّبس وأما إذا امن اللَّبس فلا إشكال ،كما أن الحذف هنا ظاهر من جهة المعنى المجمع عليه بين المسلمين من كون كلِّ إله دون الله فهو باطل ،ومن الجهة النحوية في كون خبر ليس لا يكون إلا نكرة كما سبق ،فإذا كان معرفة عُلِم أن هناك حذف يدركه كل من له شيء من البصر بالعربية ونحوها.

وإلى عدم تقدير المحذوف ذهب جماعة من العلماء بناء على أن (إن) تعمل في المعرفة[3] فيكون إعراب كلمة التوحيد على نحو ما سبق إلا في كلمة (الله) فيكون إعرابها خبر لا النافية للجنس ،وقد ينازع في جواز جعل خبر لا النافية للجنس معرفة، وعلى فرض صحة هذا الإيراد فهذا" أمر هين في مقابل وضوح الدلالة على القول بعدم التقدير والحذف،"[4] ولأن فتح باب التقدير يفتح باب الخلاف ويعظِّمه في هذه الكلمة ذات المعنى الحساس الذي

[1]- عويض بن محمود العطوي ،بلاغة كلمة التوحيد لا اله إلا الله ،ص170.

[2]- ينظر: عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل ،شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ،تح: محي الدين عبد الحميد ،دار التراث ،القاهرة ،مصر ،ط20 ، 1420هـ ،1980م ،ج1 ، ص314.

[3]- ينظر : المرجع نفسه ،ج1 ،ص315.

[4]- عويض بن إبراهيم العطوي ،بلاغة كلمة التوحيد لا اله إلا الله ،ص176.

يتوقف عليه إيمان وكفر ، فسدُّ هذا الباب أولى وأحرى ،خاصة عند بُعْدِ الناس عن الإسلام الصحيح واللغة العربية السليمة ،فكان الأولى إجراء الكلام على ظاهره ،والإعراض عن هذا الإضمار[1].

أما الأسلوب الثاني الموجود في كلمة التوحيد فهو أسلوب القصر وهو أقوى الطرق لإظهار دلالة هذه الكلمة الشريفة وهو تفرد الله بالإلوهية ونفي الإلوهية عما سواه، وكلا المعنيان مطلوب شرعا قال تعالى :﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾"[2] ،فلا يحسن الاقتصار على أحد المعنيين دون غيره كأن يقال مثلا (الله إله) فإن هذا لا يفي بالغرض من جهة كون هذا التركيب غير نافٍ للألوهية عما سوى الله تعالى ،قال الطاهر بن عاشور في كلام له عن أسلوب الحصر :" ولكن عدل إلى جملتي نفي وإثبات لأن مفاد كلتا الجملتين مقصود ،فلا يحسن طي إحداهما ،وهذا من الدواعي الصارفة عن صيغة الحصر إلى الإتيان بصيغتي إثبات ونفي"[3] ،فهذه الصيغة تؤدي مالا تؤديه صيغة الإثبات وحدها وأقوى صيغ الحصر هذه الصيغة ، صيغة النفي والإثبات ،لذا جاء التعبير على أعظم حصر وأجلِّه بأقوى صيغة مؤدية لهذا المعنى ،إضافة إلى القوة الصوتية في كلمة (إلاَّ) المناسبة لهذا المقام الشريف العظيم.

وبعد هذا العرض الموجز لشيء من بلاغة كلمة التوحيد لا إله إلا الله فإننا نجد الإعجاز والعظمة بادية في هذه العبارة مما جعلها أبلغ الكلام' فمن ذلك التناسب الصوتي الدقيق من حيث الحروف التي تشكل هذه الكلمة والتي لا يوجد فيها أي حرف من الحروف الشفوية ،فيمكن للذاكر أن يتكلم بها بكل يسر ودون أن يشعر به أحدٌ تنبيها على الإخلاص في ذكر الله ،وكذلك ترتيب هذه الحروف في سياق بديع عجيب ،إضافة إلى انتقاء أقوى الكلمات في الدلالة على المعاني وأُمَّاتِ الأبواب في كل ما وجد في هذه الكلمة الشريفة، إضافة إلى أسلوب القصر الذي يناسب المعنى الذي سيق من أجله ،كل هذا في تناسق فريد وألفاظ وجيزة تجعل النطق بها مع عقل معناها من أيسر الأمور، ليسهل على المكلفين النطق بها في كل وقت حتى في أشد الأوقات مثل وقت الاحتضار للظفر بالأجر المترتب على ذلك كله.

2-أَمَّا بَعْدُ

[1]- ينظر: عويض بن إبراهيم العطوي ،بلاغة كلمة التوحيد لا اله إلا الله ،ص176.

[2]- سورة البقرة ،الاية256.

[3]- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط ،1984م ،ج6 ،ص102.

وهذه عباة يؤتى بها في الخطب لكي يتوصل بها إلى الانتقال من المقدمة إلى العرض والموضوع ،ونحللها وفق مستويات هي:

1/- المستوى الصوتي:

تتكون هذه العبارة الوجيزة من ستة أصوات هي: الهمزة والألف والميم والباء والعين والدال ،ولا يوجد فيها أي تكرار لأي صوت ،إلا صوت الميم في الميم المشددة ،وتتوزع هذه الأصوات على أربعة مخارج هي الحلق وفيه الهمزة والعين ،والشفتان وفيهما الميم والباء ،والجوف ومنه ألف المد ، واللسان ومنه الدال[1].

وأما عن صفاتها، فالهمزة تتصف بخمس صفات هي: الجهر والشدة والاستفال والانفتاح والإصمات ،والعين مثلها في الجهر ،والاستفال والانفتاح والإصمات ويفارقه في كونه متوسط وليس شديد ،والميم مثل العين في صفاتها إلا في صفة الإصمات فهو يوافق حرف الميم و يتصف بصفة الإذلاق وأما صوت الألف فتوافق صفات الهمزة إلا في صفة الشدة ،فالألف متصف بصفة الرخاوة[2].

وهذه الأصوات تتراكب وتتجاور لكي تؤدي معاني مناسبة لمعنى هذه العبارة والمبتغى منها ألا وهو موطن الخطبة، وفصل الخطاب بين المقدمة والعرض،لذا نجدها استهلت بالهمزة وهي حرف قوي واضح وهو مناسب غاية المناسبة لهذا الموطن الذي يستدعي التنبيه وتحفيز السامع لتلقي الخطبة "وقد ارتبط معنى الهمزة بالنبر أو الضغط ،أي أنه دليل على وظيفة ،قبل أن يكون دليلا على صوت لغوي"[3] فالنبر له دور فعال في لفت الانتباه وقطع السهو وشرود الذهن المتوقع من رتابة الكلام أو طوله، أو أُلْفَتِه لدى المتلقي.

كما نلاحظ توسط حرف المد الألف هذه العبارة بثلاثة أصوات قبله ،وثلاثة أصوات بعده ،وهذا التموقع العجيب ليس عبثا، بل هو مناسب غاية المناسبة من جهتين: الأولى أن هذه العبارة تتوسط موضوعين ،وتفصل

[1]- ينظر: محمود علي بسة ،فتح المجيد شرح كتاب العميد في علم التجويد ،ص 53-56.
[2]- ينظر: المرجع نفسه ، ص69- 70.
[3]-عويض محمود العطوي ،بلاغة كلمة التوحيد لا اله إلا الله ،ص146.

بينهما وهو موضوع المقدمة وموضوع العرض، فجاءت هذه العبارة مقسومة بهذه الألف كما قَسَمَتْ هي الخطبة، ومن جهة أخرى ألا وهي تَمَكُّن الخطيب من مدِّ الألف ،ورفع صوته بها إبلاغا للسامع ،وتنبيها للمتلقي.

كما نلاحظ أن الحروف القوية جاءت في صدر هذه العبارة وفي ختامها، ونعني بذلك الهمزة والعين، الحرف الأول والحرف ما قبل الأخير، وذلك مما جعل هذه العبارة بارزة ناصعة في السمع مؤدية المبتغى منها خاصة في شَدِّ انتباه المتلقي، كما أن ختم هذه العبارة بحرف الدال وهو أحد حروف القلقلة وهي صفة مفردة من صفات الحروف ،وهي صفة تجعل الحرف "يُسمع له نبرة قوية خصوصا إن كان ساكنا"[1] وذلك لان مراتب القلقلة ثلاث فأقواها الساكن الموقوف عليه ،وينطق الحرف المقلقل إذا كان ساكنا "بحركة مناسبة للحرف الذي قبله، فإن كان ما قبله مفتوحا نحو (أقرب) كان الحرف المقلقل قريبا من الفتح"[2]، وفي هذه العبارة الحرف ما قبل الحرف المقلقل ساكن، فيُسَكَّنُ الحرف المقلقل لتزداد شدَّة قلقلته وقوة النطق به، مما يعطي فصاحة، ووضوحا في سمع المتلقي، وهو المناسب لمقام الخطبة ،والتنبيه وفصل الخطاب.

كما يمكن وصل هذه العبارة بما بعدها، وتحرك الدال، وتَخِفُّ درجة القلقة ،ولا تكون هذه العبارة ناصعة وواضحة في أذن السامع كما في الحالة السابقة حالة التسكين، وهذا بحسب المقام الخطابي وحال الخطيب ومكان الخطبة، وهذا ما يجعل هذه العبارة مناسبة لكل خطبة وموضوع ومقام خطابي[3].

2/- المستوى الصرفي والمعجمي:

تتكون هذه العبارة من كلمتين: أداة وظرف، فأما الأداة فهي (أما) وهي حرف " تفصيل وهي قائمة مقام أداةِ الشَّرط، وفعلِ الشَّرط، ولهذا فسَّرها سيبويه بمهما يك من شيء، والمذكور بعدها جواب الشرط، فلذلك لزمته الفاء."[4] فيقال مثلا أمَّا فلان فقادم،كما في قوله تعالى:﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠﴾ [5] ،فهي كلمة قامت مقام جملة

[1]- محمود علي بسة، فتح المجيد شرح كتاب العميد في علم التجويد، ص 65.
[2]- المرجع نفسه، ص66.
[3]- ينظر: المرجع السابق، ص 65.
[4]- عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج4، ص52.
[5]- سورة الضحى، الآية 10.

مما يجعل في هذه العبارة وجازة وبلاغة تناسب مقام الخطابة الذي يستدعي الاختصار، مع البساطة لتحقيق الهدف من الخطبة، وهو إيصال الفكرة إلى أذهان المستمع: قال ابن مالك مبينا قيام (أمَّا) مقام الجملة:

"أَمَّا كَمَهْمَا يَكُ مِنْ شَيْءٍ وَفَا لِتِلْوِ تِلْوِهَا وُجُوبًا أُلِفَا."[1]

أي أنها تقوم مقام (مهما يَكُ من شيء)، ولا يجوز الفصل بينهما وبين الفاء بأكثر من اسم واحد ،وهو هنا في هذه العبارة كلمة (بعد).

وأما الكلمة الثانية فهي الظرف (بعد) ،وجاء هنا مَبْنِيًا للوقوف عليه ،وهو مضاف ،وحذف المضاف إليه، أي (بعدما تقدم من كذا وكذا)، فيكون في هذه الكلمة أيضا إيجاز وبلاغة، والظروف كما هو معلوم ظروف زمان وظروف مكان، و(بعد) محتملة للزمانية والمكانية، فمن كونها ظرف زمان قوله تعالى:﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨﴾[2] ،ومن كونها ظرف مكان قولنا "منزلي بعد منزلك"، فبِحَسَبِ ما يضاف إليه يمكن أن تُصَنَّفَ (بعد)، إما ظرف زمان، وإما ظرف مكان.

3/– المستوى التركيبي:

في هذا المستوى نتعرض لإعراب هذه العبارة أولا، ثم ما يتبع ذلك من الأساليب التي تنطوي عليها هذه العبارة، فأما إعرابها فنقول: أما: حرف متضمن معنى الشرط مبني على السكون لا محل له من الإعراب ،أو نقول هي شرطية تفصيلية، و(بعد): ظرف مبني على الضم في محل نصب وهو مضاف، والمضاف إليه محذوف مع وجود معناه، وهي مبنية وأصلها أنها معربة وذلك للوقوف عليها.

ومن الأساليب الواضحة في هذه العبارة أسلوب الحذف، وهو موجود في كلا الكلمتين: (أمَّا) و(بعد)، فأما الحذف الأول فهو في قيام (أمَّا) مقام جملة (مهما يك من شيءٍ)[3]، وهذا غاية في الإيجاز الذي يرفع درجة بلاغة

[1]– محمد بن عبد الله بن مالك، ألفية ابن مالك، دار التعاون، الرياض، د.ط، د.ت، ص59.

[2]– سورة البقرة، الآية 178.

[3]– ينظر: عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج4، ص52.

الكلام، قال أبو منصور الثعالبي ناقلا عمن قبله "أبلغ الكلام ما حسن إيجازه، وقل مجازه، وكثر إعجازه."[1] فَعَدَّ حُسْنَ الإيجاز من صفة أبلغِ الكلام.

وأما الحذف في الكلمة الثانية (بعد)، فهو حذف المضاف إليه ويقدر بـ (ما قلت) ،أو بعد (ما مضى) أو غيرها، وهذا المضاف إليه المحذوف هو الكفيل بتحديد ظرفية (بعد) هنا، هل هي زمانية أم مكانية، وعلى كلا التقديرين فإن الحذف هنا يزيد من بلاغة هذه العبارة ويقوّي مناسبتها لما جُعِلت له من مقام الخَطابة.

4/- المستوى الدلالي:

تتعرض في هذا المستوى إلى دلالة هذه العبارة ،وما تحويه من معاني أو إيحاءات، فأمَّا معناها فهو: مهما يكن من شيء بعدَ ما قلت فالأمر كذا وكذا، وهذا المعنى كما هو ظاهر مناسب لمقام الفصل بين المقدمة والعرض، وكذلك التنبيه إلى ما سَيُلْقَى إلى السَّامع، إضافة إلى كسر الرَّتَابَة، وتنويع الأساليب التي من شأنها أن تنبِّه المتلقي ،مما يساعد الملقي على إيصال الفكرة إليه، كما أن هذه العبارة اكتسبت معنى تداوليا مع مرور الزمن ،ألا وهو الإعلان عن دخول الخطيب في موضوع خطبته، مما يزيد في تحفيز المتلقي على الإصغاء والانتباه، ويُقَوِّي دلالة هذه العبارة ،ويزيد من بلاغتها بزيادة أثرها على المتلقي.

3-الحَرْبُ سِجَالٌ:

هذه عبارة أخرى من أبلغ الكلام في معنى الحرب والمغالبة، وتداول الأيام على الناس، والكلام عليها وفق مستويات هي:

1/- المستوى الصوتي:

هذه العبارة مكونة من ثمانية أصوات ،تكرر فيها صوت اللَّام مرتين ،وهي: الهمزة واللام والحاء والراء والباء والسين والجيم وألف المد، وأما مخارج هذه الحروف فهي موَزَّعَة على أربعة مخارج هي: الحلق واللسان والشفتان والجوف، وكانت الهيمنة لمخرج اللِّسان، حيث كان مخرجا لأربعة أصوات هي: اللام والراء والسين والجيم، ثم يليه

[1]- أبو منصور الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، ج1، ص 37.

الحلق الذي كان مخرجا لصوتين هما الهمزة والحاء، وأما الشفتان والجوف ،فلكل منهما حرف واحد هما الباء والألف ،على الترتيب[1].

وأما صفات هذه الحروف فجاءت كلها مستفلة ومنفتحة، وغلب عليها الجهر الذي وجد في خمسة حروف من أصل ثمانية حروف، ومثله أيضا الإصمات، وتنوعت صفات هذه الحروف بين الرخاوة والشدة والتوسط[2]، وكان مبدأ هذه الجملة بصوت الهمزة ،الذي هو من أقوى الأصوات وأوضحها،و "قد ارتبط معنى الهمزة بالنبر أو الضغط، أي أنه دليل على وظيفة، قبل أن يكون دليلا على صوت لغوي"[3]، فهذا مما يعطي قوة لهذه الكلمة في مبدئها، وهو ما يناسب معناها من حيث أن ابتداء الحرب يحتاج قوة نفسية ومادية، ومن حيث أن الكلام عن المعاني القوية يستدعي الأصوات القوية، وهذا مناسب غاية المناسبة لمعنى هذه الجملة، التي تتحدث عن الصبر على الهزيمة، إذ هذا المعنى هو أحد المعنيين الوجودين في هذه العبارة، إضافة إلى نظير هذا المعنى وقسيمه، إلا وهو النصرة على المغَالِب.

وخُتِمَت هذه العبارة بحرف مد هوائي ،بعده حرف اللام، وهو صوت فيه شيء من الهدوء واللين، وهو مناسب أيضا لمعنى هذه العبارة من جهة أن إنهاء الحرب يستدعي ضبط النفس، والتروي والهدوء والحكمة والعقل، ومن جهة أن المنهزم في الحرب محتاج إلى الهدوء والسكينة ،والحلم والرَّوِيَّةِ لكي يصبر على ما أصابه من جهة ،ولكي يُصْلِح ما يمكن إصلاحه من أمورٍ مادِّية ومعنوية، ولعل هذا من الحِكَمِ التي تُسْتَخْلَصُ من إنزال الله تعالى النعاس على الصحابة رضي الله عنهم بعد هزيمة يوم أُحُد، قال الله تعالى:﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ﴿١٥٤﴾﴾[4]، فنلاحظ التناسق العجيب والبديع بين أصوات هذه العبارة البليغة ومقاصدها ومعانيها ومراميها.

2/- المستوى الصرفي والمعجمي:

[1]- ينظر: محمود علي بسَّة، فتح المجيد شرح كتاب العميد في علم التجويد،ص 55- 56.

[2]- ينظر:المرجع نفسه ، ص 69- 70.

[3]- عويض محمود العطوي، بلاغة كلمة التوحيد لا اله إلا الله، ص146.

[4]- سورة آل عمران، الآية 154.

ونتحدث في هذا المستوى على كلمات هذه العبارة ،التي تتكون من كلمتين هما: (الحرب) و(سجال)، فأما الكلمة الأولى فهي (الحرب) وهو مصدر يقع ثالثا في تصريف الفعل (حَرِبَ) وهي المقاتلة والمنازلة[1] هي اسم جامد، وأما الكلمة الثانية فهي (سِجَال) على وزن (فِعَال) وهي جمع لكلمة (سَجْل) "والسَّجْلُ هو الدَّلْوُ، ولا يكون سَجْلًا حتى يكون فيه ماء ،والجمع سِجَالٌ وسُجُولٌ."[2] وأما الفارغة فتسمى دلوا، وقيل إن السَّجْلَ هو النَّصِيبُ،[3] فتكون على ذلك من المشترك اللفظي، أو من باب الاتساع في اللغة، ولكن معنى العبارة –وإن اختلف معنى هذه الكلمة– سيبقى واحدا كما سيأتي.

3/– المستوى التركيبي:

ونقف في هذا المستوى على إعراب هذه العبارة، والأساليب التركيبية الموجودة فيها، فأما إعرابها فالحرب: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وسجال: خبرها مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، فهذه جملة اسمية مكونة من مبتدأ وخبر، جارية على التركيب الأصلي لهذا التركيب ،وهو أن يَتَقَدَّم المبتدأُ ويكون معرفةً، وأن يتأخر الخبر، وجاءت هذه العبارة بهذه البساطة التركيبية لكي تكون أسهل في الفهم، لاسيما وقد حوت إشارة في معناها ،وتشبيها يستدعي أعمال الفكر فيه للوصول إلى معناه، مع وجود المشترك اللفظي فيها مما قد يُحتاج معه إلى نظرٍ فكريٍّ أَعْمَق، فلذلك أُخْتِيرَ لها هذا التركيبَ البسيطَ، لكي لا يَشْتَغِل المتلقي بمحاولة فهم التركيب وإعمال الفكر فيه، بل يترك جُهدَه ونَظَرَهُ واستنتاجه ،لكي يستخدمه في الكشف عن معاني العبارة.

وأما الأسلوب الموجود فيها فهو أسلوب التشبيه ،وهو تشبيه بليغ، فشُبِّهَت الحرب بالسِّجال، وهي الدِّلَاءُ العظيمة المملوءة ماءً، مع حذف أداة التشبيه، ووجه الشبه، والتَّشبيه البليغ من أجود أنواع التشبيه وأبلغها، وذلك لوَجَازَته أولا، والوجازة مقرونة بالبلاغة، فكلما قلت الألفاظ مع وضوح المعنى كلما كان الكلام أرقى في سلم البلاغة، وثانيا لأنَّ وجه الشَّبَه فيه مخفيٌ غير ظاهر ،وكلما "كان وجه الشبه قليل الظهور، يحتاج إدراكه إلى إعمال

[1]– ينظر: أحمد بن محمد القيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ج1، ص127، مادة (ح ر ب).

[2]– أبو بكر ابن دريد الأزدي، جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1987م، ج1، ص175.

[3]– ينظر: أحمد بن محمد القيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج1، ص 267، مادة (س ج ل).

الفكر كان ذلك أفعلَ بالنفس، وأدعى إلى تأثُّرِها واهتزازها، لما هو مركوز في الطبع من أن الشيء إذا بَعُدَ الطلب له، والاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى، وموقعه في النفس أجَلَّ وألطف، وكانت به أَضَنّ وأَشْغَف"[1]، وهذا كله ظاهر في هذه العبارة التي قَرَنَتْ في هذا التَّشبيه بين الحرب والسِّجال، فيَسْرَح الفكر في إدراك كُنْهِ هذا الأسلوب، واصطيادِ المعنى المرادِ منه، فإذا ظَفِرَ به، كان ذلك أوقعَ في النفس ،وأبلغَ للمراد ،وهذا هو دور الكلام البليغ، وعلاماتِ أبلغ الكلام.

4/- المستوى الدلالي:

نقف في هذا المستوى على دلالة هذه العبارة ومعناها، فعبارة (الحرب سجال) معناها "سَجْلٌ منها على هؤلاء وسَجْلٌ آخر على هؤلاء،"[2] أي أن الحرب مثل الدِّلَاءِ العظيمة الكثيرة، فتارة يُسْكَبُ دلو منها على قوم، وتارة يُسْكَبُ على قوم آخرين، هذا إذا اعتبرنا معنى السَّجْلِ الدَّلْوَ العظيم المملوءِ ماءً، وأما إذا قلنا أن معنى السَّجْل هو النَّصيب فيكون معناها: مَرَّةً نصيبٌ من خيرها لنا، ومَرَّةً لغيرنا، وهو قريب من تفسير ابن الأثير لهذه العبارة حيث يقول:" أي مرة لنا ومرة علينا ،وأصله أن المسْتَقِينَ بالسَّجْلِ يكون لكل واحد منهما سَجْل."[3] فالمعنيان متقاربان ومتلازمان ،وقد يكونا متحدين، وإن اختُلِف في تفسير معنى السَّجْل.

وهذا المعنى صحيح مستقيم، وهو معنى قديم وجاء تصديقه في القرآن الكريم، فجاء هذا المعنى في آيات كريمةٍ، منها قوله تعالى:﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾[4]. والآية تتحدث عن غزوة أُحُد، وما حصل فيها من الهزيمة، وقوله تعالى:﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾ [5] أي منزلا بعد منزل وأمرا بعد أمر وحالا بعد حال[6]، وإذا كان المعنى موجودا في القرآن الكريم فهو معنى شريف جليل بلا شك، وإذا وجد هذا المعنى في كلام البشر رَفَعَ شأنَ كلامِه

[1]- أحمد بن إبراهيم الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص238.

[2]- علي بن إسماعيل بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم ،تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ، 2000م، ج7، ص273.

[3]- مجد الدين ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، 1399-1979، ج2، ص 344.

[4]- سورة أل عمران، الآية 140.

[5]- سورة الانشقاق، الآية 19.

[6]- ابن جرير الطبري، تفسير ابن جرير، ج24، ص 323.

هذا، وارتفع في رُتبة البلاغة، وإذا ضَمَّ إلى هذا شَرَفَ المبنى كان هو أبلغَ الكلامِ من كلام البشر ،وذلك لأنَّ الكلام مُكَوَّنٌ من معنى ومبنى.

ومن الآيات التي تدل على هذا المعنى أيضا قوله تعالى:﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾[1]، وهذا المعنى من كون الغلبة لا تكون دائمة ولا الهزيمة كذلك معنى يبعث في النفوس معاني جليلة، وأخلاق فاضلة منها الصبر إذا نُكِب الإنسان أَيَّةَ نكبة مهما عظمت، وأن يعلم أن الشدة بتراء فلا يَيْأَس من الفرج، وكذلك يدفعه هذا المعنى إلى العمل والجِدّ ،لكي تكون الدولة له ،والنصر حليفه فيما يأتي، كما أنَّه معنى رافع لاحتقار المنهزم، أو الاستهزاء به ،ومعنى ناهٍ عن الفخر والعجب بالنفس ،وباعثٌ للأمل وطلب الأفضل، وهو معنى يمكن تصديره لغير معنى الحرب، وأن يُوَسَّع إلى كل النكبات على الصعيد الخاص والعام، مهما جَلَّت أو صَغُرَت، كل هذه المعاني الشَّريفة تجمعها كلمتين فقط هما: الحرب سجال، مما جعل هذه العبارة أبلغ ما قيل في معناها.

4–فِي شُكْرِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ إِحْسَانِكَ شَاغِلٌ عَنْ اسْتِبْطَاءِ مَا تَأَخَّرَ مِنْهُ:

وهذه عبارة أخرى من أبلغ الكلام، ويكون الكلام عليها وفق مستويات، بُغية الوقوف على أسرار بيانها.

1/– المستوى الصوتي:

تتكون هذه العبارة من ثلاثة وأربعين صوتا، يضمها واحد وعشرون حرفا هي: الفاء والياء والشين والكاف والراء والميم والألف المد، والتاء والقاف والدال والنون والهمزة والحاء والسين، والغين واللام والعين والباء والطاء والخاء والهاء، ولكثرة هذه الحروف المتناسبة مع الطول النِّسبي لهذه العبارة، فإنَّ صفات هذه الحروف كانت متنوعة، كل صوت يُؤَدِّي ما يناسب المعنى في الكلمة، إلا أننا نلاحظ تَكرار حرف الميم والألف المد أكثر من غيرها، إضافة إلى حرف النون والهمزة اللَّذان تكررا أربع مرات ،ثم حرف التاء الذي تكرر ثلاث مرات، كما

[1]– سورة الروم، الآية 1–5.

نلاحظ ابتداء هذه العبارة بصوت الفاء، وهو حرف لَيِّنٌ ضعيف[1] ،وهذا ما يناسب مقام مخاطبة الملوك والتأدب معهم.

وأما مخارج هذه الأصوات فكانت موزعة على كل المخارج ما عدا مخرج الخيشوم، فكان لمخرج الجوف حرفان مدِّيان هما الألف والياء، ثم يليه في العدد مخرج الشفتان، وكان من نصيبه ثلاثة حروف هي: الفاء والميم والباء، ثم يليه مخرج الحلق ،وكان منه كل حروفه الستة وهي: الهمزة والهاء والعين والغين والخاء والحاء، وآخرها مخرج اللسان وكان له النَّصيب الأوفر من عدد الحروف في هذه العبارة وهي عشرة أحرف، هي: الشين والكاف والراء والتاء والقاف ،والدال والنون والسين واللام والطاء[2].

2/- المستوى الصرفي والمعجمي:

تكوَّنت هذه العبارة من اثنتي عشرة كلمة، منها أربعة حروف وفعلان وستة أسماء، فأما الحروف فهي: في وعن ومن في موضعين، وأما الفعلان فهما: (تقدم) و(تأخر)، وأما الأسماء فهي: شكر، إحسانك، شاغل، استبطاء، وما الموصولة في موضعين، وقد استهلت هذه العبارة بجار ومجرور وختمت بجار ومجرور كذلك ،مما يعطيها توازنا في مبناها وفي معناها، إضافة إلى التناظر العجيب في هذه العبارة حيث جاءت مكونة من جملتين متناظرتين الجملة الأولى (في شكر ما تقدم من إحسانك) والجملة الثانية هي (شاغل عن استبطاء ما تأخر منه) وهما متكاملتان في المعنى، فتَضُمُّ كل جملة منهما ستَّ كلمات، وكل جملة تضم فعلا واحدا وثلاثة أسماء، وحرفان مما يُكْسِب هذه العبارة حُسْنًا في المنطق ،وحلاوة في اللفظ.

وفي استعمال اسم الفاعل والمصدر في هذه العبارة مناسبة بديعة لمعناها، فأما اسم الفاعل وهو هنا (شاغل) على وزن فاعل، من الفعل الثلاثي (شَغَلَ) ،وعدل به عن توظيف الفعل، وذلك لأنَّ اسم الفاعل يفيد الثبوت، والفعل يدل على الحدوث والتجدد، وكذلك لم يَستعمل غيره من الصيغ كالصفة المشبهة مثلا، وذلك لأنَّ "اسم الفاعل يقع وسطًا بين الفعل والصفة المشبهة، فالفعل يدل على التجدد والحدوث...أما اسم الفاعل فهو أدوم

[1]- ينظر: محمود علي بسة، فتح المجيد شرح كتاب العميد في علم التجويد، ص 69 – 70.

[2]- ينظر: فن تجويد الحروف، إيمان فتحي، دار سبل السلام، الفيوم، مصر، ط1، 1433هـ، 2012م، ص 78.

وأثبت من الفعل، ولكنه لا يرقى إلى ثبوت الصفة المشبهة"[1]، فالتعبير باسم الفاعل (شاغل) أبلغ من التعبير بالفعل (شَغَلَ) في الماضي أو (يَشْغُلُ) في المضارع، وذلك لأنه في مقام المدح الذي يستدعي تعظيم عطايا الممدوح وتفخيمها، وأنَّها شاغلةٌ بكثرتها وتنوعها.

كما أنَّه لم يُوظِّف الصفةَ المشبهة ،لأنها تفيد الثبوت والدوام أكثر من اسم الفاعل[2] وهذا الممدوح لا يُدِيم إعطاء هذا المادح دون انقطاع، وإلا لما قَدِر على طلب الزيادة من العطايا، ولما صحَّ قوله (ما تأخر منه) ،ولَتَنَاقَضَ الكلامُ، فالشُّغل بالشُّكر بِقَدْر العطايا، ومن جهة أخرى لكي لا يُصَوِّر هذا الممدوحَ على أنَّه مُنشغل فقط بإعطاء هذا المادح دون، غيرها من أعمال الحكم والإمارة من قضاء وغزو وتسيير أمور الدولة، ومِثْلُه أيضا يُقَال في عن استعمال المصدر في قوله: (إحسانك)، فلم يَقُل: (ما تحسن به) ،أو(ما أحسنت به)، ليكون دلالة على ثبوته ودوامه، ولكي يتناسب مع اسم الفاعل ودلالته في قوله (شاغل)، فالإحسان الكثير يستدعي الشغل الطويل بالشكر له.

وبنحو ما قلنا هنا ،نقول في توظيف الأفعال دون أسماء الأفعال في قوله: (تقدم) و(تأخر)، فلم يقل (المتقدم) و(المتأخر) على سبيل اسم الفاعل، وذلك لأن الإحسان قد حدث ولم يَدُمْ، لذا عَبَّر بالفعل (تقدم)، ولكي يمهد بهذا المعنى اللَّطيف الخفي إلى ما يرومه من السؤال والطلب الذي أشار إليه في العبارة، وأما قوله (تأخر)، فهو من الأدب الرفيع في مخاطبة الملوك ،وذلك لأنَّ فيه وصفا خفيا له بالكرم وكثرة العطاء، تؤخذ من دلالة الفعل على الحدوث لا الثبوت، فتأخُّرُ إِحْسَانِ هذا الممدوح حادث مَرَّة واحدة، وليس ثابتا ولا لازما له، لأنَّ من أخلاقه الكريمة المعاودة للإحسان[3].

كما أن في عدوله عن استعمال الاسم الموصول (الذي)، إلى استعمال (ما) الموصولة سر آخر ،وهو كون (ما) الموصولة أَقَل حروفا، وبالتالي تكون أوجز، والبلاغة قرينة الإيجاز[4]، ولأنَّ صوت الميم صوت شفوي ،فيه لين

[1]- فاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية في العربية،دار ابن كثير،بيروت،لبنان،ط1436،1-2015، ص45-46.

[2]- ينظر: المرجع نفسه ، ص 71.

[3]- ينظر: المرجع السابق، ص 46-48.

[4]- ينظر: أبو منصور الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، ج1، ص 37.

وضعف وهدوء، وهو مناسب لمقام مخاطبة الملوك، والأدب معهم، بخلاف أصوات حروف كلمة(الَّذِي) لما فيها من القوة والشدة.

3/- المستوى التركيبي:

ونقف فيه على إعراب هذه العبارة ،وما فيها من أساليب بلاغية تركيبية، فأما إعرابها فهو على النحو التالي: في شكر:جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، ما: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، تقدم: فعل ماضي مبني على الفتح وفاعله ضمير مستتر تقديره هو، من: حرف جر مبني على السكون، إحسانك: اسم مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره وهو مضاف، والكاف ضمير متصل مبني على الفتح في محل جر مضاف إليه والجملة (تقدم من إحسانك) صلة موصول لا محل لها من الإعراب، شاغل: مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره ، وفاعله ضمير مستتر تقديره هو، عن: حرف جر، استبطاء: اسم مجرور بعن وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، ما: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، تأخر: فعل ماض مبني على الفتح وفاعله ضمير مستتر تقديره هو، منه: جار ومجرور. وجملة (ما تقدم من إحسانك) في محل جر مضاف إليه وجملة (تأخر منه) في محل رفع خبر.

أما الأساليب الموجودة في هذه العبارة أسلوب المقابلة " وهي أعم من الطباق، وذكر بعضهم أنها أخص، وذلك أن تضع معاني تريد الموافقة بينها وبين غيرها أو المخالفة، فتأتي في الموافق بما وافق، وفي المخالف بما خالف"[1]، فقابل هنا في هذه العبارة بين التقدم والتأخر ، وبين الاستبطاء ،وعدم الاستبطاء المفهوم من الجملة الأولى (في شكر ما تقدم من إحسانك) ،وهذا من الأساليب البديعة التي تُضيف إلى الكلام حلاوة وطلاوة وليونة، مما يزيد في بلاغته.

4/- المستوى الدلالي:

نقف في هذا المستوى على معنى هذه العبارة وما فيها من دلالات وإشارات جعلتها أبلغَ ما قيل في بابها، فمعناها أن إحسان هذا الممدوح وعطاياه الكثيرة جعلت هذا المادح منغمسا في شكر الممدوح عليها، حتى أنَّه لم

[1]- شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج7، ص 103.

يجد الوقت لكي ينظر المزيد من عطايا هذا الممدوح على الرغم من أنها تأخرت، فهو يجمع هنا بين مدح هذا الأمير وسؤاله المزيد من العطايا، فأما الأول وهو المدح فبصريح العبارة، وأما السؤال والاستفتاح فهو عن طريق التلميح والإشارة ،وهذا ما فَطِن له العلماء من دقيق المعنى كما قال أبو منصور الثعالبي :"لم أسمع بين الشكر والاستزادة ،في فصل أحسن وأوجز مما كتب إلى يحي بن خالد في الشكر"[1]، وغيرِه من كلام العلماء الذي مرَّ معنا في الفصل الثاني، مما جعلهم يُعجبون بها ويُفضلونها على غيرها مما جاء في معناها.

والمدح الصريح والمبالغ فيه والمؤكد والمكرر أبلغ وأحسن مما لو كان إشارة، ولهذا نرى الشعراء قد سلكوا في مدحهم للخلفاء وللأمراء هذا المسلك دون مسلك التلميح، وأما في السؤال فإنَّ أسلوب الإشارة والتلميح مُستلَمحٌ ومُستَجَادٌ عند الوجهاء والعلماء بالعربية، وذلك لما فيه من التلطُّف في السؤال وحسن الأدب والحياء من المسؤول والتعظيم له، والحفاظِ على ماء الوجه وكرامة النفس، كما أن الذي يفطن إلى هذه الإشارة ويُلبِّي رغبة صاحبها فهذا دليل على ذكائه وفطنته وحسن خلقه وكريم مناقبه ،ومن ذلك " ما روي عن امرأة أنها وقفت على قيس بن سعد، فقالت: أشكو إليك قلة الفأر في بيتي، فقال: ما أحسن ما ورَّت عن حاجتها، املئوا لها بيتها خبزا وسمنا ولحما"[2]، وهذا من بديع التعريض من كلام النبهاء والبلغاء ،وهما مما يستملح من المعاني خاصة إذا رُكِّبت في أحسن المباني.

وهذا معنى مستسقى من كلام الله تعالى في القرآن الكريم، عند قصه قصص الأنبياء الكرام، وحسن دعائهم وعظيم لطفهم في السؤال والتأدُّب فيه، قال الله تعالى عن نبييه أيوب عليه السلام:﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾[3]، فكان من حُسْنِ سؤال أيوب عليه السلام لربه أن ذكر حاله ،وَوَصْفِهِ لربِّه عز وجل، ولم يزد على ذلك بالتصريح بالسؤال، قال ابن تيمية رحمه الله:"فوصف نفسه ووصف ربه بوصفٍ يتضمن سؤال رحمته بكشف ضره، وهي صيغة خبر تضمنت السؤال، وهذا من باب حسن الأدب في السؤال والدعاء، فقول القائل لمن يعظمه ويرغب إليه: أنا جائع، أنا مريض، حُسْنُ أدبٍ في السؤال... ووصف الحاجة والافتقار هو سؤال بالحال، وهو أبلغ من جهة العلم والبيان"[4]، فالسؤال بالحال أبلغ، والتعريض مستملَحٌ، وإذا

[1]- أبو منصور الثعالبي، خاص الخاص، ص 7.

[2]- يحي بن حمزة الطالبي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1423، ج1، ص198.

[3]- سورة الأنبياء، الآية 83.

[4]- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوي، ج10، ص245.

رُكِّبَا في رَصْفٍ متين وبناء حسن وجيز كان أبلغ من غيره، كما هو الحال في عبارتنا هذه، وإذا كان المعنى موجودا في القرآن الكريم كان الكلام الذي يحوي هذا المعنى أبلغَ من غيره.

5- قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُ:

هذه عبارة أخرى من أبغ العبارات، وللوقوف على أسرار بلاغتها تقوم بتحليلها وفق مستوياتٍ هي:

1/- المستوى الصوتي:

تتكون هذه العبارة من سبعة عشر صوتا ،يَضمها اثنا عشر حرفا هي: القاف والياء والميم والتاء والكاف، واللام والهمزة والراء وألف المد والحاء، والسين والنون، وتكرَّر صوت الميم ثلاث مرات، وحرف الياء واللام والهمزة مرتين، أما صفاتها فجاءت متنوِّعة، وذلك لكثرة الحروف نسبيا، كما نلاحظ توافق بعض الحروف في كل الصفات وتطابقها ،وهي حرفا الكاف والتاء، والميم والنون[1]، كما نلاحظ ابتداء هذه العبارة بحرف القاف المجرور بعده ياء مَدِّيَة، وهو حرف قوي وواضح، وهي حرف من حروف القلقلة، وهي صفة قوية ،مما يعطي لهذه العبارة بداية واضحة وقوية في أذن السامع، مناسبة لمعنى هذه العبارة، وهو الحَثُّ الشَّديد على طلب العلم والعمل.

وأما مخارج حروف هذه العبارة فشملت المخارج الأربعة ،على تفاوت في عدد الحروف من كل مخرج، فأقلها حروفا كان مخرج الشفتان، وكان مخرجا لحرف واحد هو حرف الميم، ويليه مخرجا الجوف والحلق بحرفين لكل منهما، الألف والياء المديتان للجوف، والهمزة والحاء للحلق، وكان أكثر المخارج حروفا مخرج اللسان، الذي احتوى على سبعة أحرف هي: القاف والتاء والكاف واللام والراء والسين والنون[2] ، وكان ابتداء هذه الأصوات بمخرج اللسان ونهايتها في هذه العبارة بمخرج اللسان أيضا.

2/- المستوى الصرفي والمعجمي:

[1]- ينظر: إيمان فتحي، فن تجويد الحروف، ص 144.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 78.

نقف في هذا المستوى على كلمات هذه الجملة ومبانيها ،ومعاني المفردات، وأثر كل هذا في بلاغة هذه العبارة، وهذه العبارة تتكون من خمس كلمات، أربعة أسماء وفعل، والأسماء هي: قيمة وكل وامرئ وما، والفعل هو (يحسن)، وأول هذه الأسماء هو(قيمة)، وهو المراد بهذه العبارة ،لذا ناسب أن يُقَدَّم في اللفظ إذ هي المرادة بالمعنى، قال سيبويه في الكتاب "كأنهم أنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم"[1]، فالأهم في الكلام يكون المتصدر في اللفظ، وهذا ما ينطبق على عبارتنا هذه.

أما الاسم الثاني فهو كلمة (كلُّ) وهي من صيغ العموم " وعموم (كلّ) في كل موضع بحسبه، ويُعرف ذلك بالقرائن،"[2] وهي مضافة إلى كلمة (امرئ)، فتزيد في دلالتها على العموم المراد منها، أي كلُّ الناس جميعا ممن يمكنه طلب العلم والعمل، فالعموم في (كلّ) يُقَيَّد بالقرائن، فلو أطلقنا كليتها هنا في العبارة، لصح توجيه الذمِّ للمعذور ،وهذا لا يصح فيكون عموم كل هنا مقيد بمن يَقْدِرُ أن يكَمِّلَ نفسه بالعلم والعمل فلم يقل مثلا (قيمة الناس)، ويكون معناه هنا قريب من قول المتنبي :

" وَلَمْ أَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئًا كَنَقْصِ القَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ"[3]

فالذم هنا موجه إلى القادر على التمام وليس لغير القادر عليه.

والكلمة الثالثة هي الاسم (امرئ) ومعناها رجل، يقال:" امرئ وامران والجمع رجال من غير لفظه والأنثى امرأة بهمزة الوصل وفيها لغة أخرى: مراة."[4] وقوله هنا (امرئ) لا يقصد به الرجل دون الأنثى، بل هما مَعْنِيَّانِ كلاهما بالحكم الوارد في هذه العبارة، ولكنه خرج مخرج الغالب، لأنَّ الغالب أن الذي يوجه إليه مثل هذا الخطاب ،ويُحَفَّز على مكارم الأخلاق، ويُمْدَحُ بها ويُذَمُّ إذا لم يَتَحَلَّ بها هو الذَّكر دون الأنثى، وخروج الكلام مخرج الغالب أسلوب عربي فصيح ورد في القرآن في آيات كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ

[1]- سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1408هـ، 1988م، ج1، ص 34.

[2]- ابن أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، ط1، 1426هـ، 2005م، ص 173.

[3]- أبو الطيب المتنبي، ديوان أبي الطيب المتنبي، دار بيروت للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ط، 1403هـ، 1983م، ص483.

[4]- أحمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ج2، ص 569، مادة(م ر ء).

ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ ﴿٢٣﴾[1]، ومخْرَج الغالب لا مفهوم له، أي لا يفهم منه التَّخصيص والقصر على اللفظ الوارد في الكلام[2].

أما الكلمة الأخيرة فهي الفعل، وتَرَكَ الحُكْمَ الذي يحويه هذا الفعل في آخر العبارة ليكون أَدْعَى إلى الرُّسُوخ ،وذلك لأنه يُلْقَى إلى السامع بعد التَّشَوُّفِ والتَّشوُّقِ الذي تثيره الكلمات الأربع الأولى، فيكون الأثر في قلب السامع أبلغ وأعمق ولاسيما أن هذا الأمر – وهو أن يكون للإنسان قيمة– مما يطلبه النَّاسُ ويَسْعَوْن إليه.

3/– المستوى التركيبي:

وإعراب هذه الجملة يكون على النحو الآتي: قيمة: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره وهو مضاف، كلِّ: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره وهو مضاف، امرئٍ: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، ما: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر، يُحْسِنُ: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره ،والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، والجملة (يحسن) صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

ومن الأساليب التركيبية في هذه العبارة أسلوب الاستعارة المكنية ،وذلك على لغة المتقدمين "فالوارد في المعاجم القديمة استعمال القيمة، بمعنى الثمن، وبمعنى الثبات والقرار، وقد أجاز مجمع اللغة المصري الاستعمال المعاصر لها بمعنى الفضائل التي تقوم عليها حياة المجتمع الإنساني اعتمادا على ورود هذا المعنى في قول الجاحظ:"وقومتك فعلمت قيمتك، فوجدتك قد ناهزت الكمال" ،ولما كان وزن الأمة مرتبطا بما فيها من فضائل صارت لها سجايا ثابتة لا تتغير، فإنَّ العلاقة قائمة بين المعنيين القديم والحديث".[3] ولكن هذه العلاقة لا تجعل معنى الفضائل أصليا في معنى لفظة القيمة، وعليه فعلى لغة المتأخرين أيضا تكون من قبيل الاستعارة.

[1]– سورة النساء، الآية 23.

[2]– إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القران العظيم، دار طيبة للنشر و التوزيع، ط2، 1420هـ، 1999م، ج2، ص 251.

[3]– أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1429هـ، 2008م، ج1، ص 611.

ونقول في شرح هذه الصورة البيانية أنَّ عليا رضي الله عنه، شبَّه الإنسان بالمتاع، أو السلعة التي تُقَوَّمُ فيعطي لها قيمةً بحسبها، فحذف المشبه به، وصرح بالمشبه وأشار إلى المشبه به بلازم من لوازمه الموجود في لفظة (قيمة) ،وإضافة إلى ما في الاستعارة المكنية من فوائد بلاغية من حسن التصوير، وتقريب المعنى إلى الفهم، وابتكار معنى جديد لم يكن يخطر على بال المتلقي، فإن في هذه الاستعارة خاصة أمر زائد على هذا، يظهر من تعريف أبي هلال العسكري للقيمة إذ يقول في كتابه الفروق:" القيمة هي المساوية لمقدار المثْمَنِ من غير زيادة ولا نقصان"[1] ،فاستعمال لفظة (القيمة) هنا استعمال دقيق، يُؤَيِّد المعنى المراد من العبارة، وهو أن ما يحسنه الإنسان هو الذي يحدد قيمته دون زيادة ولا نقصان، وهذا اللَّفظ يشمل القيمة في الدنيا عند الناس، والقيمة يوم القيامة، فمن أحسن أمورا دنيوية كان قدره عند الناس في الدنيا عاليا، ومن أحسن أمورا أخروية كان قدره عند الله عاليا.

4/- المستوى الدلالي:

وأما معنى هذه العبارة ودلالتها فهو أنَّ قَدْرَ الإنسان وثمنه في نفسه وعند غيره لا يكون إلا بما يحسنه، وكل مجال بحسبه، فقدر الإنسان في مجال الصناعة مثلا يحسب ما يمكنه صنعه، وقدره في مجال العلم ما يحسنه منه ،وهكذا في كل مجال، وإذا أحسن من كل شيء طرفا كانت قيمته أعلى، قال أبو جعفر النحاس بعد هذه العبارة:"وهذا إذا تُدُبِّرَ كان فيه أعظم الفائدة والحكمة، لأن الإنسان الفرق بينه وبين البهيمة تمييزه وما يحسن، وهم يجتمعون في القوة والشهوة"[2]، فكلما أَحْسَنَ المرء شيئا وأتقنه، كلما زادت رفعته عن مستوى البهيمة، وكلما قل تمييزه وما يحسن كلما دنى من مستوى البهائم.

وفي هذا أعظم زاجر وأقوى محرك للإنسان لكي يسعى في تكميل نفسه بالعلم والعمل ،لكي لا يُقَارَنَ بالبهائم، وجاء هذا الزَّجر والتشبيه بصورة خفية، وبشكل لطيف وبأسلوب متأدب بديع، وبخلق رفيع في الخطاب ،مما جعل هذه العبارة أبلغ ما جاء في معناها، وقد فطن إلى هذا الزَّجر والتشبيه بالبهيمة إذا لم يحسن الإنسان

[1]- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص 238.

[2]- أبو جعفر النحاس، عمدة الكتاب، دار ابن حزم، القاهرة، مصر، ط1، 1425هـ، 2004م، ص 317.

تكميل نفسه علماءُ العربية، قال أبو هلال العسكري:"ولا أعرف في مدح العلم، وعَدِّ خصاله أبلغ من كلامه رضي الله عنه".[1] وذلك لأنَّ العلم يرفع الأنسان عن مستوى البهائم إلى مستوى البشر.

وهذا المعنى وارد في القرآن الكريم، وعلِيٌّ رضي الله عنه من أعلم الناس بالقرآن ومعانيه، فلا جرم أن يكون نَزْعُهُ من القرآن الكريم أقوى وأعمق من نَزْعِ غيره، قال الله تعالى في قصة طالوت: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾[2] فاصطفاءُ طالوت للمُلْكِ كان لفضله على غيره في العلم وفي الخِلْقَة، وإلى هذا الاستنباط أشار ابن الشجري في أماليه، وأورد في ذلك أثرا مسندا إلى علي رضي الله عنه[3]. ولاشك أن المعنى إذا كان مستقيما وجيِّدا فإنَّه يزيد في بلاغة الكلام، فكيف لو كان موجودا في القرآن الكريم؟

6-مَا رَأَيْتُ يَقِينًا لَاشَكَّ فِيهِ أَشْبَهَ بِشَكٍّ لَا يَقِينَ فِيهِ مِنَ المَوْتِ.

وهذه عبارة أخرى من بليغ الكلام يكون البحث فيها وفق مستويات هي:

1/- المستوى الصوتي:

تتكون هذه العبارة الطويلة نسبيا من ثلاثة وأربعين صوتا، يضمها خمسة عشر حرفا هي: الميم وألف المد والراء والهمزة، والياء والتاء والقاف والنون، واللام والشين والكاف والفاء، والهاء والباء والواو، وأما صفاتها فجاءت متنوعة بسبب كثرة الحروف وتنوعها، إلا أننا نلاحظ وجود بعض الحروف التي تشترك في كل الصفات وتتطابق فيها وهي الكاف مع التاء، والميم مع النون، والواو مع الياء[4]. وكانت الياء أكثر الحروف تكرار ،بعدها حرف الكاف والألف ،ثم الهمزة والميم والنون واللام والشين والهاء، كلها تكررت ثلاث مرات، وكان استهلال العبارة بحرف الميم الممدود، وهو حرف خفيف ولَيِّنٌ فيه شيء من الضعف، وهو مناسب لمعنى هذه العبارة من حيث

[1]- أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، ج1، ص 146.
[2]- سورة البقرة، الآية247.
[3]- ينظر: ابن الشجري، أمالي الشجري، ج1، ص 190.
[4]- ينظر: إيمان فتحي، فن تجويد الحروف، ص 153.

إظهار ضعف الإنسان وعدم إحاطته بالعلم، لأنه في مقام نفي أمرٍ نفيا مطلقا، وحَرِيٌّ بالإنسان أن يَذْكر ضعفه عند التكلم بالعلم، وأن يَرُدَّهُ إلى الله تأدبا وتواضعا.

أما مخارج حروف هذه العبارة فشملت المخارج كلها إلا مخرج الخيشوم ،فكان للجوف حرفان هما الألف والياء المديتان، وللحلق حرفان هما الهمزة والهاء وللشفتان أربعة حروف، هي كل حروف مخرج الشفتان وهي الباء والواو والميم والفاء، وكان لمخرج اللسان أكبر عدد من الحروف وهي: الراء والتاء والقاف والنون، واللام والسين والكاف، إضافة إلى التناظر الصوتي العجيب في هذه العبارة بسبعة عشر صوتا في كل جانب، تفصل بينها كلمة (أشبه).

2/- المستوى الصرفي والمعجمي:

تكوَّنت هذه العبارة من ثلاث عشرة كلمة: فعل واحد هو (رأيت)، وستة أسماء هي يقينا، شك، أشبه بشك، يقين، الموت، وستة حروف هي ما النافية، ولا النافية في موضعين، وفي موضعين ومن إضافة إلى حرف الجر الباء الداخل على كلمة (شك)، والاسم وهو الضمير المتصل مع كلمة (فيه) في موضعين، وجاء الفعل في زمن الماضي (رأيت)، لإفادة القطع بالحكم ،وأنَّه قد تُيُقِنَ منه وفُرِغ منه،[1] والرؤية هنا رؤية قلبية أي علمت لأنه تعدى إلى مفعولين، وهي أبلغ في الدّلالة من العلم، كما أن المفردات المكونة لهذه العبارة اتسمت بالبساطة والوجازة، فلا جمع فيها ولا تثنية، إضافة إلى الدقَّةِ في اختيار الحروف الداخلة على الأسماء، فكانت في غالبها أُمَّاتُ الحروف في الباب، مما يجعل في هذه العبارة إيجاز مُعجزا، فلا يمكن الإتيان بكلمات أخرى تؤدي ما تؤديه هذه الكلمات من معاني.

كما نلاحظ في هذه العبارة تناظرا لفظيا عجيبا، فقد قُسِّمت إلى جزأين، في كلِّ جزء ستُ كلمات تفصل بينهما كلمة (أشبه)، فالجملة الأولى (ما رأيت يقينا لا شك فيه) والجملة الثانية هي(بشك لا يقين فيه من الموت)، مما يجعل في هذه العبارة وجازة وتوازنا يطفي عليها جمالا وبلاغة عجيبة.

3/- المستوى التركيبي:

[1]- ينظر: إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القران العظيم، ج4، ص555.

كما اتسمت ألفاظ هذه العبارة بالسهولة والوضوح، فمعناها أيضا سهل وواضح ،وإعرابها يكون على النحو الآتي: ما: حرف نفي مبني على السكون، رأيتُ: فعل ماض مبني على السكون، والتاء ضمير متصل مبني على الضم في محل رفع فاعل، يقينا: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، لا: نافية للجنس تعمل عمل إنَّ، شك: اسمها منصوب، وخبرها محذوف، فيه: جار ومجرور، أشبه: مفعول به ثان لرأيت منصوب وعلامة نصبه الفتحة لظاهرة على آخره، بشك: جار و مجرور، لا: نافية للجنس، يقين: اسمها منصوب، فيه: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لا النافية للجنس، من الموت: جار ومجرور متعلقان بمحذوف مفعول به لأشبه، وفاعله ضمير مستتر تقديره هو. وجملة (لا يقين فيه) في محل نصب صفة لشك وجملة (لا شك فيه) في محل نصب صفة ليقين.

وأما الأساليب التركيبية البلاغية الواردة في هذه العبارة فنجد التشبيه الضمني، وهو "تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يُلمح المشبه والمشبه به، ويُفهمان من المعنى، ويكون المشب به دائما برهانا على إمكان ما أُسند إلى المشبَّه"[1] ، فهو يُشبِّه الناس في الاستعداد للموت بحال قوم لا يعتقدون أن هناك موتا، ولا يؤمنون ببعثٍ، وهذا من بديع التشبيه وأدقه وأبلغه.

كما نلاحظ أسلوب المقابلة[2] الذي يبدوا واضحا جليا في هذه العبارة، وقد أضفى عليها جمالا وموسيقى متوازنة ،وجمالية، فقد قابل بين (يقينا لا شك فيه) بـ(شك لا يقين فيه)، كما ساهمت هذه المقابلة في دعم أسلوب التشبيه الضمني،حيث تظافر الأسلوبان لتقوية المعنى وإظهاره وتجليه،مما زاد في بلاغة هذه العبارة وحسنها.

4/- المستوى الدلالي:

يحوم معنى هذه العبارة على مجال المواعظ والترهيب ،ومعناها أن الناس تتناقض أفعالهم ما اعتقاداتهم، فَهُمْ يعتقدون أنهم ميتون ،وأنهم بعد ذلك مبعوثون وبعد البعث مجازون على أعمالهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر، ولكنهم في أفعالهم وكأنهم لا يعتقدون أنهم سيموتون أو يحاسبون، قال الربيع بن خيثم رحمه الله في هذا المعنى:"لو

[1]- أحمد بن إبراهيم الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 239.

[2]- ينظر: شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج7، ص 103.

رآنا أصحاب محمد صلى الله عليه و سلم لقالوا هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب"[1]، وذلك لمخالفة أفعالهم لمقتضى الإيمان الذي يأمر بالطاعة ،وينهى عن المعصية.

وهذا المعنى الوارد في هذا التشبيه مستمد من القرآن الكريم في وصفه لبني إسرائيل و،تعاملهم مع الكتاب الذي أنزله الله،قال تعالى:﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾[2] أي كأنهم لا يعلمون أنَّه كتاب الله "وهذا تشبيهٌ بمن لا يعلم إذ فعلو فعل الجاهل،"[3] والمعنى إذا كان في القرآن فإنه يزيد الكلام بلاغة ووضوحا لقوته وبيانه.

7- إِنَّ اللهَ لَيَزَعُ بِالسُّلْطَانِ مَالَا يَزَعُ بِالقُرْآنِ.

وهذه عبارة أخرى من أبلغ الكلام، وللوقوف على أسرار بلاغتها نقوم بتحليلها وفق المستويات الآتية:

1/- المستوى الصوتي:

تتكون هذه العبارة من ستة وثلاثين صوتا، يجمعها أربعة عشر حرفا هي: الهمزة والنون واللام والهاء والياء ،والزاي والعين والباء، والسين والطاء وألف المد، والميم والقاف والراء، وقد تكررت اللَّام ثماني مرات، والهمزة ،والنون وألف المد خمس مرات، والياء والزاي والعين والباء مرتين. وقد استهلت هذه العبارة بأصوات قوية وهي صوت الهمزة بعده نون المشددة المنبُورَةِ[4]، مما يعطي لهذه العبارة بداية واضحة جليَّة في أذن المتلقي، وقوة صوتية تستدعي إثارة الانتباه، وهذا مناسب لمقام العبارة والمعنى الذي تحويه.

أما مخارج حروف هذه العبارة فشملت المخارج الأربعة المعروفة وهي: الجوف والحلق واللسان والشفتان، على تفاوت في عدد الحروف الخارجة من كل مخرج، فكان الجوف أقلَّها حروفا بحرف واحد هو ألف المد، يليه

[1]- زين الدين محمد المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1، 1356هـ، ج3، ص 479.
[2]- سورة البقرة، الآية 101.
[3]- محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لإحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1384هـ، 1964م، ج2، ص 41.
[4]- ينظر: محمود علي البسة، فتح المجيد شرح كتاب العميد في علم التجويد، ص 69-70.

مخرج الشفتان بحرفين هما الميم والباء، ثم مخرج الحلق بثلاثة حروف هي: الهمزة والهاء والعين، ثم اللسان بأكبر عدد من الحروف وهي: النون واللام والياء والزاي، والسين والطاء والقاف والراء[1].

2/- المستوى الصرفي والمعجمي:

تكونت هذه العبارة من ثمان كلمات: فعلان وأربعة أسماء وحرفان، فالفعلان هما (لَيزع، يزع)، والأسماء هي: الله، بالسلطان، ما الموصولة، بالقرآن، والحرفان هما: أن، ولا النافية، إضافة إلى لام التوكيد، والباء حرف الجر المتصلة بالسلطان والقرآن، وجاء الفعلان كلاهما بصيغة المضارع لإفادة التجدد والاستمرارية فإنَّ" الاسم يفيد الثبوت والفعل يفيد التجدد والحدوث... وسُّر ذلك أن الفعل مقيد بزمن الحال أو الاستقبال في الغالب ،في حين أن الاسم غير مقيد بزمن من الأزمنة"[2]، فيفيد توظيفُ الفعل هنا أن الله يفعل هذا الفعل مرة بعد مرة عند اقتضاء الحكمة ذلك.

وجاء توظيف كلمتي القرآن والسلطان للتعبير عن معنى أعم،فالقرآن للدلالة على الشَّرع الإلهي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، والسلطان للدلالة على الحكم والسلطة المدبِّرة لشؤون الدُّول، وتم اختيار هاتين اللفظتين لأن القرآن هو أصل الشرع، والسلطان هو أصل الحكم والقوانين، كما أنهما على نفس الوزن (فعلان) ،مما يزيد من توازن هذه العبارة، ويعطيها جمالا في صوتها، مما يزيد في بلاغتها، كما نلاحظ التوازن في عدد الكلمات بين الجملتين أربع كلمات في كل قسم مما يُكسِب هذه العبارة بلاغة واتزانا وجودة.

3/- المستوى التركيبي:

أما إعراب هذه الجملة فعلى النحو الآتي: إن: أداة نصب وتوكيد، الله: لفظ الجلالة اسم إنَّ منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، ليزع: اللام لام التوكيد المزحلقة ، يزعُ: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وفاعله ضمير مستتر تقديره هو، بالسلطان: جار ومجرور، ما: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به، لا: أداة نهي مبني على السكون لا محل لها من الإعراب، يزع: فعل مضارع

[1]- ينظر: إيمان فتحي، فن تجويد الحروف، ص 78.

[2]-فاضل صالح السامرائي،معاني الأبنية في العربية،ص9.

مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، بالقرآن: جار ومجرور. والجملة (ليزع بالقرآن): صلة موصول لا محل لها من الإعراب.

أما الأساليب البلاغية التركيبية الموجودة في هذه العبارة، فنجد أسلوب التوكيد بأن ولام التوكيد، وهو يفيد تقوية المعنى وتأكيده، إضافة إلى وجود طباق السلب "وهو ما اختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا، بحيث يجمع بين فعلين من مصدر واحد، أحدهما مثبت مرة، والآخر منفي تارة أخرى في كلام واحد."[1] وهي هنا في هذه العبارة قوله (ليزع) و(لا يزع)، فالأولى مؤَكَّدَة بلام التوكيد، والثانية منفية بلا النافية، كما نلاحظ وجود أسلوب الإطناب في الجملة الثانية في قوله (مالا يزغ بالقرآن)، لأنه يقوم مقامها كلمة واحدة ،مثل (الحق) مثلا أو(العدل) ونحوهما، ولكن هذا الإطناب جاء لمعنى آخر مراد وهو، أن الناس قد لا يرتدعون بالقرآن وأوامره ونواهيه، فيرتدعون بحكم السلطان وقضائه " والإطناب: زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، أو هو تأدية المعنى بعبارة زائدة عن المتعارف أوساطَ البلغاء، لفائدة تقويته وتوكيده،"[2] إضافة إلى الفائدة المعنوية التي ذكرناها هنا.

4/- المستوى الدلالي:

معنى هذه العبارة أن الأحكام السلطانية والعقوبات، تمنع طائفة من الناس عن ارتكاب المحرمات أكثر مما تمنعهم المواعظ القرآنية ،والزواجر الشرعية، لأنَّ (وَزَعَ) بمعنى مَنَعَ، قال ابن تيمية:" ولكن في بعض فوائد العقوبات المشروعة في الدنيا ضبط العوام، كما قال عثمان بن عفان:" إن الله ليزغ بالسلطان مالا يزع بالقرآن"، فإنَّ من يكون من المنافقين والفُجَّار، فإنَّه ينزجر بما يشاهده من العقوبات، وينضبط عن انتهاك المحرمات، فهذا بعض فوائد العقوبات السلطانية المشروعة"،[3] فلابد من العقوبات السلطانية لكي ينتظم أمر الناس، وينزجر الظالم عن ظلمه.

وهذا المعنى مأخوذ من القرآن الكريم، ومُسْتَنْبَطٌ منه، قال الله تعالى:﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ

[1]- أحمد بن إبراهيم الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 303.
[2]- المرجع نفسه،ص 201.
[3]- أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، ج11، ص 416.

قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾[1]، فذكر هنا في هذه الآية الوازعان: الديني والسلطاني، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية:" أي: وجعلنا الحديد رادعا لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه."[2] فالوازع السلطاني هنا هو الحديد.

وقال ابن كثير أيضا في مَعْرِضِ تفسير قوله تعالى:﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [3] مُبَيِّنًا معنى هذه العبارة ومستشهدا بها:" لأنه لابد مع الحق من قهر لمن عاده وناوأه، ولهذا قال سبحانه وتعالى:" لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب" وفي الحديث " إن الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن" أي لَيَمْنَعُ بالسلطان عن ارتكاب الفواحش والآثام، مالا يمتنع كثير من الناس بالقرآن، وما فيه من الوعيد الأكيد والتهديد الشديد، وهذا هو الواقع"[4]، والمعنى إذا كان مأخوذا من القرآن، كان الكلام الذي ضُمِّنَ فيه أبلغ وأجود كما هو حال هذه العبارة البليغة.

8- أَلَا كُلُّ شَيءٍ مَاخَلَا اللهَ بَاطِلُ.

هذه عبارة أخرى من أبلغ الكلام، ونقوم بتحليلها وفق مستويات بغية الوقوف على أسرار بلاغتها.

1/- المستوى الصوتي:

تكونت هذه العبارة من أربعة وعشرين صوتا، يضمُّها أحد عشر حرفا هي: الهمزة واللام وألف المد، والكاف والشين والياء، والميم والخاء والهاء والباء والطاء، واستهلت هذه العبارة بصوت الألف، وهو صوت قوي ارتبط معناها "بالنبر أو الضغط، أي أنَّه دليل على وظيفة، قبل أن يكون دليلا على صوت لغوي"[5]، مما يجعل للعبارة وضوحا وجلاء في سمع المتلقي.

[1]- سورة الحديد، الآية 25.

[2]- إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القران العظيم، ج8، ص 27.

[3]- سورة الإسراء، الآية 80.

[4]- إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القران العظيم، ج5، ص 111.

[5]- عويض بن إبراهيم العطوي، بلاغة كلمة التوحيد لا اله الا الله، ص 146.

وبما أن هذه العبارة صدر بيت من الشعر، فمن ضمن المستوى الصوتي استخراج تفعيلاتها وبحرها، وتفعيلاتها هي (فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُن مَفَاعِلُنْ)، وهي تفعيلات البحر الطويل، وهو بحر مناسب للمعاني الفخمة ،والكلمات الجليلة ،وبالتالي فهو مناسب لمعنى هذه العبارة.

وأما مخارج هذه الحروف فشملت المخارج الأربعةَ المعروفة وهي: الجوف والحلق واللسان والشفتان، على تفاوت في عدد الحروف في كل مخرج، فأقلها حروفا هو مخرج الجوف بحرف واحد هو ألف المد، ثم مخرج الشفتان بحرفين هما الميم والباء، ثم مخرج الحلق بثلاثة حروف هي:؛ الهمزة والهاء والخاء، ثم مخرج اللسان بأربعة حروف هي اللام والكاف، والشين والياء والطاء[1].

2/- المستوى الصرفي والمعجمي:

تكونت هذه العبارة من سبع كلمات ،فعل وحرفين وأربعة أسماء، فالفعل هو (خلا) والحرفان هما أَلَا وما المصدرية، والأسماء هي الله وشيء وكل وباطل، واستفتحت هذه العبارة بأداة التنبيه (أَلَا)، وهي من أقوى أدوات التنبيه قوة في الصوت والدّلالة، وهي أقوى من أداتا التنبيه (ها) و(أَمَا)، فتفوقها على (ها) واضح لقوة حروف أَلَا، وأما تفوقها على (أَمَا) فلتفوق حرف اللام على الميم، لأنَّ مخرج الَّلام من اللسان ،ومخرج الميم من الشفتان وهي أَضْعَف نسبيا[2].

والكلمة الثانية من كلمات هذه العبارة هي الاسم (كُلُّ) وهو اسم يفيد العموم، لاسيما وقد أضيف إلى ما يزيد في عمومه وهي كلمة (شيء)، وهي الكلمة الثالثة في هذه الجملة، وجاء توظيف لفظ الجلالة الله لأنه علم على الباري عز وجل، وهو الاسم الذي تتبعه جميع الأسماء الحسنى ،وهو أَدَلُّ على المراد من غيره، ولهذا تم استعماله في كلمة الشهادة أيضا[3]، كما نلاحظ استعمال اسم الفاعل (باطل)، على وزن فاعل من الفعل الثلاثي (بَطَلَ) واسم الفاعل يفيد الثبوت والاستقرار بالنسبة للفعل، وهذا مناسب لمعنى العبارة الذي يقضي بملازمة صفة

[1]- ينظر: إيمان فتحي، فن تجويد الحروف، ص78.

[2]- ينظر: محمود على بسة، فتح المجيد شرح كتاب العميد في علم التجويد، ص 69-70.

[3]- ينظر: عويض بن محمود العطوي، بلاغة كلمة التوحيد لا اله إلا الله، ص 163- 164.

البطلان لكي شيء غير الله سبحانه وتعالى، فعَبَّرَ باسم الفاعل ،ولم يعبر بالفعل (يبطل) الذي يفيد الحدوث والتجدد[1]، وهذا من بلاغة هذه العبارة وقوة معناها.

3/- المستوى التركيبي:

وأما إعراب هذه العبارة فهو على النحو التالي: أَلَا: أداة استفتاح مبنية على السكون لا محل لها من الإعراب، كل: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، شيءٍ: مضاف إليه، ما: حرف مصدري، لا محل له من الإعراب، خَلا: فعل ماض جامد مبني على الفتح المقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، اللهَ: لفظ جلالة مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، باطلٌ: خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، والمصدر المؤول من (ما) وما بعدها في محل نصب حال لشيء.

وأما الأساليب الموجودة في هذه العبارة ،فنجد أسلوب التنبيه الذي استهلت به العبارة وأُدِّيَ بحرف التنبيه (أَلَا) وهي أداة الاستفتاح أيضا ،وقد ورد هذا الأسلوب بهذه الأداة في القرآن الكريم عشرين مرة، مثل قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٥﴾ [2] وقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢﴾ [3] وغيرها من الآيات، مما يدل على بلاغة هذا الأسلوب ، وأنه أبلغ من غيره في بابه .

ومن الأساليب التركيبية الواردة في هذه العبارة أسلوب الاستثناء المؤَدَّى بالفعل (خلا)، مع الحرف ما، فاستثنى اللهُ من بطلان الأشياء بهذا الفعل (خلا)، وفيه من البلاغة المناسبة لهذا المقام ما ليس في غيره من الأدوات التي تؤدي نفس الأسلوب، مثل إِلَّا وغَيْرُ وحَاشَا وسِوَى وغيرها، وذلك من جهة تقوية معنى البطلان في الأشياء، وأنها كلها فانية، لما يحويه هذا الفعل من معنى الفراغ والفناء والخلاء، إضافة إلى ما يُضْفِيهِ على الكلام من حُسْنٍ، يجعله من قسم البديع فالاستثناء " الذي يفيد بعد إخراج القليل من الكثير معنى زائدا، يُعَدُّ من محاسن الكلام، ويستحق به الإتيان في أبواب البديع، ومن لم يكن في الاستدراك والاستثناء معنى من المحاسن غير

[1]- ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية في العربية، ص9.
[2]- سورة يونس، الآية 55.
[3]- سورة المجادلة، الآية 22.

ما وُضعا له، لا يُعدَّان من البديع"[1]، و في هذه العبارة فيه معنى زائد عن محض الاستثناء، من إثبات عظمة الله وحياته، وضعف كل المخلوقات، إضافة إلى الوعظ والتذكير بالموت وغيرها من المعاني.

4/- المستوى الدلالي:

المعنى الظاهر لهذه العبارة هو أن كل ما سوى الله فهو باطل وفانٍ، ولا طائل من ورائه ،وأن الله هو الحق المبين، ويندرج تحت هذا المعنى معان أخرى، كإثبات صفات الكمال والجلال لله تعالى وتعظيمه والإذعان والانقياد له، وفيه الزجر عن الاغترار بالدنيا والركون إليها، لكونها دار غرور وفناء، وفيه من الدلالات الفرعية أن ما كان لله دام واتَّصل وأن ما كان لغيره أنقطع وأنفصل، ومن دلالاتها أيضا أن المشركين في الجاهلية كانت لهم عبادات وأمور من شرائع الأنبياء.

وكل هذه المعاني سواء منها الأصلية أو الفرعية هي معاني حق وصدق، وعلى كثير منها يدل القرآن الكريم، قال الله تعالى:﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٦٢﴾[2] . فكل ما سوى الله باطل، ومثل قوله تعالى:﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ٤٢﴾[3] ومثل قوله تعالى:﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ٦٧﴾[4]، وغيرها من الآيات التي تفيد بقاء ما كان متعلقا بالله من الأقوال والأعمال، والمعنى إذا كان في القرآن فإنَّه يزين الكلام الذي حواه ويرفع درجة بلاغته.

9- اِحْرِصْ عَلَى المَوْتِ تُوْهَبْ لَكَ الحَيَاةُ.

هذه عبارة أخرى من أبلغ الكلام، وللوقوف على أسرار بلاغتها نحلِّلها وفق المستويات الآتية:

1/- المستوى الصوتي:

[1]- عبد العظيم بن ظافر البغدادي، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، الجمهورية العربية المتحدة، الكويت، ص 333.

[2]- سورة الحج، الآية 62.

[3]- سورة النجم، الآية 42.

[4]- سورة الزخرف، الآية 67.

تتكون هذه العبارة من أربعة وعشرين صوتا، يجمعها أربعة عشر حرفا هي: الهمزة والحاء والراء ،والصاد والعين واللام وألف المد، والميم والواو والتاء، والهاء والباء والكاف والياء، مع تفاوت في عدد تكرار هذه الحروف ،فتكررت اللام أربع مرات، والهمزة ثلاث مرات وكذلك التاء، وأمَّا الحاء وألف المد والواو فمرتين، وابتدأت هذه العبارة بصوت الهمزة ،وهو صوت قوي حاد وله نبرة قوية[1]، مما يعطي لهذه العبارة بداية واضحة وجلية في أذن السامع، مع مناسبة بين هذا الصوت ومعنى هذه العبارة، التي هي من خليفة المسلمين إلى قائد جُنْدِه يُحَرِّضُه فيها على القتال والأقدام والشجاعة، فناسب توظيف الصوت القوي في المعنى القوي.

كما نلاحظ تنوعا في صفات حروف هذه العبارة، وذلك لتنوعها وكثرتها النسبية، مع ملاحظة بعض الحروف المتطابقة في جميع الصفات وهي الكاف والتاء وأيضا الواو والياء[2] ،أما مخارج حروف هذه العبارة فكانت موزعة على المخارج الأربعة، مع تفاوت في عدد الحروف لكل مخرج، فكان مخرج الجوف أقلها حروفا بحرفين هما الألف المدية والواو المدية، يليه مخرج الشفتان بثلاثة حروف هي الميم والواو غير المدية والباء، ويليه مخرج الحلق بأربعة حروف وهي الهمزة والحاء والعين والهاء، ويليه مخرج اللسان بستة حروف هي: الراء والصاد واللام والتاء والكاف والياء غير المدية، فنلاحظ الكثرة النِّسْبِيَّة للحروف الحلْقية، والتي تتسم بالقوة والعمق[3]، مما يتناسب مع جو الحرب الذي قيلت فيه، والَّذي يستدعي الحروف القوية لكي تُعَبِّر بشكل بليغ عن المعنى المراد.

كما نلاحظ أن هناك تناظرا صوتيا عجيبا في هذه العبارة المكونة من جملتين هما: (أحرص على الموت)، و(توهب لك الحياة)، إذ في كل جملة منهما اثنا عشر صوتا، مما يعطيها توازنا صوتيا بديعا، يُسَهِل النطق بها

2/- المستوى الصرفي والمعجمي:

تكونت هذه العبارة من ست كلمات: فعلين و اسمين وحرفين، الفعلين هما (احرص) و(توهب)، والاسمان هما:(الموت) و(الحياة) والحرفان هما (على) (لك)، مع وجود اسم مجرور هو الكاف في كلمة (لك)، وهناك أيضا تناظرا صرفيا حيث نجد في كل جملة (فعلا واسما وحرفا) وتناظرا معجميا فالفعل (احرص) يقابله من حيث المعنى

[1]- ينظر: عويض بن محمود العطوي، بلاغة كلمة التوحيد لا اله إلا الله، ص 146.

[2]- ينظر: إيمان فتحي، فن تجويد الحروف، ص 154.

[3]- ينظر: محمود على بسة، فتح المجيد شرح كتاب العميد في علم التجويد، ص 69- 70.

الفعل (توهب) ،لأنَّ الحرص يكون بجهد، وأما الهبة تتكون دون جهد، و(الموت) يقابل (الحياة)، مما يجعل في هذه العبارة توازنا عجيبا، وجمالا في النطق والمبنى والمعنى، مما يرفعها في سلم البلاغة.

كما نلاحظ استعمال فعل الأمر في مستهل العبارة، وهو مناسب لمقامها والمعنى الذي جاءت من أجله، وأما في الجملة الثانية فتم توظيف الفعل المبني للذي لم يُسَمَّ فاعله، وذلك للمحافظة على توازن العبارة صوتا وصرفا ومعجما، إذ لو بُنِيَ للمعلوم لاختلَّ هذا التناظر البديع، ولمناسبة معنوية أخرى وهي أن في إخفاء الفاعل وحذفه تعظيم له وتفخيم لقدره، قال صفي الدين الحلي:

" لَسْنَا نُسَمِّيكِ إِجْلَالًا وَتَكْرِمَةً وَقَدْرُكِ المعْتَلِي عَنْ ذَاكَ يُغْنِينَا"[1]

وهذا مناسب لهذا المقام، فإنَّ الذي يهب الحياة هو الله عز وجل، وهو حقيق بالتعظيم والتبجيل سبحانه، كما أن في توظيف هذا الفعل (توهب)، إشارة إلى أن عمر الإنسان ليس له ،وإنما هو بيد الله، ولا يزيد فيه أو ينقص إلا الله، قال تعالى:﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾[2] فإن الأجل له وقت محدد.

كما نلاحظ أن كلمات هذه العبارة جاءت بسيطة سهلة سلسة، لا غرابة فيها ولا تكلف، ولا صعوبة في نطقها، مما يزيد في بلاغتها إذ جاءت من باب السهل الممتنع، كما أن في استعمال صيغة الفعل التي تفيد الحدوث والتجدد[3] ،دلالة على أن الحرص على الموت لا يكون ملازما للإنسان، وإنما يُمدَح إذا كان في مقام القتال والأقدام، وإلَّا صار تهورا مذموما، وإلقاءً بالنفس إلى التهلكة.

3/- المستوى التركيبي:

وأما إعراب هذه الجملة فيكون على النحو الآتي: احرص: فعل أمر مبني على السكون وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت، على الموت: جار ومجرور، توهب: فعل مضارع مبني للذي لم يُسَمَّ فاعله، مجزوم بالسكون لأنه

[1]- صفي الدين الحلي، ديوان صفي الدين الحلي، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص 362.

[2]- سورة الأعراف، الآية 34.

[3]- ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية في العربية، ص 9.

جواب الطلب، لك: جار ومجرور، الحياةُ: نائب فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، والجملة الأولى (احرص على الموت) جملة الطلب، وجملة(توهب لك الحياة) جملة جواب الطلب.

أما الأساليب التركيبية الموجودة في هذه العبارة فنجد أسلوب الطلب وجوابه مع إسقاط الفاء جوازا في مثل هذه الحالة، لأنَّ التقدير (فتوهب) ففاء "السببية قد تسقط جوازا بعد الطلب – لا النفي- سواء أكانت موجودة في الأصل ثم سقطت أم لم تكن موجودة"[1] ،وهذا من الإيجاز الذي هو قرينٌ للبلاغة.

كما نلاحظ وجود التقديم والتأخير في الجملة الثانية حيث قدم الجار والمجرور، وأخَّر نائب الفاعل الذي يكون في الأصل بعد الفعل مباشرة، وهذا للاهتمام بالمقَدَّمِ والاعتناء به قال سيبويه في الكتاب " كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كان جميعا يهمانهم ويعيانهم"[2] ، والمهتم به هنا هو قائد الجيش خالد بن الوليد رضي الله عنه، الذي أُرْسِلَ إليه هذا التوقيع وهو المخاطَب به هنا، فناسب أن يُقَدَّمَ في اللفظ لأهميته في هذا الخطاب.

كما نلاحظ أن كلتا الجملتين جاءتا فعليتان، وذلك لإفادة الحدوث والتجدد ،لأن المقام هنا والمعنى المراد لا يتناسب مع اللُّزوم والثبوت الموجود في صيغ الاسم بأنواعها لتجردها عن الزمن[3]، فإن الحياة توهب ،ويزاد في العمر أحيانا لا أبدا، لأن الخلود لا يتحقق لأحد، قال الله تعالى:﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[4] لذا جاء توظيف صيغة الفعل التي تفيد الحدوث والتجدد. كما أن الحرص على الموت لا يُمدَح دائما وإنما بحسب المواقف والظروف.

4/- المستوى الدلالي:

هذه العبارة من قول أبي بكر الصديق، لقائد جيوشه خالد بن الوليد رضي الله عنهما، يحثه فيها على القتال والإقدام، ومعناها أن الإنسان إذا أقدم على ما يُسَبِّبُ الموت فإنه لا يموت إذا كان هذا الإقدام دون تهور

[1]- عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط16، 2013م، ج4، ص 382.
[2]- سيبويه، الكتاب، ج1، ص34.
[3]- ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية في العربية، ص9
[4]- سورة الأنبياء، الآية 34.

،وكلما كان شجاعا مقداما كلما قَلَّتْ نسبة موته في ذلك الموقف، وقد وقع هذا المعنى في قلب خالد بن الوليد رضي الله عنه، وعمل به ولاقى الحياة، حتى مات على فراشه فقال رضي الله عنه وقد حضرته الوفاة:" لقيت كذا وكذا زَحْفًا، وما في جسدي شبرا إلا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم أو طعنة برمح وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء"[1]، فلا يَمُدُّ الجبنُ في العمر، والجزاء من جنس العمل.

ومفهوم المخالفة المستنبط من هذه العبارة وهو أن من لم يحرص على الموت لم توهب له الحياة، فيكون عمره قصيرا، وهذا المعنى موجود عند الحكماء في الجاهلية، قال زهير بن أبي سلم في معلقته:

" وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ المَنَايَا يَنَلْنَهُ وَلَو رَامَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ."[2]

أي وإن طلب الهروب من منيته، بأن يصعد إلى السماء بِسُلَّمٍ، فلن ينفعه ذاك، وسيلقى حتفه لا محالة.

كما أنه يمكن حمل هذه العبارة على معنى آخر، وذلك بتوجيه كلمة (الحياة) توجيها بنظرة إسلامية، فإن الحياة الحقيقية هي الحياة في الجنة قال الله تعالى:﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤ ﴾ [3]، فهي الدار التي تدوم وتبقى ولا تفنى أبدا، فيكون معنى العبارة (احرص على الشهادة تنل الجنة)، إما أن تُسْتَشْهَدَ في أرض المعركة، وإما أن تُعطَى من الأجر ما يكون سببا لدخولك الجنة، وهذا المعنى مأخوذ من قوله عليه الصلاة والسلام:"مَنْ سَأَلَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ"،[4] وهذا من كرمه سبحانه وتعالى، وهذا من أبلغ التحفيز على القتال، والتشجيع عليه لحرص الصحابة رضوان الله عليهم على الجنة، وما قَرَّبَ إليها من قول وعمل، والمعنى إذا كان في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ،كان الكلام الذي يَضُمُّهُ من أبلغ الكلام لشرف المعنى.

[1]- ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج16، ص 273.

[2]- زهير بن أبي سلمى، ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ، 1988م، ص 111.

[3]- سورة العنكبوت، الآية 64.

[4]- مسلم بن حجاج النيسايوري، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ج3، ص 157.

10- وَخَلَا الذُّبَابُ بِهَا فَلَيْسَ بِبَارِحٍ غَرِدًا كَفِعْلِ الشَّارِبِ المتَرَنِّمِ.

- هَجِزًا يَحُكُّ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ قَدْحَ المكِبِّ عَلَى الزِّنَادِ الأَجْذَمِ

وهذان بيتان من أبلغ الكلام، وهما لعنترة بن شدَّاد العبسي في معلقته، وهما من باب الوصف خلافا لما اشتَهَر به من النظم في الفروسية، وللوقوف على أسرار بلاغتها نقوم بتحليلها وفق المستويات الآتية:

1/- المستوى الصوتي:

تكونت هذه الأبيات من تسعة وثمانين صوتا، موزعة على أربعة أشطر، في الشطر الأول والثاني اثنان وعشرون صوتا، وفي الشطر الثالث تسعة عشر صوتا، وفي الرابع أربعة وعشرون صوتا، وتجمع هذه الأصوات كلها أربعة وعشرون صوتا هي: الواو والخاء واللام ،وألف المد والهمزة والذال، والباء والهاء والفاء والياء، والسين والراء والحاء والغين، والدال والكاف والعين والشين، والميم والتاء والنون، والجيم والزاي والقاف، وصفاتها متنوعة بتنوع الحروف وكثرتها[1].

ومما يلاحظ في هذه الأصوات أن بعضها يسقط عند النطق، كهمزة الوصل، وعند التقاء الساكنين، وبذلك تقل الأصوات المسموعة مع توازن فيها، ففي البيت الثاني الذي ظاهره عدم توازن الأصوات في الشطرين، بتسعة عشر صوتا في الشطر الأول، وأربعة وعشرين صوتا في الثاني، فإن الشطر الثاني يصير معدلا في الأصوات المنطوقة للشطر الأول، مما يعطي البيت توازنا صوتيا وسهولة عند النطق به، وكذلك في البيت الأول تقل الأصوات كل شطر إلى تسعة عشر صوتا، بعد إسقاط الأصوات غير المنطوقة، وبالتالي تنتج لنا عبارةٌ من أربعة أشطر متوازنة صوتيا، بترتيب بديع لعدد الأصوات، وتقسيم عادل لها بين الأشطر.

أما مخارج هذه الحروف فقد جاءت موزعة على المخارج الأربعة المعروفة، على تفاوت في عدد الحروف في كل مخرج، فكان أقلها حروفا مخرج الجوف بحرف واحد،هو حرف الألف المدية، يليه مخرج الشفتان بحروفه الأربعة: الواو والباء والفاء والميم، ثم مخرج الحلق بحروفه الستة وهي: الهمزة والهاء والغين والعين والخاء والحاء، ثم مخرج اللسان

[1]- ينظر: محمود علي بسة، فتح المجيد شرح كتاب العميد في علم التجويد، ص 69- 70.

بأكبر عدد من الحروف وهي: اللام والذال والياء، والسين والراء والدال، والكاف، والشين، والتاء والنون، والجيم والزاي، والقاف[1].

كما نلاحظ وجود حروف متطابقة في كل الصفات، وحروفا متماثلة في غالب الصفات، فأما الحروف المتطابقة في كل الصفات فهي حرفا الكاف والتاء، وحرفا النون والميم، وحرفا الواو والياء، وحرفا الجيم والدال، وأما الحروف المتماثلة في غالب الصفات فنجد حرفا الهاء والحاء، وحرفا الزاي والذال، وهذا مما يعطي العبارة توازنا وسهولة في النطق[2].

وأما تفعيلات هذا الأبيات: فهي تفعيلات البحر الكامل : (متفاعلن متفاعلن متفاعلن)،" والكامل بإعتباره هذا بحر صاف لأنه ذو تفعيلة واحدة لا تتغير هي "متفاعلن"، غير أن الكامل – مثل سواه من البحور- لا يستقر على صورته الصافية هذه، وإنما يعترى تفعيلته الأخيرة " أو ضربه" فتتحول إلى "فعلن" أو " مفعولن""[3] ، وهذا ما وقع في بعض التفعيلات هذين البيتين، ورَوِيُّ القصيدة هو حرف الميم المكسور، الذي أعطى للقصيدة رَنَّةً وجمالا موسيقيا لطيفا، لخفة هذا الحرف وليونته.

2/- المستوى الصرفي والمعجمي:

تكون هذان البيتان من تسع عشرة كلمة، منها ثلاثة حروف، وثلاثة أفعال، واثنا عشر اسما، فأما الحروف فهي الواو والباء الجارة وعلى، وأما الأفعال فهي خلا وليس ويحك، والأسماء هي الذباب وغردا وكفعل والشارب ،والمترنم وهجزا وذراعه وقدح، والمكب والزناد والأجذم، وفي طغيان الأسماء على الأفعال دليل على صفة الثبوت والاستقرار، التي تلازم الأسماء دون الأفعال.

[1]- ينظر: إيمان فتحي، فن تجويد الحروف، ص 78.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 154.

[3]- نازك صادق الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط5، د.ت، ص88.

كما نلاحظ استعمال اسم الفاعل من الثلاثي والرباعي، فأما من الثلاثي فنجد (البارح) من الفعل الثلاثي (بَرِحَ) على وزن فاعل، ونجد أيضا (الشارب) من الفعل الثلاثي (شَرِبَ) على وزن فاعل أيضا، ومن الرباعي نجد (المترنم) من الفعل تَرَنَّمَ يَتَرَنَّمُ فهو مُتَرَنِّمٌ، ونجد أيضا (المكب) من الفعل الرباعي أَكَبَّ يُكِبُّ فهو مُكِبٌّ.

كما نجد الشاعر قد استعمل بعض صيغ المبالغة المنقولة من أبنية الصفة المشبهة، والتي هي على وزن (فَعِل) ،وهي هنا الاسم (غرد)، والاسم (هجز) وهي صيغة تدل "على الأعراض وعلى الهيج والخفة نحو فرح وأشر وأسف، وهو مستعار إلى المبالغة منه، فحين نقول (هو حَذِرٌ)، كان المعنى أنه كثر منه الفعل كثرة لا ترقى إلى درجة الثبوت غير أنه مصحوب بهيجان وخفة واندفاع."[1] وهذا ما نلمسه في هذين المثالين فالغَرِدُ هو الذي يتطرب في الصوت والغناء، والهَجِزُ هو الذي يتحرك حركة لطيفة خفية، فهذه الحركات والأفعال منهم كثيرة ولكنها ليست لازمة للموصوف وثابتة فيه، لتعذر ذلك في المتَّصَفِ بهما، وهذا من دقيق المعاني في التصوير في هذا البيت.

وكل هذه الصيغ التي مرت هي صيغ لأسماء، وهي دالَّة على الثبوت والاستقرار[2]، مما يقوي التشبيه في هذين البيتين، ويزيده وضوحا ودقة، خاصة في توظيف الصيغ بما يناسب دلالاتها الصرفية والمعجمية، كما هو الحال في اسم الفاعل وصيغ المبالغة، وهذا مما يزيد في بلاغة هذين البيتين، ويجعلهما أبلغ ما قيل في معناهما.

3/- المستوى التركيبي:

نقف في هذا المستوى على إعراب هذه الكلمة، وما تحويه من أساليب تركيبية وبلاغية، فأما إعرابها فهو على النحو التالي:الواو: حرف عطف متعلق بما قبله، خلا: فعل ماضي مبني على الفتح المقدر منع من ظهوره اشتغال المحل بالحركة المناسبة، الذبابُ: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، بها: جار ومجرور، الفاء: حرف عطف مبني على الفتح، ليسَ: فعل ماضي ناقص مبني على الفتح، واسمها ضمير مستتر تقديره هو، ببارحٍ: جار ومجرور ومتعلقان بمحذوف خبر ليس، غردًا: حال منصوبة، كفعلِ: جار و مجرور وهو مضاف،

[1]- فاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية في العربية، ص 112.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 9.

شاربِ: مضاف إليه مجرور وهو مضاف، المترنمِ: مضاف إليه مجرور، هجزًا: حال منصوبة، يحكُّ: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره،وفاعله ضمير مستتر تقديره هو، ذراعَهُ: مفعول به منصوب وهو مضاف والهاء مضاف إليه، بذراعِهِ: جار ومجرور، قدحَ: مفعول مطلق لفعل محذوف وهو مضاف، المكبِّ: مضاف إليه مجرور، على الزنادِ: جار ومجرور، الأجذمِ: صفة مجرورة للمكب .

وأما الأساليب التركيبية البلاغية في هذه الكلمة فنجد أسلوب التشبيه واضحا، فشبه في البيت الأول الذباب وهو يَطِنُّ ويُصَوِّتُ بتصويت وشارب الخمر وغنائه، وهو تشبيه تام فيه كل عناصر التشبيه، فالمشبه هو الذباب، والمشبه به هو الشارب المترنم، وحرف التشبيه هو الكاف، ووجه الشبه هو (غردا).

ثم شبه في البيت الثاني الذباب حالة هزه لجناحيه، بقَدْحِ رجلٍ ناقص اليد النارَ من الزندَين، وهو تشبيه تمثيلي، شبه فيه صورة بصورة، فالصورة الأولى أو المشبه هو الذباب وهو يحك ذراعيه بعضهما ببعض، والصورة الثانية أو المشبه به هو الرجل قصيرُ الذراعين أو مقطوع اليدين هو يشعل النار بِقَدْحِهَا[1] ، وهذا تشبيه فخم دقيق، استعمل فيه مخلوقا صغيرا حقيرا، وهذا ما يزيد هذا المعنى جمالاً وبلاغة، فَوَصَفَ صَوْتَ الذُّبَابِ في هذه الروضة، وَوَصَفَ حركته أيضاً بشكل بديع، وهذا من الدِّقة في التشبيه والتفنُّن فيه.

4/- المستوى الدلالي:

معنى هذين البيتين في وصف روضةٍ، شبهها عنترة بمن تغزّل بها، لذا فإنه بالغ في وصف حسنها وجمالها، ودَقَّقَ في ذلك وأجاد فيه، لأنَّ هذا الوصف والتشبيه لا يُرَادُ لذاته، وإنما يراد للتغزل بمن يحب، فوصف هذه الروضة بأنها خالية من البشر، وهذا ما يزيد في حسنها، إذ لم يعبث بجمالها عابث ،وهذا مأخوذ من قوله:" وخلا الذباب بها" فلا يوجد فيها غيره، ثم أَكَّد جمالها وحسنها وطيبها بأن هذا الذباب لا يريد مفارقتها، ولا أن يَبْرَحَ مكانه فيها لشدة تعقله بها، ثم انتقل إلى وصف حال هذا الذباب في هذه الروضة، فوصف صوته بأنه مثل صوت شارب الخمر، الَّذي يتغنى ويترنم بصوت سريع، ثم انتقل إلى وصف حركته، فشبهها بحركة مقطوع اليد الذي يُحَرِّكُ

[1]- ينظر: حسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، دار إحياء التراث العربي، الكويت، ط1، 1423هـ، 2002م، ص 250.

ذراعيه بالزناد لكي يَقْدَحَ النَّارَ، هذا كله في وجازة من الألفاظ، وبساطة في التركيب واختصار، مع انتظامها في سلك البحر الكامل.

ومما زاد في بلاغة هذين البيتين، أن الشاعر وصف في هذا المعنى الفخمِ والمقصدِ المرادِ شيئا صغيرا، وحشرة حقيرة هي الذباب التي غالبا ما تكون مستقذرة ومزعجة، فوظفها توظيفا جعله يصل إلى مبتغاه، دون أن يؤثر معنى الذباب في ما قصده من معنى الغزل، الَّذي لا يُتَوَصَّلُ إليه إلا بكل موصوف جميل محبب إلى النفوس، مثل القمر والبدر والمها، والريم والندى وغيرها، وإلى هذا أشار هارون الرشيد في حواره مع الأصمعي في بحث بلاغة هذه الأبيات، فقال هارون الرشيد:"أتعرف يا أصمعي تشبيها أفخر أو أعظم في أحقر مشبه وأصغره في أحسن معرض من قول عنترة الذي لم يسبقه إليه سابق ولا نازعه منازع ولا طمع في مجاراته طامع،حين شبه ذباب الروض العازب"[1] فهذه النظرة النقدية الثاقبة من هارون الرشيد تبين وجه كون كلام عنترة من المعجز من كلام البشر،فلو طُلِب من شاعر مُجيد أن يستعمل الذباب في غرض الغزل لأعياه ذلك،وهذا ما يجعله أبلغ ما قيل في بابه.

11- فَظَلْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زُجَاجَةٍ إِلَى الدَّارِ مِنْ فَرْطِ الصَّبَابَةِ انْظُر.

وهذا بيت من الشعر لأبي حيَّة النُمَيْرِيّ، من أبلغ الكلام، وللوقوف على أسرار بلاغته نحلّله وفق المستويات الآتية:

1/- المستوى الصوتي:

الصوت هو أدق مكونات الكلمات والجمل، وتتكون هذه العبارة من خمسة وأربعين صوتا، يجمعها ثمانية عشر حرفا هي: الفاء والظاء واللام والتاء، والكاف والهمزة والنون والياء، والميم والواو والراء وألف المد، والزاي والجيم والدال، والطاء والصاد والباء، وجاءت صفات هذه الحروف متنوعة، وذلك لتنوع هذه الحروف وكثرتها النسبية أيضا[2]، إلا أننا نلاحظ وجود بعض الحروف المتطابقة في كل الصفات وهي: حرفا الكاف والتاء، وحرفا

[1]- محمد بن الحسن الآبي، حلية المحاضرة، ج1، ص 139.

[2]- ينظر: محمود علي بسة، فتح المجيد شرح كتاب العميد في علم التجويد، ص 69- 70.

الميم والنون، وحرفا الواو والياء، وحرفا الجيم والدال[1]، وهذا ما يُسَهِّل نطق هذه العبارة، لتوافق صفات هذه الحروف.

أما مخارج هذه الحروف فقد جاءت منوعة، وشملت المخارج الأربعة مع تفاوت في عدد الحروف من كل مخرج، فكان أقلها حروفا مخرج الحلق بحرف واحد هو الهمزة، ويليه مخرج الجوف بحرفين هما الألف والياء المديتان، ثم مخرج الشفتان بحروفه الأربعة الفاء والميم والواو والباء، ثم مخرج اللسان أحد عشر حرفا هي: الظاء واللام والتاء والكاف، والنون والراء والزاي، والجيم والدال والطاء والصاد[2]. ونلاحظ قلة حروف الجوف، مما أعطى هذا البيتَ سرعة صوتية نسبية مناسبة لمعنى البيت، إذ المهموم أو الحزين إذا أتيحت له فرصة للكلام، أو التعبير عن نفسه وجدته سريع الكلام، متتابع الكلمات، كما نلاحظ توازنا صوتيا دقيقا بين شطري هذا البيت، إذ يحوي كل شطر واحدا وعشرين صوتاً منطوقاً، مما يعطي البيت سهولة في القراءة، وجمالا صوتياً رائقاً ولطيفاً، تُحِسُّ به الأذن العربية السليمة.

أما البحر الذي نُظِمَ عليه هذا البيت فهو البحر الطويل، وتفعيلاته الأصلية هي: "فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن"، إلاَّ أنَّ في الشطر الأول حدث شيء من النقص في تفعيلة (فَعُولُنْ) وصارت (فَعُولُ)، وهو ما يعرف عن العروضين بالقبض[3] ، وهو ما يناسب للسرعة الصوتية في هذا البيت، المتناسبة ومعناه.

2/– المستوى الصرفي والمعجمي:

تكوَّن هذا البيت من إحدى عشرة كلمة، خمسُ كلمات في الشطر الأول، وستة كلمات في الشطر الثاني، منها فعلان هما (فظلت) و(أنظر)، وأربعة أحرف هي: من في موضعين وإلى، وكلُّها حروف جرٍّ، وكأنَّ، وخمسة أسماء هي: وراء وزجاجة والدار وفرط والصبابة، كما نلاحظ أن هذا البيت بُدِأَ بفعل وخُتِمَ بفعل. كما نلاحظ

[1]– ينظر: إيمان فتحي، فن تجويد الحروف، ص 154.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص 78.

[3]– ينظر: محمود مصطفى، أهدى السبيل إلى علمي الخليل، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1423هـ، 2002م، ص 28.

تناظرا آخر في بعض الكلمات مثل (من وراء) و(من فرط)، و(زجاجة) و(الصبابة) مما أعطى البيت سهولة في النطق، وسلاسة في أذن المتلقي.

كما نلاحظ البساطة في الكلمات المختارة في هذا البيت، فلا نجد الكلمات ذات التوابع الكثيرة، ولا الكلمات الثَّقيلة، بل كلماته خفيفة، واضحة المعاني، مألوفة دائرة بين الناس، وهذا مناسب لِلَطَافَةِ معنى البيت والغرض الذي ينمي إليه، أَلَا وهو غرض الغزل، و(الصَّبابة) هي رقة الشوق، وهي كلمة مناسبة لمعنى البيت، كما جاءت لفظة (ظلت) ساقطة اللام، والأصل فيها (ظَلَلْتُ) وهو إسقاط جائر وفصيح.

3/– المستوى التركيبي:

أما إعراب هذا البيت فهو على النحو التالي: الفاء: متعلقة بما قبلها، ظلتُ: فعل ماضي ناقص والتاء اسمها، كأني: أداة نصب وتشبيه والياء ضمير متصل في محل رفع اسمها، من وراء: جار ومجرور متعلقان بفعل محذوف أنظر، وهو مضاف، زجاجةٍ: مضاف إليه مجرور، إلى الدارِ: جار ومجرور، من فرطِ: جار ومجرور وهو مضاف، الصبابةِ: مضاف إليه مجرور، أنظرُ: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا، والجملة (أنظرُ) جملة فعلية في محل نصب خبر ظلّ.

أما الأساليب التركيبية والبلاغية الواردة في هذا البيت فنجد التشبيه، فهو يُشَبِّه نظره إلى دار محبوبته حال بكائه، بالنظر إلى الدار من وراء زجاجة ووجه الشَّبه عدم وضوح الرؤية، وهذا هو التشبيه المجمل "وصفوة القول أن التشبيه المجمل هو ما لم يذكر فيه وجه الشبه على طريقته السابقة، ظاهرا ذلك الوجه أو خفياً...وأنَّ وصف أحد الطرفين أو كليهما بما يُشعِر بالوجه...لا يتنافى مع الإجمال، لأن المدار في كون التشبيه مجملا أن يُذكر وجه للشبه ذاته لا وصفٌ مشعرٌ به"[1]، وفي إخفاء وجه الشبه إيجاز واختصار من ناحية اللفظ، واتساع من ناحية المعنى.

كما أن وجه الشبه قد يكون واضحا بيِّنًا لا يحتاج إلى إعمال فكر فيه كقولنا زيد كالأسد أي في الشجاعة، "ومنه ما هو خفيّ لا يدركه إلا من له ذهن يرتفع عن طبقة العامة، كقول من وصف بني المهلب للحجاج لما سأله

[1]– حامد عوني، المنهاج الواضح للبلاغة، ج1، ص 68.

عنهم وعن أيهم أنجد: كانوا كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها."[1] فهذا ونحوه يحتاج إلى إعمال فكر وانتباه وفطنة، ومثل هذه الأساليب البلاغية الخفية تزيد في بلاغة الكلام، وذلك لشغف النفس باكتشاف ما أخفي عنها، وهذا ما هو واضح في بيت أبي حية النميري هذا، فقد أخفى وجه الشبه لفسح المجال أما المتلقي ليحاول اكتشافه وتحديده، وأن يُعْمِلَ الفكر في ذلك، مما سيجلب انتباه السامع إلى هذا البيت، وهذا كله يَصُبُّ في شيء واحد هو رفع بلاغة هذا البيت.

ومن الأساليب البلاغية التي نلحظها في هذا البيت أسلوب التقديم والتأخير، فقد أخَّر جملة (أنظر) التي هي خبر(ظلَّ)، وجعله الشاعر آخر كلمة في البيت ،وكان لهذا التقديم والتأخير أثر بديع في إيجاز هذا البيت واختصاره، ووجه ذلك أنَّ تأخير الفعل (أنظر) ناب عن الفعل المحذوف خبر (كأَنَّ)،وكأنه صار مشترَكا بين (ظل) فهو خبرها و(كأنَّ) وهو خبرها أيضا، مما جعل في هذا البيت جمالية خاصة ناجمة عن اشتراك لفظة فيه بين عاملين أثنين، وهو من البديع النادر في الكلام، لاسيما إذا قُرِنَ هذا الأمر بالبساطة والسهولة في فهم المراد من البيت، فإنَّ هذا يزيد في بلاغته وبيانه.

وبناءً على ما سبق فإننا نلحظ أسلوبا آخر هو أسلوب الحذف، وهو أسلوب بليغ من أساليب الإيجاز والاختصار، وقد يؤدي إلى اتساعٍ في المعنى وكثافةٍ فيه، والحذف في هذه العبارة في خبر (كأنَّ)، وهو الجملة الفعلية (أنظر)، وهو مؤدٍّ لمعنى جميل في هذا البيت، وهو يشد انتباه المتلقي، وذلك من خلال تفكيره في هذا المحذوف، ومن جهة أخرى اشتراك العاملين في معمول واحد كما سبق، مما أعطى للبيت إيجازا واختصارا بليغاً وجمالية خاصة ترفع من درجة بلاغته وتجعله أبلغ ما قيل في بابه.،

4/- المستوى الدلالي:

أما دلالة هذا البيت ومعناه فهو معنى لطيف مناسب لغرض الغزل وفيه بيان لحال الشاعر، إذ وقف بدار أحبَّتِهِ فتوهمها، ثم تذكرها وعرفها، واسترجع ذكريات ماضيه له فيها، فاغرورقت عيناه من الدمع تحسرا وتوجعا،

[1]- عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ج3، ص 432.

وبقي ينظر إلى الدار كأنه ينظر من وراء زجاجة، فلا تتضح له الرؤية ولا تَتَبَيَّنُ الآثار[1]، وفي هذا المعنى عمق ورِقَّةٌ مناسبان تماما لغرض الغزل، وقد تضافرت عدة عوامل صوتية وصرفية، وعجمية وتركيبية من أجل تحقيق هذا المعنى، كما نلاحظ شيئا من الاضطراب في تركيب البيت،إذ لم يُرَكَّبْ على النسق المعتاد، مما يناسب الحالة النفسية التي يكون عليها الواقف على الطلل وهذا ما يقوي معنى البيت، ويعطيه جمالية متكاملة من جميع المستويات أَدَّت إلى جعله أبلغ ما قيل في بابه.

12- وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَّبْتَهَا وَإِذَا تُرَدَّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ.

وهذا بيت آخر من أبلغ الكلام، وهو لأَبِي ذُؤَيْبٍ الهُذَلِي شاعر هُذَيْل، وللوقوف على أسرار بلاغته نقوم بتحليله وفق المستويات التالية:

1/- المستوى الصوتي:

يتكون هذا البيت من واحد وأربعين صوتاً، يجمعها سبعة عشر حرفاً هي: الواو والهمزة واللام ،والنون والفاء والسين والراء وألف المد، والغين والباء والتاء والذال والهاء، والدال والقاف والعين والياء، وصفاتها مختلفة متنوعة وذلك لكثرتها النسبية، وتنوع الحروف المكوِّنة لهذا البيت،[2] إلا أننا نلاحظ بعض الحروف المتطابقة في صفاتها مثل حرفي الواو والياء[3].

وأما مخارج هذه الحروف فجاءت منوَّعة، على تفاوت في عدد الحروف في كل مخرج، فكان أقلها من حيث عدد الحروف مخرج الجوف بحرفين مدِّيَيْن هما الألف والياء، يليه مخرج الشفتان بثلاثة أحرف هي: الواو والفاء والباء، ثم مخرج الحلق بأربعة حروف هي: الهمزة والغين والهاء والعين، ثم مخرج اللِّسان بثمانية حروف هي: اللام والنون والسين، والراء والتاء والذال والدال والقاف، ونلاحظ الكثرة النسبية لحروف مخرج الحلق، مما يعطي قوة

[1]- ينظر: أحمد بن محمد الأصفهاني، شرح ديوان الحماسة، تح: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ، 2003م، ص 959.

[2]- ينظر: محمود علي بسة، فتح المجيد شرح كتاب العميد في علم التجويد، ص 69- 70.

[3]- ينظر: إيمان فتحي، فن تجويد الحروف، ص 154.

ووضوحًا لهذا البيت، لاسيما في صوت الهمزة والعين، وهو مناسب لمعنى البيت الذي فيه الحث على معالي الأمور والنهي عن سَفْسَافِهَا، فيُحتاج إلى قوة صوتية للتعبير عن هذا المعنى الجليل الفخم.

أما تفعيلات هذا البيت فجاءت على تفعيلات البحر الكامل (متفاعلن متفاعلن متفاعلن)، وهو بحر من البحور الطويلة التي يَصْعُبُ نظم الشعر عليها، إذ يتكون من ست تفعيلات متشابهة، وهو أكثر البحور أضربًا بتسعة أضرب، مع شيء يسر من الجواز في مثل هذا البحر، وهو تسكين المتحرك الثاني من بعض تفعيلاته، والذي يسمى عند العروضيين بالإضمار[1].

كما نلاحظ تناظرًا صوتيًا بين شطري البيت بعشرين صوتًا منطوقًا في كل شطر، مما يعطي البيت توازنا وسهولة في النطق، مناسبة لمعنى كل شطر مما يزيد في بلاغته.

2/- المستوى الصرفي والمعجمي:

يتكون هذا البيت من إحدى عشرة كلمة: ثلاثة أفعال، وثلاثة حروف،وخمسة أسماء، فأمَّا الأفعال فهي (رغَّبتها) و(تُرد) و(تقنع)، والحروف هي الواو في موضعين وإلى، وأَمَّا الأسماء فهي (النفس) و(راغبة) وإذا في موضعين و(قليل)، كما نلاحظ وجود توازن معجمي بين شطري البيت، وذلك بين (راغبة) و(تقنع)، وبين (إذا رغبتها) و(إذا ترد)،مما يزيد في بلاغة البيت ووضوح معناه،لاسيما إذا أضيف له التناظر الصوتي بين شطري البيت.

كما نلاحظ استعمال صيغة اسم الفاعل في الشطر الأول، وهي لفظة (راغبة) على وزن فاعلة، من الفعل الثلاثي (رَغِبَ) وهو يفيد الثبوت والاستقرار، وهذا ما يؤيد معنى البيت وهو أن النَّفس من طبيعتها الرغبة في الأمور، وهذا من صفاتها الملازمة لها، وإذا اتصفت بشيء كانت ملازمة له، قال ابن القيم رحمه الله في معرِض كلامه عن الروح وصفاتها:"وهي الأمَّارة بالسُّوء، وهي اللَّوامة وهي المطمئنة إلى ربها وأمره وذكره"[2] ، وهذه الصفات للروح والنفس كلها واردة في القرآن الكريم، وهي أسماء، إما صيغة مبالغة، أو اسم فاعل، وكلا الصيغتين

[1]- ينظر: محمود مصطفى، أهدى السبيل إلى علمي الخليل، ص 40.

[2]- محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزيه، الروح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، 1395 – 1975م، ص 149.

تدلان على الثبوت والاستقرار[1]، مما يدل على أن الأبلغ في وصف النفس أن يكون بما يدل على الثبوت والاستقرار.

كما نلاحظ أن الشاعر استعمل صيغة الفعل الدالة على الحدوث والتحول فيما يخالف طبيعتها وجِبلَّتِها فقال: (وإذا ترد إلى قليل تقنع)،ولم يقل هي قانعة،وذلك ليدل على أن النفس إذا أُخرِجت عن طبيعتها وأطاعت فهذا خلاف الأصل، وقد تعود إلى سالف عهدها إذا لم يتعاهدها صاحبها،وهذا من معنى قوله تعالى:﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾ [2]، فمن البلاغة وصف النفس حالة خروجها عن الأصل بما يدل على الحدوث والتجدد، وهذا ما فعله الشاعر هنا مما زاد من دقة تعبيره وبلاغة.

كما نلاحظ أن الشاعر استعمل البناء للمعلوم، وللَّذي لم يُسَمَّ فاعله في الأفعال، وفي هذا سرٌّ بديع ومعنى خفي، إذ أن الذي يحث نفسه، ويرَغِّبها إلى ما فيه هواها أو ما فيه نجاتها هو الإنسان نفسه صاحب النفس، لهذا صرَّح في الفعل بفاعله والمخاطب، أما فيما يخالف طبيعتها فإن الذي يعمل على ذلك ليس الإنسان صاحب النفس فقط، بل قد يفعل ذلك إنسان آخر أو عارض من عوارض الحياة، أو موعظة من المواعظ وغيرها، فناسب حذفُ الفاعل ليعم الأمرُ ويتسع المعنى، وهذا مما يزيد في بلاغة هذا البيت، وفي دقة تعبيره التي فاق بها ما جاء في بابه.

كما أن الشاعر أَبهم في موضعين: الموضع الأول في الأمر الذي ترغب فيه النفس فقال:"والنفس راغبة إذا رغبتها"، ولم يقل فيما هي راغبة، ليعم بذلك كل ما تُرَغَّب فيه من خير أو شر، والموضع الثاني في قوله :"وإذا ترد إلى قليل"، ولم يُبيِّن ما هو هذا القليل الذي تُرَدُّ إليه، فجاءت صيغة الاسم نكرة، وذلك لتعم كل قليل في المعاني كالأخلاق والصفات، وكل قليل من المحسوسات كالطعام والشراب واللباس ونحوها. وهذا أيضا مما يرفع درجة بلاغة هذا البيت لهذه الدقة العجيبة في اختيار الألفاظ المعبرة عن المعاني الدقيقة، والسليمة.

كما أنَّ الشاعر وُفِّقَ إلى حد بعيد في توظيف الاسم (النفس)، لأنه الاسم الأنسب للكلام عليها، فلم يقل الروح ولا الذات ولا غيرها من المرادفات، ولا أَدَّل على بلاغتها من ورود هذه اللفظة في القرآن الكريم الذي هو

[1]- فاضل صالح السامرائي، معاني الأبينة في العربية، ص9.

[2]- سورة يوسف، الآية 53.

أبلغ الكلام، في الكلام عن النفس، قال تعالى:﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾ [1] وقال أيضا:﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ٢﴾ [2] وقال أيضًا:﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧﴾ [3]، وغيرها من الآيات التي تتكلم عن النفس وهذا مما يزيد في بلاغة هذا البيت.

3/- المستوى التركيبي:

ونقف في هذا المستوى على إعراب هذا البيت، والأساليب التركيبية والبلاغية التي يحتويها، فأما إعرابه فهو على النحو الآتي: الواو: متعلقة بما قبلها، النفسُ: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، راغبةٌ: خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، إذَا: ظرف لما يستقبل من الزمان يتضمن معنى الشرط متعلق بجوابه مبني على السكون في محل نصب، رغَّبتها: رغب: فعل ماض مبني على السكون والتاء ضمير متصل مبني على الفتح في محل رفع فاعل، والهاء: ضمير متصل مبني على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة رغبتها جملة فعلية في محل جر مضاف إليه.

أما الشطر الثاني فإعرابه كالآتي: الواو:حرف عطف، إذَا: ظرف لما يستقبل من الزمان يضمن معنى الشرط غير الجازم متعلق بجوابه مبني على السكون في محل نصب، تُردُّ: فعل مضارع مبني للذي لم يسم فاعله مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هي، إلى قليلٍ: جار ومجرور، تقنعُ: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره والفاعل ضمير مستتر تقديره هي، وجملة (ترد إلى قليل) جملة فعلية في محل جر مضاف إليه، وجملة الشرط في الشطر الأول هي (إذا رغبتها) وجملة جواب الشرط هي(النفس راغبة)، وفي الشطر الثاني، جملة الشرط (وإذا ترد إلى قليل)، وجملة جواب الشرط هي (تقنع).

أما الأساليب التركيبية البلاغية في هذا البيت فنجد أسلوب التقديم والتأخير، فَقُدِّمت جملة جواب الشرط وأُخِّرَت جملة الشرط، وذلك لاهتمام بالمقدَّم وهو النفس، قال سيبويه في الكتاب:"كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم

[1]- سورة يوسف، الآية 53.

[2]- سورة القيامة، الآية 01- 02.

[3]- سورة الفجر، الآية 27.

لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كان جميعًا يهمانهم ويعيانهم"[1]، والمهتم به هنا هو النفس والكلام عليها، لذا ناسب أن تُقدَّم في الذكر ويُفتتح بها البيت. ومن جهة أخرى لكي يشد انتباه السامع الذي يتشوق لمعرفة الخبر عن هذا المبتدأ، ألَا وهو النفس، وهذا من البلاغة، إذ مثل هذه الأساليب تقع موقعًا جميلًا في نفسِ المتلقي وهذا من مرادات البلاغة، أي التأثير في المتلقي.

ومن الأساليب الموجودة في هذا البيت أيضا أسلوب الشرط، وهو موجود في الشطر الأول من البيت وفي الشطر الثاني، وهو من الأساليب الإنشائية التي لا تحمل في جملتها الصدق والكذب، مما يقوي معنى البيت ويزيده ثباتًا واستقرارًا، إضافة إلى الصيغ الاسمية التي تفيد الثبوت أيضا.

كما أن في استعمال أسلوب الشرط دلالة أخرى، فأما في الشطر الأول في قوله (والنفس راغبة إذا رغبتها) ،ففيه دلالة على أن النفس لا ترغب إلا إذا رُغِّبَتْ، فلا تفعل من تلقاء نفسها، وإنما هي مطيعة لصاحبها، وفي الشطر الثاني في قوله (وإذا ترد إلى قليل تقنع)، فيه أيضا أن قناعة النفس إنما هي بدوافع وعوارض، إمَّا من صاحبها أو غيره، فلا تقنع ولا تتأدب إلا إذا بَاشَرْتَ ذلك بنفسك.

وهذا المعنى المستفادُ من أسلوب الشرط في البيت دلَّ عليه القرآن والسنة، قال الله تعالى:﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾[2]، أي قد أفلح من زكى نفسه بعملٍ صالح، وقد خاب من أغواها[3]، والفعل في الآية الكريمة منسوب إلى العبد، وهو الذي يتولى إصلاح نفسه أو إفسادها. وأما من السنة النبوية فقول النبي صلى الله عليه وسلم:"إِنَّمَا العِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ وَإِنَّمَا الحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّ الخَيْرَ يُعْطَهْ وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يُوقَهْ"[4]، فالأخلاق الكريمة إنما تأتي بالمجاهدة والصبر، وكذلك الأخلاق الذميمة تأتي بإيعاز النفس ودفعها إليها،والمعنى إذا كان القرآن الكريم أو السنة النبوية وجاء كلام يحويه، ويعبِّرُ عنه بدقة كان ذلك الكلا أبلغ الكلام وأحسنه وأبينه.

[1]- سيبويه، الكتاب، ج1، ص 34.

[2]- سورة الشمس، الآية 9.

[3]- ينظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج24، ص 458.

[4]- سليمان بن أحمد الطبراني،مسند الشاميين،تح:حمدي السلفي،مؤسسة الرسالة،بيروت،لبنان،ط1، 1405هـ، 1984م،ج3،ص 209،رقم2103.

كما نلاحظ أسلوب التناظر في المعنى، والناتج عن المقابلة في اللفظ والمعنى[1]، وذلك بوصف النفس بمعنيين متقابلين، وهذا من بديع الكلام الَّذي يُضفي على البيت جمالا صوتيا، ورقة وسلاسة، مما يرفع من درجة بلاغته، لا سيما إذا أُضِيفَ له التناظر في الأصوات، والتناظر في الأبنية وفي معاني الألفاظ، فإن اجتماعها يجعل من العبارة أبلغ ما قيل في بابها.

4/- المستوى الدلالي:

وأما معنى هذا البيت فهو في وصف النفس البشرية، وبيان حالها، وأنَّ " النفس تنبسط إذا بُسِطَت وتَنْقَدِعُ إذا قُدِعَتْ...فإن النَّفس عَرُوفٌ أَلُوفٌ"[2]، فكيفما أردت بنائها بنيتها، وهذا في الحث على العمل على تكميل النفس، وأَلَّا تُتْرَكَ لهواها. فإنَّك متى أردت ترقيتها وتزكيتها ورفعها عن الرذائل فَعَلْتَ، ومتى أردت إنزالها إلى الحضيض وتدنيسها بالطمع، وسَيِّءِ الأخلاق فَعَلْتَ. فالنفس إذا لم تُشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية، وفيه الحث على القناعة والرضى، والتمسك بالعفة، والصبرُ على معالجة النفوس ومداومتها.

وهذا المعنى يدخل فيه جميع أنواع تزكية النفس والحض على ذلك، وفيها النَّهي عن كل الأخلاق الذميمة، وهذه المعاني وإن كان الشاعر جاهليا، فقد جاء الإسلام بإقرارها، وورد في القرآن الكريم،والسنة النبوية آيات وأحاديث كثيرة في هذا الباب، وهذا المعنى يدل على أنه كان في الجاهلية أخلاق حميدة، وقد جاء الإسلام بتهذيبها وتكميلها، قال عليه الصلاة والسلام:"إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ"[3]، لذا نجد كثيرا من علماء المسلمين يستدلون ببيت أبي ذؤيب الهذلي هذا عند كلامهم على تربية النفوس، وتهذيبها وتزكيتها، والمعنى إذا كان في الكتاب أو السنة، وجاء من عَبَّرَ عليه بدقة صوتية وصرفية ومعجمية وأسلوبية، كما فعل أبو ذؤيب هنا، كان مثل هذا الكلام أبلغ الكلام في بابه، ولا عجب بعد أن وقفنا على أسرار هذه الدِّقة والتناظر أن يحكم الأصمعي

[1]- ينظر: ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج3، ص 144.

[2]- الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج1، ص 614.

[3]- أحمد بن عمرو بن الخالق البزار، البحر الزخار مسند البزار، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 2009م، ج15، ص 364، رقم 8949.

عليه بقوله:" إني لأعجب كيف لم يُقَلْ إنَّ أشعر بيت قالته العرب (والنفس راغبة إذا رغبتها) وذكر البيت"[1]، ولاشك أنه من أبرع كلام العرب، لما فيه من الدقة والبراعة.

13- وَأَمَّا الفِعْلُ فَأَمْثِلَةٌ أُخِذَتْ مِنْ لَفْظِ أَحْدَاَثِ الأَسْمَاءِ، وَبُنِيَتْ لِمَا مَضَى، وَمَا يَكُونُ وَلَمْ يَقَعْ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ لَمْ يَنْقَطِعْ.

وهذه عبارة أخرى من أبلغ الكلام، وهي لسيبويه إمام النحو في كتابه الفريد (الكتاب) وللوقوف على أسرار بلاغتها نقوم بتحليلها وفق مستويات هي:

1/- المستوى الصوتي:

تكوَّنت هذه العبارة الطويلة نِسْبِيًا من سبعة وسبعين صوتا، يجمعها ثلاثة وعشرون حرفا هي: الحروف الأبجدية ما عدا الجيم والصاد والزاي، والغين والشين والراء. وتنوعت صفاتها لتنوع الحروف وكثرتها[2] ،إلا أننا نلاحظ وجود الحروف المتطابقة في الصفات، والمتماثلة في أغلبها أيضا، فأما المتماثلة في كل الصفات فهي:حرفا الكاف والتاء، وحرفا النون والميم، وحرفا الواو والياء، وحرفا الثاء والحاء، وأما الحروف المتَّحدة في أغلب الصفات فمثل الهاء والحاء، وحرفا السين والثاء، وحرفا الضاد والظاء[3]، وهذا مما يعطي لهذه العبارة سهولة في النطق وسلاسة في المسمع.

وأما مخارج هذه الحروف فجاءت شاملة للمخارج الأربعة المعروفة على تفاوت في الحروف لكل مخرج، فنجد لمخرج الجوف حروفه المدية كلها: الواو والياء والألف، ولمخرج الحلق خمسة حروف هي: الهمزة والعين والهاء والحاء والخاء وللشفتان كل الحروف وهي: الواو والياء والفاء والميم، وللِّسان كل الحروف إلا حرف الزاي والشين والراء والصاد والجيم أي له ثلاثة عشر حرفا.

[1]- محمد بن حسن الحاتمي، حلية المحاضرة، ج1، ص 136.

[2]- ينظر: محمود علي بسة، فتح المجيد شرح كتاب العميد في علم التجويد، ص 69-70.

[3]- ينظر: إيمان فتحي، فن تجويد الحروف، ص 154.

كما نلاحظ أن الجمل الأربع المكَوِّنَةِ لهذه العبارة كلها مُبْتَدَأَة بحرف العطف الواو، كما نلاحظ إبتداء العبارة بأطول جملة، وهي مكونة من سبعة وثلاثين صوتا، وتليها أقصر جملة، وهي مكونة من أحد عشر صوتا فقط، ثم تعقبها جملة أكثر منها أصواتا بقليل وهي المكونة من ثلاثة عشر صوتا، ثم تليها الجملة الأخيرة، وهي أكثر منها أصواتا بستة عشر صوتا، مما يعطي هذه الجملة سلاسة في المنطق، فيبدأ القارئ بأطول جملة، ثم يستريح بقراءة أقصر جملة، ثم يتدرج بعد ذلك في طول الجمل .

مما يعطي القارئ راحة في القراءة مما يعنيه على استيعاب معاني ما يقرأ، وهذا من الأمور التي ترفع في درجة بلاغة الكلام إذا استيعاب المتلقي للكلام من أهداف البلاغة ومقاصدها المهمة.

2/- المستوى الصرفي والمعجمي:

تَكَوَّنَت هذه العبارة من خمس وعشرين كلمة، منها ستة أفعال هي: (أُخذت) و(بُنيت) و(مضى) و(يكون) و(يقع) و(ينقطع)، عشرة حروف هي: الواو في خمسة مواضع، وأما واللام في (لما) ولم في موضعين ومن، وتسعة أسماء هي (الفعل) و(فأمثلة) و(لفظ) و(أحداث) و(الأسماء) و(ما الموصولة) في موضعين، و(هو)و(كائن)، ونلاحظ كثرة الأفعال وذلك مناسب لمعنى هذه العبارة التي يَحكِي فيها سيبويه عن عمل وأحداث أدت إلى إنشاء العربية، ويَخُصُّ هنا الأفعال، وكيف تم اشتقاقها، وجَعْلِ الأزمنة الثلاثة منها، ومن معاني الأفعال الحدوث[1]، وهذه الأعمال قد حدثت، ومضى زمانها فناسب التعبير عنها بصيغة الفعل.

كما نلاحظ توظيف الأفعال المبنية للذي لم يُسَمَّ فاعله في موضعين هما: (أُخذت) و(بُنيت)، وهذا مناسب لمعنى هذه العبارة، إذ لا يُعلم من قام باشتقاق الأفعال، وصياغة الأزمنة الثلاثة منها، لذا ناسب الكلام عنه بهذه الصيغة، كما نلاحظ استعمال اسم الفاعل (كائن) من الفعل (كان) الثلاثي، وهو دال على الثبوت والاستقرار، وهو مناسب لمعنى الجملة الرابعة التي تتحدث عن الدوام في صيغة المضارع، فناسب التعبير عنها بما يفيد الثبوت والاستقرار[2].

[1]- ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية في العربية، ص 9

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 45.

كما نلاحظ البساطة في الألفاظ المكوِّنة لهذه العبارة، والأُلفة فيها، وعدم الغرابة، واختيار الألفاظ البسيطة والسهلة في معانيها، دون أن يكون فيها إلحاق كثير،أو طول أو ثقل،مما يزيد في بلاغة هذه العبارة لسهولة فهمها على المتلقي، وتأثيرها فيه، وهذا من أهداف الكلام البليغ وسماته"ويقال: أبلغ الكلام ما سابق معناه لفظه،"[1] أي أن يكون المعنى واضحا، واللفظ سهلا بَيِّنَا، حتى كان المعنى يصل إلى الذهن قبل أن يصل اللَّفظ إلى السمع.

3/- المستوى التركيبي:

نقف في هذا المستوى على إعراب هذه العبارة، وما تحويه من أساليب تركيبية وبلاغية، فأما إعرابها فهو على النحو الآتي:

الواو: حرف عطف، أمَّا: أداة شرط وتفصيل وتوكيد، الفعل: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، الفاء: الرابطة لجواب الشرط، أمثلةٌ: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، أُخذت: فعل ماض مبني للذي لم يسم فاعله مبني على الفتح، وتاء التأنيث الساكنة لا محل لها من الإعراب ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هي، من لفظِ: جر ومجرور وهو مضاف، أحداثِ: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره وهو مضاف، الأسماءِ: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، وجملة (أُخذت) جملة فعلية في محل رفع خبر، وجملة (أمثلة أخذت) جملة جواب الشرط غير الجازم لا محل لها من الإعراب.

أما الجملة الثانية فإعرابها على النحو الآتي: الواو: حرف عطف، بُنيت: فعل ماضي مبني للذي لم يسم فاعله، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هي، اللام: حرف جر، مَا: اسم موصول مبني على السكون في محل جر اسم مجرور باللام، مَضَى: فعل ماض مبني على السكون, والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، وجملة (وبُنيت لما مضى) معطوفة على ما قبلها.

وأما الجملة الثالثة فإعرابها كما يلي: الواو: حرف عطف، مَا: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، يكونُ: فعل مضارع تام مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة علة آخره، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، الواو: حرف عطف، لَمْ: حرف جزم ونفي وقلب، يَقَعْ: فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه السكون الظاهر

[1]- ابن قتيبة الدنيوري، عيون الأخبار، ج2، ص 189.

على آخره، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، والجملة الفعلية (ولم يقع) في محل نصب حال من ما الموصولة، والجملة الاسمية (ما يكون ولم يقع) جملة معطوفة على ما قبلها وجملة (يكون ولم يقع) في محل رفع خبر ما الموصولة.

وأما الجملة الرابعة فإعرابها كما يلي: الواو: حرف عطف، مَا: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، هُوَ: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، كَائِنٌ: خبر (هو) مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، لَمْ: حرف جزم ونفي وقلب، يَنْقَطِعْ: فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه السكون الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، والجملة الفعلية (لم ينقطع) في محل نصب حال لـ(هو)، وجملة (هو كائن لم ينقطع)، جملة اسمية في محل رفع خبر ما الموصولة، والجملة (ما هو كائن لم ينقطع) جملة معطوفة على ما قبلها.

ومن خلال هذا الإعراب يتبين لنا شدة الصلة بين عناصر هذه العبارة، وقوة الالتحام بينها، مما يجعل هذه العبارة بنية متماسكة متكاملة، وهذا من سمات الكلام البليغ، فهذه الجمل الأربع شكلت نصًّا متماسك الأجزاء ومتكامل الوظائف، مما يرفع درجة بلاغة هذا الكلام ويزيد من حسنه وبيانه.

أما الأساليب التركيبية في هذه العبارة فنجد أسلوب الشرط غير الجازم، الذي تؤديه الأداة (أَمَّا)، وهو أسلوب من شأنه تقوية معنى الجملة وتجليتها، ومن شأنه أيضا المساهمة في تماسك النص وتكامله، وذلك لأنه يجمع بيم جملتين، ويحتاج فيه إلى الفاء الرابطة لجواب الشرط، فتكون جملة الشرط وجملة جواب الشرط مترابطتان بأقوى رابط تركيبي، كما نلاحظ كثرة أدوات الربط بين الجمل مما يساهم في التماسك النَّصي، ومنها حرف العطف الواو والذي أدى إلى تعاطف كل جمل هذه العبارة، وبالتالي تماسكها، وتماسك النص كله[1].

كما نلاحظ تقابلا في الجملتين الأخيرتين فنلحظ تشابها في تراكيب الجمل في قوله (وما يكون) وقول (وما هو كائن)، وبين قوله (ولم يقع) وبين (لم ينقطع)، وهذا التناسب والتشابه بين الجمل يعطي للكلام جمالية،

[1] – ينظر:إيهاب عبد الحميد سلامة،شرحا أبي العلاء والخطيب التبريزي على ديوان أبي تمام دراسة نحوية صرفية، كلية العلوم،القاهرة،مصر،ط1،2012م، ص264

وسهولة في النطق، وسلاسة في السمع، وهذا من سمات البلاغة أيضا قال أبو منصور الثعالبي:" أبلغ الكلام ما يؤنس مسمعه، ويؤيس مصنعه."[1] فعد من صفات أبلغ الكلام حسنه في مسمع المتلقي، وهذا ما يتحقق في عبارتنا في الجانب الصوت،ي وفي ما يحققه تقابل هذه الجمل.

كما أن أسلوب الإيجاز كان واضحا في هذه العبارة، ويظهر ذلك جليا في بناء فعلين لما لم يُسَمَّ فاعله، أي حذف الفعل وإنابة المفعول به مكانه، ثم حذف نائب الفاعل أيضا واقتصر على الفعل، وحصر الفائدة فيه، وكذلك حذف الفعل في باقي الأفعال الخمسة فجاء ضميرا مستترا، كما حُذِفَ الضمير هو في قوله (وأما الفعل فأمثلة)، وكان يمكنه التعبير بقوله (وأما الفعل فهو أمثلة) فحذف ضمير الشَّأْنِ، كما تجنب تَكرار الفعل(بُنيت)، الذي كان بإمكانه جعله في الجملة الثالثة والرابعة، فيقول مثلا:" وبُنيت لما يكون ولم ينقطع، وبنيت لما هو كائن لم ينقطع"، وتجنب هذا التكرار من الإيجاز الملازِم للبلاغة، كما نلاحظ الأسلوبَ العمليَّ المباشرَ، الذي يَصِلُ بالمتلقي إلى الفائدة المرجوة، والمعنى المراد بأقصر طريق وهذا من البلاغة أيضا، قال أبو منصور الثعالبي في وصف أبلغ الكلام:" أبلغ الكلام ما حسن إيجازه وقل مجازه، وكثر إعجازه وناسبت صدوره أعجازه."[2] فحسن الإيجاز وقلة المجاز أي: استعمال الأسلوب المباشر ومنه الأسلوب العلمي من سمات أبلغ الكلام، وهذا ما يتحقق في عبارة سيبويه هذه.

4/- المستوى الدلالي:

يذكر سيبويه في هذه العبارة أصل اشتقاق الفعل وأنه مأخوذ من المصدر، ثم بَيَّنَ أزمنة الفعل، وإنها ثلاثة، فالجملة الأولى لاشتقاق الفعل، والجمل التي بعدها لكل زمن من أزمنة الفعل جملة، فالزمن الأول هو الذي عَبَّرَ عنه بقوله (وبُنيت لما مضى)، وهذا الزمن ليس هو الزمن الماضي كما نعرفه، بل هو أدق منه فهو يعني الزمن "المقترن بالفعل الماضي الذي يدل على فعل وقع قبل زمن الإخبار به كقوله " ذهب الرجل" ولكن يَخْرُج منه الفعل الذي هو على مثال الماضي أيضا، ولكنه لا يدل على وقوع الحدث في الزمن الماضي نحو قولك في الدعاء: "غفر

[1]- أبو منصور الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، ص 158.

[2]-المرجع نفسه، ص 158.

الله لك" فإنَّه يدخل في الزمن الثاني،"[1] فأَخْرَجَ سيبويه بهذه العبارة الفعلَ الذي صورته الصرفية على بناء الماضي ،ولكن معناه لا يدل على الماضي.

وأما الزمن الثاني الذي عبر عنه بقوله (وما يكون ولم يقع)، فهو الفعل المقترن "بزمن مبهم مطلق معلق لا يدل على حاضر ولا مستقبل"[2] مثل فعل الأمر فهو لا يدل على الحاضر ولا المستقبل، لأنه لم يقع بعد لكنه يوجد عند وقوع الفعل، ويدخل في هذا الزمن أيضا ما كان على صيغة النهي، وكان الفعل فيه مضارعا كقولك (لا تذهب)، فهو لا يدل على حاضر ولا مستقبل، بل هو في زمن مبهم ولكنه يقع إذا امتنع المنهِيُّ عن الذهاب، وكذلك الماضي في حالة الدعاء، فهو داخل في هذا الزمن أيضا، لأنه لا يفيد زمن الماضي، بل هو مقترن بزمن مبهم مطلق، نحو قولك (غفر الله لك)، فأنت لا تريد الإخبار أن الله قد غفر لك، ولكن تريد غفرانا يكون من الله، وقد يقع وقد لا يقع، فزمنه معلَّق مُبهم غير معلوم حتى يقع.

أما الزمن الثالث فهو الذي عبر عنه بقوله (وما هو كائن لم ينقطع)،أي متصلٌ،" فإنَّه خبر عن حدث كائن حين تخبر عنه"[3]، مثل الفعل المضارع الذي يفيد وقوع الفعل في زمن التكلم وهو مستمر بعد زمن التكلم، كقولك (فلان يدرس في الجامعة)، فإنَّك تخبر عن دراسة واقعة ولا زالت مستمرة حتى بعد زمن التكلم، ومما يدخل في هذا الزمن أيضا "الفعل الماضي كقوله تعالى"{ وكان الله غفورا رحيما}، فهو خبر عن مغفرة كانت ولا أول لها، وهي كائنة أبدا لا انقطاع لها، لأنها من صفات الله سبحانه هو الأول والآخر"[4]، فهذا الزمن وإنْ كان ماضيا فهو لا يفيد المِضِيَّ والانقطاع، بل يفيد الوجود والاستمرار.

فنلاحظ أن سيبويه ذكر في هذه العبارة الوجيزة أزمنة الأفعال، ولم ينظر إلى بنائها الصرفي فقط، بل إلى دِلالتها على الزمان، وبذلك تكون هذه الأزمنة أَعَمَّ وأَشمل من أن تُقْصَرَ على بناء الأفعال، دون النظر إلى دلالاتها، إذ لو نظرنا إلى الأبنية دون الدلالات لاختلت كثير من المعاني في الكلام العربي، مثل قوله تعالى:﴿

[1]- محمود شاكر، المتنبي، ص 12.
[2]- المرجع نفسه، ص12.
[3]- محمود شاكر، المتنبي، ص 13.
[4]- المرجع نفسه، ص13.

وَأُخۡرَىٰ لَمۡ تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهَا قَدۡ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ﴿٢١﴾ [1]، فإنَّ الماضي في الفعل (كان) لا يفيد الماضي الذي انقضي، بل يفيد الوجود وعدم الانقطاع،وهذا موجود في آيات كثيرة.

وهذا المعنى المستقيم،والنظرة الشاملة من إمَام العربية سيبويه هي نظرة صحيحة سليمة، موافقة لمعاني القرآن الكريم وهو "قد استطاع في جملة واحدة قصيرة لا تتجاوز سطرا واحدا، استطاع أن يُلِمَّ بجميع الأزمنة المقترنة بأمثلة الفعل، دون أن يُخِلَّ بشيء منها، فهي جملة محكمة شديدة الأحكام، عجز النحاة من بعده أن يُلِمُّوا بها في حدودهم التي كتبوها عن حد الفعل، فأيُّ رجل مبين كان سيبويه " ، ويضاف إلى هذه الدقة في المعاني الدقة في التراكيب والمباني من حيث ما ذكرنا من تناسب الأصوات وتناظرها، وتناظر الأبنية والتناظر المعجمي، مع الدِّقة في اختيار الكلمات المناسبة، وسهولتها وصياغةِ الأسلوبِ ودِقَّتِه، مما جعلها أبلغ ما قيل في معناها.

[1]- سورة الفتح، الآية 21.

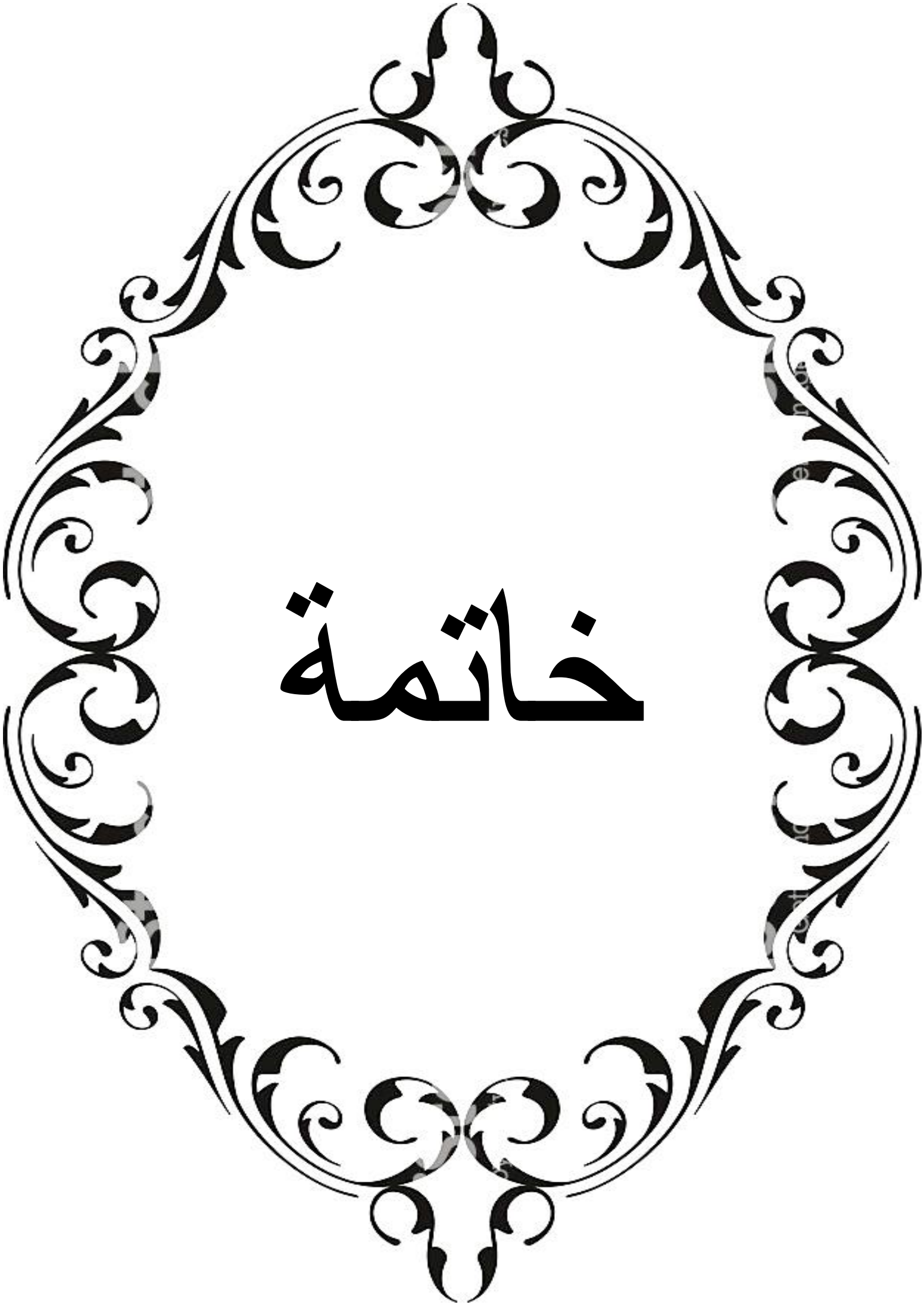
خاتمة

بعد هذا البحث حول مسألة أبلغ الكلام، والتعرُّض لها بالجمع والتحليل ،ومحاولة كشف أهم ما يميزها عن غيرها خلصنا إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- وجود اختلاف بين الفصاحة والبلاغة، وأنَّ الفصاحة مقصورة على مباني الكلام، والبلاغة أعمّ، وعلى هذا استقر الدرس البلاغي من زمن السكاكي إلى اليوم.
- عدم إمكانية إعطاء تعريف شامل للفصاحة والبلاغة، وذلك لتعد الموصوفات بها، مما جعل العلماء يعرِّفونها بتعريف أجزائهما.
- اشتراط الفصاحة في الكلام البليغ ولا عكس، وأنَّه لا يوجد كلام بليغ دون أن يكون فصيحا أولًا.
- وجود مفهوم أبلغ الكلام عند العلماء المتقدمين وإقرار بعض المتأخرين له وتعرضهم لذكره، واهتمامهم بجمعه، وتصنيفهم الكتب والفصول من الكتب فيه.
- تعبير العلماء عن مفهوم أبلغ الكلام كان بعبارات مختلفة ومتنوعة، تدور كلها حول معنى واحد هو أَنَّه الكلام الذي لا يمكن تأليف مبنى مثله في معناه، وأنَّه القمة في هرم البلاغة.
- انقسام البلاغة إلى قسمين: بلاغة ذاتية وهي المتعلقة بذات الكلام، وبلاغة خطابية وهي المرتبطة بالمتلقي.
- الضوابط التي يمكن أن نميِّز بها أبلغ الكلام عن غيره، خمس ضوابط هي: ضابط التذوق، وضابط كلام العربي البليغ، وضابط كلام العالم المعتبر، وضابط اشتهارها في بابها، وضابط ترك غيرها إليها.
- قُدْرَةُ الخلفاء والأمراء، والوجهاء عموما على تمييز أبلغ الكلام عن غيره، واستشهاد العلماء بأقوالهم في ذلك، وذلك لكثرة ما يَرِدُ عليهم من الشِّعر، وتقريبهم للفصحاء والعلماء، ومجالستهم لهم، إضافة إلى تَأَدُّبِهِم وتَعَلُّمِهِم وتَرْبِيَتِهِم على يد أكابر العلماء.
- بذل كثير من العلماء الجهد في تصنيف الكتب في أبلغ الكلام، لِمَا رأوا فيه من الجودة والبراعة، والحسن والبلاغة، ودِلالته على فضل قائله وحافظه.

- وجود خلاف بين العلماء والفصحاء في تحديد أبلغ الكلام في بعض المعاني، وذلك لرؤية كل عالم لجهة من البلاغة، فيما يفضله من كلام لا ينظر إليها الآخر، كما أنهم أجمعوا على كثير من العبارات وجعلوها أبلغ ما قيل في بابها.
- إقرار العلماء على ندرة أبلغ الكلام، وصعوبة اختياره وتفضيله والحكم عليه، مما جعل كثيرا منهم ينصرفون عن الكلام فيه، وذلك لكثرة العبارات في كل باب، وصعوبة الإحاطة بها، إضافة إلى وجود عبارات كثير بليغة، وشديدة البلاغة، مما يُصَعِّبُ إقصاء جُلِّهَا، واختيار واحد منها.
- صعوبة الوصول إلى قول عبارة من أبلغ الكلام، وأن هذا لا يقع للبليغ إلا في النادر جدًا، مما يرفع من قَدْرِ قائلها عند العرب،وأرباب البلاغة.
- من شرط الكلام البليغ السلامة من عيوب البلاغة، ومن عيوب الفصاحة قبلها، لذا لم نتكلم عليها في الجانب التطبيقي، لاستحالة وجودها فيما يرشَّحث أَنَّه أبلغ الكلام.
- من أسرار أبلغ الكلام التناظر: الصوتي والصرفي والمعجمي، وذلك بأَنْ نجد في أجزاء أبلغ الكلام عددا من الأصوات، أو الكلمات أو الأبنية الصرفية، أو المعاني المعجمية،وفي الطرف المقابل لها ما يماثلها أو يقابلها.
- دِقَّةُ استعمال الأوزان الصرفية في أبلغ الكلام، وارتباط ذلك بالدِّلالات المراد التعبير عنها.
- الدِّقة في استعمال الأصوات التي تتناسب مع المعاني في أبلغ الكلام.
- الدِّقة في توظيف صيغ الأفعال، وصيغ الأسماء بما يناسب المعاني المنشودة، لاسيما في جانب الثبوت والاستقرار، وجانب الحدوث والتجدد.
- شرف معاني عبارات أبلغ الكلام وانه لا يوجد فيها معنى منحط أو شيء أو قريب منهما إلا ما كان في باب الذم والهجاء وهو مستحسن في بابه.
- دقة التصوير وبراعة التشبيه في أبلغ الكلام، وأَنَّ هذا من أهمِّ ما يجعلها في قمة البلاغة.

مكتبة البحث

مكتبة البحث:

-القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

المصادر:

- إبراهيم بن علي الحصري ، زهر الآداب وثمر الألباب ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1421 هـ ، 2001 .
- إسماعيل بن عمر بن كثير تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر و التوزيع، ط2، 1420هـ، 1999م.
- إيمان فتحي ،فن تجويد الحروف، ، دار سبل السلام، الفيوم، مصر، ط1، 1433هـ، 2012م.
- حامد عوني ، المنهاج الواضح للبلاغة ، المكتبة الازهرية للتراث ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، د.س .
-شهاب الدين النويري ،نهاية الأرب في فنون الأدب،دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان ، ط1 ، 1424 هـ ، 2004 م .
- عبد الرحمن بن حسن الميداني ، البلاغة العربية ، دار القلم ، دمشق ، سوريا ، ط1 ،1416 هـ .
- عبد القاهر الجرجاني ، الرسالة الشافية ، دار المعارف ، مصر ، ط3 ، 1976 م ، ص 139 .
- فاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية في العربية، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1436هـ، 2015م.
- محمود شاكر ، المتنبي ، مطبعة المدني ، القاهرة ، مصر ، د.ط ، 1407 هـ ، 1987 م .
- أبو منصور الثعالبي ، أحسن ما سمعت ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1421 هـ ، 2000 م .
-أبو منصور الثعالبي ، الإعجاز و الإيجاز ، دار الغصون ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 1405هـ ، 1985 م .
-أبو منصور الثعالبي ، خاص الخاص ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت .
-محمد بن أيدمر المستعصي ، الدر الفريد و بيت القصيد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1436 هـ ، 2015 م .
- محمود علي بسة ،فتح المجيد شرح كتاب العميد في علم التجويد ،دار العقيدة ،القاهرة ،مصر ،ط1 ،1425هـ .

المراجع:

-ابن آجروم ، متن الآجرومية ، دار الصميعي ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، د.ط ، 1419 هـ ، 1998 م .
- أحمد بن يحيى الشيباني ، قواعد الشعر ، تح: رمضان عبد التواب ،مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ط2 ، 1995 م .
- أحمد بن إبراهيم الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات و إنشاء لغة العرب، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، د.ط ، د.ت ،.
- أحمد بن حسن الخباز ، توجيه اللمع ، دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع و الترجمة ، جمهورية مصر العربية ، ط2 ، 1428 هـ .
- أحمد بن عبد الحليم ابن تيمة ، الفتاوى الكبرى ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1408 هـ، 1987 م .
- أحمد بن عبد الحليم ابن تيمة ،مجموع الفتاوي ،تح: أنور الباز- عامر الجزار ،دار الوفاء ،مصر ،ط3 ،1426هـ ،2005م.

– أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، النبوات، تح: عبد العزيز الطويان، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1420هـ-2000م.
– أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، العقيدة الواسطية ، أضواء السلف ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط2 ، 1420 هـ ، 1999 م.
– أحمد بن علي القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط1 ، 1987 م .
– أحمد بن عمر الحازمي ، شرح مائة المعاني و البيان ، المكتبة الشاملة 3 .
– أحمد بن محمد الأصفهاني، شرح ديوان الحماسة، تح: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ، 2003م.
– أحمد بن محمد الشرواني ، نفحة اليمن فيها يزول بذكره السجن ، مطبعة التقدم العلمية ، مصر ، ط1 ، 1324 هـ .
– أحمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.
– أحمد بن محمد بن خلكان، وفيات الأعيان و أنباء الزمان، دار الثقافة، عمان، الأردن، د.ط، 1968م.
– أحمد بن يوسف التيفاشي ، سرور النفس بمدارك الحواس الخمس ، تح: إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1980 .
– أحمد قبس ، معجم الحكم و الأمثال في الشعر العربي ، المكتبة الشاملة 3 .
– أحمد مختار عمر ، البحث اللغوي عند العرب ، عالم الكتب ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط8 ، 2003 م .
– أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1429هـ، 2008م.
– أحمد بن يحيى ثعلب ، مجالس ثعلب ، دار المعارف ، مصر ، ط2 ، 1938 م .
– أسامة ين منقذ ، لباب الآداب ، مكتبة السنة ، القاهرة ، مصر ، ط2 ، 1407 هـ ، 1987 .
–أبو إسحاق البونسي ،كنز الكتاب و منتخب الآداب ، تح: حياة قارة ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، الإمارات العربية المتحدة ، د.ط ، 2004 .
– إبراهيم بن محمد المنجم ، التشبيهات ، تح: محمد عبد المعيد خان ، مطبعة جامعة كمبردج ، بيرطانيا ، ط1 ، دت.
– إسماعيل بن حماد الجوهري،الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية ،دار العلم للملايين ،بيروت،لبنان ،ط4 ، 1407 هـ
– أبو بكر الباقلاني ، إعجاز القرآن ، دار المعارف ، مصر ، ط5 ، 1997 م .
– أبو بكر الخوارزمي، الأمثال المولدة، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، د.ط ، 1424 هـ .
– جار الله الزمخشري ، المستقصى في أمثال العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ط1، 1987م
– الحسين بن أحمد الزوزني،شرح المعلقات السبع ، دار إحياء التراث العربي ، ط1 ، 1423 هـ ، 2002 م .
– الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، تح: بشار عواد ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1422 هـ ، 2002 م .

- ابن رشيق القرواني ، العمدة في محاسن الشعر و آدابه ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط5 ، 1401 هـ .
- زيد بن عبد الله الهاشمي، الأمثال، دار سعد الدين، دمشق، سوريا، د.ط ، 1423 هـ .
- السري بن أحمد السري الكندي الرفاء ، المحب و المحبوب و المشموم و المشروب ، تح : مصباح غلا و نجى ، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، ط1، 1407 هـ، 1986 م.
-ابن الشجري، أمالي ابن الشجري، تح: محمود محمد الطناجي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1413هـ، 1991م.
- صدر الدين المدني، أنوار الربيع في أنواع البديع، المكتبة الشاملة 3.
- الطيب المتنبي، ديوان أبي الطيب المتنبي، دار بيروت للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ط، 1403هـ، 1983م.
-ابن أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، ط1، 1426هـ، 2005م.
-أبو الفرج الأصفهاني ، الأماني ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، د.ت .
-أبو الفضل الميداني، مجمع الأمثال، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.
- المعافى بن زكريا ، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1426،1 هـ، 2005 م .
-ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، دار النوادر، دمشق، سوريا، ط1، 1429 هـ، 2008.
- الأمير الصنعاني ، التحبير لإيضاح معاني التسيير ، تح: محمد صبحي حلاق ، مكتبة الرشد ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط1، 1433 هـ ، 2012 م.
- إميل بديع يعقوب ، المعجم المفصل في شواهد العربية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1417 هـ ، 1996
-أبو بكر ابن دريد الازدي، جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1987م.
-أبو بكر البيهقي ، شعب الإيمان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1410 هـ .
-أبو بكر بن أبي شيبة ، الكتاب المصنف في الأحاديث و الآثار ، تح: كمال الحوت ، مكتبة الرسن ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط1 ،1409 هـ
- بهاء الدين السبكي ، عروس الأفراح في تلخيص المفتاح ، المكتبة العصرية للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1423 هـ ، 2003 م .
- جار الله الزمخشري ، المستقصى في أمثال العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1987
- جعفر النحاس، عمدة الكتاب، دار ابن حزم، القاهرة، مصر، ط1، 1425هـ، 2004م.
- جلال الدين السيوطي ، المزهر في علوم اللغة و أنواعها ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1418 هـ .
- جلال الدين القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، د.ت .
-ابن جني، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط4، د.س .

– جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار ساقي ، بيروت ، لبنان ، ط4 ، 1422 هـ ، 2001 م .
–ابن حجة الحموي ، ثمرات الأوراق في المحاضرة ، مكتبة الجمهورية العربية ، مصر ، د.ط ، د.ت .
–ابن حجة الحموي ، خزانة الأدب و غاية الأرب ، دار و مكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، ط: الأخيرة ، 2004 .

–ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ.

–أبو حسن القطان ، الإقناع في مسائل الإجماع ، تح : حسن فوزي الصعيدي ، الفاروق الحديثة للطباعة و النشر ، ط1 ، 1424 هـ – 2004م .
– الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، دار إحياء التراث العربي، الكويت، ط1، 1423هـ، 2002م.
– الحسين بن مسعود البغوي ، شرح السنة ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1403 هـ ، 1983 م.
–أبو حيان البستي ، روضة العقلاء و نزهة الفضلاء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1397– 1977 .
–أبو حيان التوحيدي، أخلاق الوزيرين، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، 1412هـ، 1992م.
– أبو حيان التوحيدي، البصائر و الذخائر، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1408 هـ، 1988 م.
– الخليل بن أحمد الفراهيدي ، معجم العين ، دار و مكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت .
– ابن دريد المجتنى ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند ، ط2 ، 1962.
– الراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء و محاورات الشعراء والبلغاء ، شركة الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1420 هـ .
–ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر و آدابه ، تح : محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط5 ، 1401 هـ ، .1981
– زهير بن أبي سلمى، ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ، 1988م.
– زيد بن علي الفارسي ، شرح كتاب الحماسة ، دار الاوزاعي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، د.ت .
– زين الدين الحنفي ، مختار الصحاح ، المكتبة العصرية ، الدار النموذجية ، بيروت ، صيدا ، لبنان ، ط5 ، 1420 هـ ، 1999 م.
– زين الدين محمد المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1، 1356هـ.
–ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، تح : محمود شاكر ، دار المداني ، جدة ، المملكة العربية السعودية .
–ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1402 هـ.
– سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1408هـ، 1988م.
– الشريف المرتضي ، غرر الفوائد و درر القلائد ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 1373 هـ –1954 م .

– شمس الدين الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، تح: مجموعة من المحققين ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ، لبنان، ط3، 1405 هـ – 1985 م .

– شمس الدين الكرماني، تحقيق الفوائد الغياثية، مكتبة العلوم و الحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1424 هـ .

– شهاب الدين الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، دار صادر، بيروت، لبنان ،د.ط،د.ت.

– صاحب بن عباد ، الأمثال السائرة من شعر المتنبي ، تح : محمد حسن أل ياسين ، مكتبة النهضة ، بغداد ، العراق ، ط1 ، 1385 هـ -1965 م .

– الصاحب بن عباد، الكشف عن مساوي شعر المتنبي، مكتبة النهضة ، بغداد، العراق، ط1 ، 1385هـ ، 1965 م .

– صفي الدين الحلي، ديوان صفي الدين الحلي، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

– ضياء الدين ابن الأثير، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام و المنثور، تح: مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي، دمشق، سوريا، د.ط، 1375هـ.

– ضياء الدين بن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ، المكتبة العصرية للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، 1420 هـ.

– الطيب بن عبد الله الحضرمي، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، دار المنهاج، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1428 هـ، 2008

– عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط16، 2013م.

– عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري ، نزهة المجالس و منتخب النفائس، المطبعة الكاستلية ، مصر، د.ط ، 1283 هـ .

– عبد العزيز بن باز ،الحلل الابريزية من التعليقات البازية على صحيح البخاري ، ، دار التدمرية للنشر و التوزيع ، المملكة العربية السعودية ، ط1 ، 1418 هـ ، 2007 م ، ج4 .

– عبد العظيم بن ظافر البغدادي، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القران، الجمهورية العربية المتحدة، الكويت،د.ط،د.ت.

– عبد القادر بن عمر البغدادي ، خزانة الأدب و لب لباب لسان العرب ، تح: عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ط4 ،1418 هـ – 1997 م .

– عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، تح : محمود شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، مصر ، ط3 ، 1413 هـ ، 1992 م .

– عبد الكريم النهشلي القيرواني ، الممتع في صنعة الشعر ، تح : محمد زغلول سلام ، منشأ المعارف الإسكندرية ، جمهورية مصر العربية ، د.ط،د.ت.

– عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، ذم التأويل ، الدار السلفية ، الكويت ، ط1 ، 1406 هـ.

– عبد الله بن اسعد اليافعي ، مرآة الجنان و عبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1417 هـ ، 1997 م .
– عبد الله بن الحسن العكبري ، شرح ديوان المتنبي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت .
– عبد الله بن المعتز بالله العباسي ، البديع في البديع ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1410 هـ ، 1990 م .
– عبد الله بن حسين العكبري،شرح ديوان المتنبي،تح:مصطفى الشفا وآخرون، دار المعرفة،بيروت لبنان، د.ط ،د.ت.
– عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل ،شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ،تح: محي الدين عبد الحميد ،دار التراث ،القاهرة ،مصر ،ط20 ،1420هـ ،1980م .
– عبد الله بن عبد العزيز البكري ، سمط اللالي في شرح أمالي القالي ، تح: عبد العزيز الميمني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، د.ت .
– عبد الله بن قيس، قرى الضيف، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1997 م.
– عبد القادر بن عمر البغدادي ، خزانة الأدب و لب لباب لسان العرب ، تح : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ط4 ، 1418 هـ ، 1997 م .
– عبد المتعال الصعيدي ، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، ط 17 ، 1426 .
–ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1404 هـ .
–أبو عبيد البكري، شرح كتاب الأمثال، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1983م.
– عز الدين ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ، 1997م.
– علاء الدين علي بن حسام الدين الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال، مؤسسة الرسالة، ط5، 1401 هـ، 1981.
– علي الصلابي ، يسرة عثمان بن عفان رضي الله عنه دار التوزيع والنشر الإسلامية،القاهرة،مصر،ط1427،1-2006.
– علي بن أبي كرم الشيباني ، اللباب في تهذيب الأنساب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، 1400 هـ - 1980 م ، ج2 ، ص 184.
– علي بن إسماعيل بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم ،تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ، 2000م .
– علي بن حسن الباخرزي ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1414 هـ .
– علي بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن، دار المعارف، مصر، ط3، 1976 م.
– علي بن فضال القيرواني، النكت في القران الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1428- 2007.
– علي بن محمد الشريف الجرجاني ، التعريفات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1403 هـ .

– عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان و التبيين ، دار الصعب ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1968 م .
–ابن فارس، مقاييس اللغة، دار الفكر، دمشق، سوريا، د.ط ، 1399 هـ .
–أبو القاسم الحسن بن بشير الآمدي ، الموازنة بين شعر أبي تمام و البحتري ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 1994 م .
– أبو القاسم بن علي الحريري ، مقامات الحريري ، مطبعة المعارف ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، 1873 م .
– القاضي الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ونقد شعره،مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه،القاهرة،مصر،د.ط،د.ت.
–ابن قتيبة الدينوري ، عيون الأخبار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، 1418هـ .
– قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، مطبعة الجوائب ، قسطنطينية ، تركيا ، ط1 ، 1302 هـ.
– ابن قيم الجوزية ، الصواعق المرسلة على الجهمية و المعطلة ، دار العاصمة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط1 ، 1408 هـ .
–ابن قيم الجوزية، العلام الموقعين عن رب العالمين، تح: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ، 1991م.
–ابن قيم الجوزية، طريق الهجرتين و باب السعادتين، دار القلم، الدمام، السعودية، ط2، 1414هـ، 1994م.
– ابن القيم الجوزيه، الروح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، 1395 – 1975م
– كفوي ، الكليات ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت .
– مالك بن نبي ، الظاهرة القرآنية ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط4 ، 1420 هـ ، 2000 م.
– مجد الدين ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، 1399-1979.
– مجد الدين الفيروز أبادي ،بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ،القاهرة ،مصر ،د.ط ،1416هـ1996م
– مجد الدين بن الأثير ، البديع في علم العربية ، جامعة أم القرى،المملكة العربية السعودية،ط1 ،1420هـ،ج1.
– مجموعة من الباحثين، البلاغة 2 – المعاني ، جامعة المدينة ،المدينة النبوية،المملكة العربية السعودية،د.ط،د.ت.
– محمد الخضر حسين ، موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد خضر حسين ، دار النوادر ، سوريا ، ط1 ، 1431 هـ ، 2010 م .
– محمد الطاهر بن عاشور ، أصول الإنشاء و الخطابة ، مكتبة دار المنهاج للنشر و التوزيع ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط1،1433 هـ
– محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط ،1984م .
– محمد بن إبراهيم الوطواط، غرر الخصائص الواضحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1429 هـ، 2008 م.
– محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لإحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1384هـ، 1964م.
– محمد بن إسماعيل الصنعاني ، دار الحديث ، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية ، د.ط ، د.ت .

– محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، تح : أحمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1420 هـ .
– محمد بن حسم الحاتمي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، العراق ، د.ط ، 1979 م .
– محمد بن حيان ، صحيح ابن حيان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1414 هـ ، 1993 .
– محمد بن عبد الله الخطيب البريزي ، مشكاة المصابيح ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 1405 هـ ، 1985 م .
– محمد بن مبارك بن ميمون ، منتهى الطلب من أشعار العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1999 م .
– محمد بن محمد المحبي ، نفحة الريحانة و رشحة طلاء الحانة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2005 .
– محمد بن موسى الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1424 هـ .
– محمد بن يزيد المبرد، الكامل في الأدب و اللغة، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط3، 1417 هـ، 1997 م.
– محمد تقي ، الخوان ساري التفتزاني ، المطول ، دار الانطباع ، الهند ، د.ط ، 1273 هـ .

– محمد حسان الطيان ، كيف تغدوا فصيحا عن اللسان ، الوعي الإسلامي ، الكويت ، ط1، 1433 هـ ، 2012 م .

– محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل أهل العرفان في علوم القران ، مطبعة عيسى اليابي و شركاؤه ، ط3 ، د.ت .
– محمد عبد المنعم لخفاجي ، قصة الأدب في الحجاز ، مكتبة الكليات الأزهر ، مصر ، ط1 ، 1400 ، 1980 .
– محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الأدب المفرد، دار الصديق، صنعاء، اليمن، ط1، 1421 هـ.
– محمد بن أحمد الوشاء ، الموشى – الظرف و الظرفاء ، مكتبة الخانجي، مصر ، القاهرة ، ط2 ، 1371 هـ ، 1953 م.
– محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار طوق النجاة، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1422 هـ.

– محمود مصطفى، أهدى السبيل إلى علمي الخليل، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1423هـ-2002م.
– مرتضى الزبيدي ، تاج العروس ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، ط1 ، 1405 هـ ، 1985 م .
– مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1954 م .
– مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت .
– مصطفى مسلم ، مباحث في إعجاز القران ، دار القلم ، دمشق ، سوريا ، ط3 ، 1426 هـ ، 2005 م .
– المعافى بن زكريا، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ، 2005م.
–أبو منصور الثعالبي ، التمثيل والمحاضرة ، ص 152 ، الدار العربية للكتاب ، ط2 ، 1401 - 1981
–أبو منصور الثعالبي ، خاص الخاص ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت .

-أبو منصور الثعالبي ، لباب الآداب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1417 هـ ، 1997 م .
-أبو منصور الثعالبي ،لطائف الضرفاء من طبقات الفضلاء، الدار العلمية للموسوعة ، تح: عدنان كريم الرجب ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1999 م .
- منصور بن حسن الآبي ، نثر الدر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1424 هـ ، 2004 م .
- المؤيد بالله الطالبي ، الطراز لأسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية، بيروت، لبنان، ط1 ، 1423هـ .
- نازك صادق الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط5، د.ت.
- نعمان بوقرة ، النظرية اللسانية عن ابن حزم الأندلسي ، اتحاد الكتاب العربي ، دمشق ، سوريا ، 2004 م .
-أبو نعيم الأصبهاني،تاريخ أصبهان، تح: سيد كسروي حسن،دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان، ط1، 1410 هـ ، 1990م.
- نور الدين اليوسي ، زهر الأكم في الأمثال و الحكم ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب الأقصى ، ط1 ، ج2 ، 1401هـ ، 1981م .
-ابن هشام الأنصاري ، معنى اللبيب عن كتب الاعاريب ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط6 ، 1985 م .
-أبو هلال العسكري ، الحث على طلب العلم و الاجتهاد في جمعه ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1406 هـ ، 1986 م .
-أبو هلال العسكري ، ديوان المعاني ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت .
-أبو هلال العسكري ،الفروق اللغوية ،تح: محمد إبراهيم سليم ،دار العلم و الثقافة للنشر والتوزيع ،القاهرة ،مصر ،د.ط ،د.ت .
-أبو هلال العسكري، الصناعتين الكتابة و الشعر، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د.ط ، 1419 هـ .
-أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ط ، د.ت .
- ولي الله الدهلوي ، الفوز الكبير في أصول التفسير ، تر: سلمان حسيني النبوي ، دار الصحوة ، القاهرة ، مصر ، ط2 ، 1407هـ ، 1986م .
- يحيى بن حمزة الطالبي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1423هـ.
- يوسف بن تغري بردي الظاهري، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، د.ط ، د.ت .
-الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، دار القلم ، الدار الشامية ، دمشق ، سوريا ، ط1 ، 1412 هـ .
-عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان و التبيين ، دار صعب ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1968 هـ .
-مصطفى صادق الرافعي،تاريخ آداب الإسلام،دار الكتاب العربي،بيروت، لبنان،د.ط،د.ت.
-ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 1414 هـ .
- وكيع التيسي ، المنصف للسارق و المسروق منه ، جامعة قات يونس ، بنغاري ، ليبيا ، ط1 ، 1994.

المجلات والدوريات:

- عويض بن حمود العطوي ،بلاغة كلمة التوحيد "لا اله إلا الله" ،مجلة العلوم العربية ، ع23 ، عمادة البحث العلمي- ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية ، ربيع الأخر 1433هـ ،مارس 2012م

الفهرس

الفهرس:

مقدمة .....أ

الفصل الأول:بين الفصاحة والبلاغة

المبحث الأول: الفصاحة.....2

1-تعريف الفصاحة.....2

أ-لغة.....2

ب-اصطلاحا.....3

1-فصاحة الكلمة.....4

أ-تنافر الحروف.....4

ب-مخالفة الوضع.....5

ج-الغرابة.....8

2-فصاحة الكلام.....10

أ-تنافر الكلمات عند اجتماعها.....11

ب-ضعف التأليف.....12

ج-التعقيد اللَّفظي.....13

د-التعقيد المعنوي.....15

3-فصاحة المتكلم 17

المبحث الثاني: البلاغة.....17

1-تعريف البلاغة.....17

أ-لغة.....17

ب-اصطلاحا.....18

1-بلاغة الكلام.....18

2-بلاغة المتكلم.....20

2-علوم البلاغة الثلاثة ومساهمتها في الجمال ومقتضى الحال.....21

أ-علم المعاني.....21

ب-علم البيان.....22

ج-علم البديع.....23

3-الفرق بين الفصاحة والبلاغة.....25

4-تفاضل البلاغة.....26

المبحث الثالث: أبلغ الكلام.....28

1-مفهوم أبلغ الكلام.....28

2-مرادفات أبلغ الكلام.....30

3-أهمية أبلغ الكلام.....32

4-بين البلاغة والمتلقي.....33

5-ضوابط معرفة أبلغ الكلام.....35

أ-ضابط قول العربي البليغ.....36

ب-ضابط قول العالم المعتبر.....38

ج-ضابط التذوق.....38

د-ضابط ترك غيرها إليها.....41

هـ-ضابط اشتهارها في بابها.....42

6-الخلفاء والأمراء وأبلغ الكلام.....43

7-أبلغ الكلام في كلام العلماء.....45

8-مؤلفات اعتنت بأبلغ الكلام.....49

الفصل الثاني: نماذج من أبلغ الكلام.....58

الفصل الثالث:دراسة تحليلية لسانية لنماذج مختارة.....108

1-لاإله إلا الله.....108

2-أما بعد.....115

3-الحرب سجال.....118

4-في شكر ما تقدم من إحسانك شاغل عن استبطاء ما تأخر منه.....122

5-قيمة كل امرئ ما يحسن.....127

6-ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت.....131

7-إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.....134

8-ألا كل شيء ما خلا الله باطل.....137

9-احرص على الموت توهب لك الحياة 140

10- وخلا الذباب بها فليس ببارح ... غردا كفعل الشارب المترنم.....145

11- فظلت كأني من وراء زجاجة ... إلى الدار من فرط الصبابة أنظر.....149

12- والنفس راغبة إذا رغبتها ... وإذا ترد إلى قليل تقنع.....153

13-عبارة سيبويه وفي أزمنة الفعل.....159

خاتمة.....166

مكتبة البحث.....168

الفهرس.....178